عن مجاهد قال المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا (وأخرج) ابن أبي حاتم عن الربيع قال المحكمات هى أوامره الزاجرة (وأخرج) عن اسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا فى هذه الآية فقال أبو فاختة فواتح السور وقال يحيى الفرائض والأمر والنهى والحلال (وأخرج) الحاكم وغيره عن ابن عباس قال الثلاث آيات من آخر سورة الانعام محكمات قل تعالوا والآيتان بعدها (وأخرج) ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس فى قوله تعالى (فيه آيات محكمات) قال من هاهنا (قل تعالوا) إلى ثلاث آيات ومن هاهنا (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى ثلاث آيات بعدها (وأخرج) عبد بن حميد عن الضحاك قال المحكمات ما لم ينسخ منه والمتشابهات ما قد نسخ (وأخرج) ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال المتشابهات فيما بلغنا الم والمص والمر والر وقال ابن أبي حاتم وقد روى عن عكرمة وقتادة وغيرهما أن المحكم الذى يعمل به والمتشابه الذى يؤمن به ولا يعمل به

*(فصل) اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله على قولين منشؤهما الاختلاف فى قوله والراسخون فى العلم هل هو معطوف ويقولون حال أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف وعلى الاول طائفة يسيرة منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس فى قوله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) قال أنا ممن يعلمون تأويله (وأخرج) عبد بن حميد عن مجاهد فى قوله والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به (وأخرج) ابن أبي حاتم عن الضحاك قال الراسخون فى العلم يعلمون تأويله لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهه واختار هذا القول النووى فقال فى شرح مسلم انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لاحد من الخلق إلى معرفته وقال ابن الحاجب انه الظاهر وأما الاكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثانى وهو أصح الروايات عن ابن عباس قال السمعانى لم يذهب إلى القول الاول إلا شرذمة قليلة واختاره العتبى قال وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها فى هذه المسئلة قال ولا غرو فان لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة قلت ويدل لصحة مذهب الاكثرين ما أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس انه كان يقرأ (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا به) فهذا يدل على ان الواو للاستئناف لان هذه الرواية ان لم تثبت بها القراءة فأقل درجتها أن تكون خبرا باسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه فى ذلك على من دونه ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعى المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا اليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب وحكى الفراء ان فى قراءة أبى بن كعب أيضا ويقول الراسخون (وأخرج) ابن أبى داود فى المصاحف من طريق الاعمش قال فى قراءة ابن مسعود (وان تأويله الا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولو الالباب) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم (وأخرج) الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الاشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أخاف على أمتى الا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وما يعلم تأويله إلا الله الحديث (وأخرج) ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به (وأخرج) الحاكم عن

السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفطن والالفاظ المنثورة والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح وتفريغ لب وجمع عقل فى ذلك فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذى يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل اليك أو شبه عليك وظننت أنه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر أفصح من الخطب وابرع من الرسائل وأدق مسلكا من جميع أصناف المحاورات ولذلك قالوا له صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسول اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا (وأخرج) البيهقي في الشعب نحوه من حديث أبي هريرة (وأخرج) ابن جرير عن ابن عباس مرفوعا أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه (وأخرج) ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله (وأخرج) أيضا عن عائشة قالت كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه (وأخرج) أيضا عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قال انكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة (وأخرج) الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار ان رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل اليه عمر وقد أعدله عراجين النخل فقال من أنت قال أنا عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه وفي رواية عنده فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الاشعري لا يجالسه أحد من المسلمين (وأخرج) الدارمي عن عمر بن الخطاب قال انه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله فهذه الاحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله وان الخوض فيه مذموم وسيأتي قريبا زيادة على ذلك قال الطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لان اللفظ الذي يقبل معنى اما أن يحتمل غيره أولا والثاني النص والاول اما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أولا والاول هو الظاهر والثاني اما أن يكون مساويه أولا والاول هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه ويؤيد هذا التقسيم انه تعالى أوقع المحكم مقابلا للمتشابه قالوا فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك اسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم لانه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال منه آيات محكمات وأخر متشابهات وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء فقال أولا فأما الذين في قلوبهم زيغ إلى أن قال والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكان يمكن أن يقال وأما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم لكنه وضع موضع ذلك والراسخون في العلم لاتيان لفظ الرسوخ لانه لا يحصل إلا بعد التثبت العام والاجتهاد البليغ فاذا استقام القلب على طرق الارشاد ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق وكفى بدعاء الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الخ شاهدا على ان الراسخون في العلم مقابل لقوله والذين في قلوبهم زيغ وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله إلا الله تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وان من حاول معرفته هو الذي أشار اليه في الحديث بقوله فاحذرهم وقال بعضهم العقل مبتلى باعتقاد حقية المتشابه كابتلاء البدن باداء العبادة كالحكيم إذا صنف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاذه وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره وقيل لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها وفي ختم الآية بقوله تعالى (وما يذكر إلا أولو الالباب) تعريض بالزائغين ومدح للراسخين يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولى

العقول

وأرق وابرع وأحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام بين المحققين * أسمعت أفضل من رأيت من أهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعة مع تقدمه في الكلام يقول ان الكلام المنثور يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتى في الشعر لان الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصده عن تصرفه على سننه وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجعه في ذلك وذكر انه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا صادف شروط الفصاحة وأبدع إذا تضمن أسباب البلاغة ويشهد عندي للقول الاخير ان معظم براعة كلام العرب في الشعر ولا نجد في منثور قولهم ما نجد في منظومه وان كان قد أحدثت براعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم

المعقول ومن ثم قال الراسخون ربنا لاتزغ قلوبنا الى آخر الآية فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدنى بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفسانى وقال الخطابى المتشابه على ضربين أحدهما ماإذا رد الى المحكم واعتبر به عرف معناه والآخر مالاسبيل الى الوقوف على حقيقته وهو الذى يتبعه اهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون وقال ابن الحصار قسم الله آيات القرآن الى محكم ومتشابه وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب لان اليها ترد المتشابهات وهى التى تعتمد فى فهم مراد الله من خلقه فى كل ماتعبدهم به من معرفة وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبهذا الاعتبار كانت أمهات ثم أخبر عن الذين فى قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ماتشابه منه ومعنى ذلك ان من لم يكن على يقين من المحكمات وفى قلبه شك واسترابة كانت راحته فى تتبع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدم الى فهم المحكمات وتقديم الامهات حتى اذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبل بما أشكل عليك ومراد هذا الذى فى قلبه زيغ التقدم الى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الامهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التى جاءوا بها ويظنون انهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم وماعلموا ان الايمان باذن الله تعالى اه وقال الراغب فى مفردات القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالاول ضربان أحدهما يرجع الى الالفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو الاب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع الى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو (وان خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم) وضرب لبسطه نحو ليس كمثله شىء لانه لو قيل ليس مثله شىء كان أظهر للسامع وضرب لنظم الكلام نحو أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة فان تلك الاوصاف لاتتصور لنا اذ كان لايحصل فى نفوسنا صورة مالم نحسه أو ليس من جنسه والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو (اقتلوا المشركين) والثانى من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو (اتقوا الله حق تقاته) والرابع من جهة المكان والامور التى نزلت فيها نحو وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها انما النسىء زيادة فى الكفر فان من لايعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية الخامس من جهة الشروط التى يصح بها الفعل ويفسد كشروط الصلاة والنكاح قال وهذه الجملة اذا تصورت علم أن كل ماذكره المفسرون فى تفسير المتشابه لايخرج عن هذه التقاسيم ثم جمع المتشابه على ثلاثة اضرب ضرب لاسبيل الى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك وضرب للانسان سبيل الى معرفته كالالفاظ الغريبة والاحكام القلقة وضرب متردد بين الامرين يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله ﷺ لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل واذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقوف على قوله وما يعلم تأويله الا الله ووصله بقوله والراسخون فى العلم جائزان وان لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه التفصيل المتقدم اه وقال الامام فخر الدين صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل وهو إما لفظى أو عقلى فالاول لايمكن اعتباره فى المسائل الاصولية لانه لايكون قاطعا لانه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون

وهو وان ضيق نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تدبر فى بابه ووفى له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب وقد حكى عن المتنبى أنه كان ينظر فى المصحف فدخل اليه بعض أصحابه فأنكر نظره فيه لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المكى على فصاحته كان مفحما فان صحت هذه الحكاية عنه فى الحادة عرف بها انه كان يعتقد أن الفصاحة فى قول الشعر أبلغ واذا كانت الفصاحة فى قول الشعر أو لم تكن وبينا ان نظم القرآن يزيد فى فصاحته على كل نظم ويتقدم فى بلاغته على كل قول ربما يتضح به الامر اتضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح وقفت على جلية هذا الشأن فانظر فيما

والظنى لايكتفى به فى الاصول وأما العقلى فانما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا وأما ثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لان طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدليل اللفظى والدليل اللفظى فى الترجيح ضعيف لا يفيد الا الظن والظن لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اه وحسبك بهذا الكلام من الامام * ( فصل ) * من المتشابه آيات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو (الرحمن على العرش استوى كل شىء هالك الا وجهه ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى يد الله فوق أيديهم والسموات مطويات بيمينه) وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الايمان بها وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها (أخرج) أبو القاسم اللالكائى فى السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر (أخرج) أيضا عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن انه سئل عن قوله الرحمن على العرش استوى فقال الايمان غير مجهود والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق (وأخرج) أيضا عن مالك أنه سئل عن الآية فقال الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وأخرج) البيهقى عنه انه قال هو كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع (وأخرج) اللالكائى عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه وقال الترمذى فى الكلام على حديث الرؤية المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم انهم قالوا نروى هذه الاحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم وذهبت طائفة من أهل السنة إلى اننا نؤولها على مايليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف وكان إمام الحرمين يذهب اليه ثم رجع عنه فقال فى الرسالة النظامية الذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا أئمة الحديث واعلامه ولا احد من المتكلمة من اصحابنا يصدف عنها ويأباها واختار ابن برهان مذهب التأويل قال ومنشأ الخلاف بين الفريقين هل يجوز ان يكون فى القرآن شىء لم نعلم معناه أولا بل يعلمه الراسخون فى العلم وتوسط ابن دقيق العيد فقال اذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر او بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه وما كان معناه من الالفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى (ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله) فنحمله على حق الله ومايجب له (ذكر ماوقفت) عليه من تأويل الآية المذكورة على طريقة أهل السنة من ذلك صفة الاستواء وحاصل مارأيت فيها سبعة أجوبة (أحدها) حكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس استوى بمعنى استقر وهذا ان صح يحتاج إلى تأويل فان الاستقرار يشعر بالتجسيم (ثانيها) ان استوى بمعنى استولى ورد بوجهين أحدهما ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما فاى فائدة فى تخصيص العرش والاخر ان الاستيلاء انما يكون بعد قهر وغلبة والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك (وأخرج اللالكائى فى السنة عن ابن الاعرابى انه سئل عن معنى استوى فقال هو على عرشه كما أخبر فقيل ياأباعبدالله معناه استولى قال اسكت لا يقال استولى على الشىء الا اذا كان له مضاد فاذا غلب أحدهما قيل استولى (ثالثها) انه بمعنى صعد قاله أبو

نعرضه عليك ما نعرضه وتصور بفهمك ماتصوره ليقع لك موقع عظم شأن القرآن وتأمل ماننبه ينكشف لك الحق واذ أردنا تحقيق ماضمناه لك فمن سبيلنا ان نعمد الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم على الصناعة والمعروفين بالحذف فى البراعة فنوقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف فصولها وعلى كثرة فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وماتجمع من كلام رفيع يقرن بينه وبين كلام وضيع وبين لفظ سوقى يقرن بلفظ ملوكى وغير ذلك من الوجوه التى يجىء تفصيلها ونبين ترتيبها وتنزيلها * فأما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو أخص من أن نشتغل به

عبيد وورد بأنه تعالى منزه عن الصعود أيضا (رابعها) ان التقدير الرحمن علا أى ارتفع من العلو والعرش له استوى حكاه اسماعيل الضرير فى تفسيره ورد بوجهين أحدهما أنه جعل على فعلا وهى حرف هنا باتفاق فلو كانت فعلا لكتبت بالألف كقوله علا فى الارض والآخر انه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء (خامسها) ان الكلام تم عند قوله الرحمن على العرش ثم ابتدأ بقوله استوى له مافى السموات ومافى الارض ورد بانه يزيل الآية عن نظمها ومرادها (قلت) ولا يتأتى له فى قوله ثم استوى على العرش (سادسها) ان معنى استوى اقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد إلى خلقها قاله الفراء والاشعرى وجماعة أهل المعانى (وقال) اسماعيل الضرير انه الصواب (قلت) يبعده تعديته بعلى ولو كان كما ذكروه لتعدى بالى كما فى قوله ثم استوى الى السماء (سابعها) قال ابن اللبان الاستواء المنسوب اليه تعالى بمعنى اعتدل أى قام بالعدل كقوله تعالى قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه إلى أنه أعطى بعزته كل شىء خلقه موزونا بحكمته البالغة (ومن ذلك) النفس فى قوله تعالى (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) ووجه بأنه خرج على سبيل المشاكلة مرادا به الغيب لأنه مستتر كالنفس وقوله (ويحذركم الله نفسه) أى عقوبته وقيل اياه (وقال السهيلى) النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد وقد استعمل من لفظه النفاسة والشىء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى (وقال ابن اللبان) أولها العلماء بتأويلات منها ان النفس عبر بها عن الذات قال وهذا وان كان سائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعل اليها بفى المفيدة للظرفية محال عليه تعالى وقد أولها بعضهم بالغيب أى ولا أعلم مافى غيبك وسرك قال وهذا حسن لقوله فى آخر الآية انك أنت علام الغيوب (ومن ذلك) الوجه وهو مؤول بالذات وقال ابن اللبان فى قوله (يريدون وجهه انما نطعمكم لوجه الله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) المراد اخلاص النية وقال غيره فى قوله فثم وجه الله أى الجهة التى أمر بالتوجه اليها (ومن ذلك) العين وهى مؤولة بالبصر أو الادراك بل قال بعضهم انها حقيقة فى ذلك خلافا لتوهم بعض الناس انها مجاز وانما المجاز فى تسمية العضو بها (وقال ابن اللبان) نسبة العين اليه تعالى اسم لآياته المبصرة التى بها سبحانه ينظر للمؤمنين وبها ينظرون اليه قال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) نسب البصر للايات على سبيل المجاز تحقيقا لأنها المرادة بالعين المنسوبة اليه وقال (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها) قال فقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أى بآياتنا ننظر بها الينا وننظر بها اليك ويؤيده أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بها الصبر لحكم ربه صريحا فى قوله (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك) قال وقوله فى سفينة نوح تجرى بأعيننا أى بآياتنا بدليل (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال ولتصنع على عينى) أى على حكم آيتى التى أوحيتها إلى أمك أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الآية اه وقال غيره المراد فى الآيات كلاءته تعالى أى حفظه (ومن ذلك) اليد فى قوله (لما خلقت بيدى يد الله فوق أيديهم مما عملت أيدينا إن الفضل بيد الله) وهى مؤولة بالقدرة وقال السهيلى اليد فى الاصل كالبصر عبارة عن صفة الموصوف ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالايدى مقرونة مع الابصار فى قوله أولى الايدى والابصار فلم يمدحهم بالجوارح لأن المدح انما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال ولهذا قال الاشعرى ان اليد صفة ورد بها الشرع والذى يلوح من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة إلا انها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الارادة والمشيئة فان فى اليد تشريفا لازما وقال البغوى فى قوله بيدى فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على انها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانما هما صفتان من صفات ذاته وقال مجاهد اليد ههنا صلة وتأكيد كقوله (ويبقى وجه ربك) قال البغوى وهذا تأويل غير قوى لأنها

وأسخف من أن نفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب القارىء وليتبصر الناظر فانه على سخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديرا أن يحمد الله على مارزقه من فهم وآتاه من علم فما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء والليل الاطخم والذئب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت أسيد من محرم وذلك قد ذكر فى خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال أيضا والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاة وألوانها وأعجبها السوداء وألبانها والشاة السوداء واللبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين نقنق ما تنقنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا

لو كانت صلة لكان لابليس أن يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك فى القدرة والنعمة لا يكون لآدم فى الخلق مزية على ابليس وقال ابن اللبان فان قلت فما حقيقة اليدين فى خلق آدم قلت الله أعلم بما أراد ولكن الذى استثمرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ولنورها القائم بصفة عدله ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له فى خلقه بين فضله وعدله قال وصاحبة الفضل هى اليمين التى ذكرها فى قوله (والسموات مطويات بيمينه) سبحانه وتعالى (ومن ذلك) الساق فى قوله (يوم يكشف عن ساق) ومعناه عن شدة وأمر عظيم كما يقال قامت الحرب على ساق أخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال إذا خفى عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

اصبر عناق إنه شر باق * قد سن لى قومك ضرب الاعناق

وقامت الحرب بنا على ساق ٭ قال ابن عباس هذا يوم كرب وشدة (ومن ذلك) الجنب فى قوله تعالى (على ما فرطت فى جنب الله) أى فى طاعته وحقه لأن التفريط إنما يقع فى ذلك ولا يقع فى الجنب المعهود (ومن ذلك) صفة القرب فى قوله (فانى قريب ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى بالعلم (ومن ذلك) صفة الفوقية فى قوله (وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم) والمراد بها العلو من غير جهة وقد قال فرعون وإنا فوقهم قاهرون ولا شك أنه لم يرد العلو المكانى (ومن ذلك) صفة المجىء فى قوله وجاء ربك ويأتى ربك أى أمره لأن الملك إنما يأتى بأمره أو بتسليطه كما قال تعالى (وهم بأمره يعملون فصار كالوصرح به وكذا قوله اذهب أنت وربك فقاتلا أى اذهب بربك أى بتوفيقه وقوته (ومن ذلك) صفة الحب فى قوله (يحبهم ويحبونه فاتبعونى يحببكم الله) وصفة الغضب فى قوله غضب الله عليها وصفة الرضى فى قوله رضى الله عنهم وصفة العجب فى قوله بل عجبت بضم التاء وقوله وان تعجب فعجب قولهم وصفة الرحمة فى آيات كثيرة وقد قال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها قال الامام فخر الدين جميع الاعراض النفسانية أعنى الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات مثاله الغضب فان أوله غليان دم القلب وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه فلفظ الغضب فى حق الله لا يحمل على أوله الذى هو غليان دم القلب بل على غرضه الذى هو إرادة الاضرار وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل فى النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحياء فى حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس اه وقال الحسين بن الفضل العجب من الله انكار الشىء وتعظيمه وسئل الجنيد عن قوله (وان تعجب فعجب قولهم) فقال ان الله لا يعجب من شىء ولكن الله وافق رسوله فقال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقول (ومن ذلك) لفظة عند فى قوله تعالى عند ربك ومن عنده ومعناهما الاشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة (ومن ذلك قوله) وهو معكم أينما كنتم أى بعلمه وقوله وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم (قال البيهقى) الاصح ان معناه أنه المعبود فى السموات وفى الارض مثل قوله (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) (وقال الاشعرى) الظرف متعلق بيعلم أى عالم بما فى السموات والارض (ومن ذلك) قوله (سنفرغ لكم أيه الثقلان) أى سنقصد لجزائكم * (تنبيه) ٭ قال ابن اللبان ليس من المتشابه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد لأنه فسره بعده بقوله انه هو يبدىء ويعيد تنبيها على أن بطشه عبارة عن تصرفه فى بدئه واعادته وجميع تصرفاته فى مخلوقاته

(فصل) . ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضا انها من الاسرار التى لا يعلمها إلا الله تعالى أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال ان لكل كتاب سرا وان سر هذا



الشارب تمنمين ولا الماء تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وكان يقول والمبديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغى فناووه وقالت سجاح بنت الحارث ابن عقبان وكانت تتنبأ فاجتمع مسيلمة معها فقالت له ما أوحى اليك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وقالت فما بعد ذلك قال أوحى إلى أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها إذا شئنا اخراجا فينتجن لنا سخالا نتاجا فقالت أشهد انك نبي ولم ننقل كل

القرآن فواتح السور وخاض فى معناها آخرون (فاخرج) ابن أبى حاتم وغيره من طريق أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله ألم قال أنا الله اعلم وفى قوله المص قال انا الله افصل وفى قوله الر قال انا الله أرى (واخرج) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الم وحم ون قال اسم مقطع (واخرج) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ون حروف الرحمن مفرقة (واخرج) أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال الر من الرحمن (واخرج) عنه أيضا قال المص الالف من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد (واخرج) أيضا عن الضحاك فى قوله المص قال انا الله الصادق وقيل المص معناه المصور وقال الر معناه انا الله اعلم اوارفع حكاهما الكرمانى فى غرائبه (واخرج) الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى كهيعص قال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق (واخرج) الحاكم ايضا من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كاف هاد امين عزيز صادق (واخرج) ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله كهيعص قال هو هجاء مقطع الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من المصور (وأخرج) عن محمد بن كعب مثله إلا انه قال والصاد من الصمد وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من طريق آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كبير هاد امين عزيز صادق (واخرج) ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال الكاف الكافى والهاء الهادى والعين العالم والصاد الصادق واخرج من طريق يوسف بن عطية قال سئل الكلبى عن كهيعص فحدث عن أبى صالح عن ام هانىء عن رسول الله ﷺ قال كاف هاد امين عالم صادق (وأخرج) ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله كهيعص قال يقول أنا الكبير أنا الهادى على أمين صادق (وأخرج) عن محمد بن كعب فى قوله طه قال الطاء من ذى الطول (وأخرج) عنه أيضا فى قوله طسم قال الطاء من ذى الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن وأخرج عن سعيد بن جبير فى قوله حم قال حاء اشتقت من الرحمن وميم اشتقت من الرحيم (وأخرج) عن محمد بن كعب فى قوله حمعسق قال والحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر (وأخرج) عن مجاهد قال فواتح السور كلها هجاء مقطع (وأخرج) عن سالم عبد بن الله قال (الم) (وحم) (ون) ونحوها اسم الله مقطعة (وأخرج) عن السدى قال فواتح السور أسماء من أسماء الرب جل جلاله فرقت فى القرآن وحكى الكرمانى فى قوله (ق) إنه حرف من اسمه قادر وقاهر وحكى غيره فى قوله (ن) انه مفتاح اسمه تعالى نور وناصر وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد وهو انها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود فى العربية قال الشاعر

* قلت لها قفى فقالت ق * أى وقفت وقال بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا أراد وإن شرا فشر وإلا أن تشاء وقال

ناداهم ألا الجموا ألاتا * قالوا جميعا كلهم ألافا

أراد ألا تركبون ألا فاركبوا وهذا القول اختاره الزجاج وقال العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وقيل انها الإسم الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها كذا نقله ابن عطية (وأخرج) ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود قال هو اسم الله الأعظم (وأخرج) ابن أبى حاتم من طريق السدى أنه بلغه عن ابن عباس قال (الم) اسم من أسماء الله تعالى الأعظم (وأخرج) ابن جرير وغيره من طريق على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال (الم) (وطسم) (وص) وأشباهها

ماذكر من سخفه كراهة التثقيل وروى انه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن إلى ماضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها فى صناعتهم ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة ونستدل على مواضع البراعة وأنت لاتشك فى جودة شعر امرىء القيس ولاترتاب فى براعته ولا تتوقف فى فصاحته وتعلم أنه قد أبدع فى طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها إلى مايتصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والتلميح الذى يوجد فى شعره والتصرف الكثير

قسم اقسم الله به وهو من أسماء الله وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا أى انها برمتها أسماء الله وتصلح أن يكون من القول الأول ومن الثانى وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه فى تفسيره من طريق نافع عن أبى نعيم القارى عن فاطمة بنت على بن أبى طالب أنها سمعت على بن أبى طالب يقول يا (كهيعص) اغفرلى وما أخرجه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله (كهيعص) قال يا من يجير ولا يجار عليه (وأخرج) عن أشهب قال سألت مالك بن أنس أينبغى لأحد أن يتسمى (بيس) قال ما أراه ينبغى لقول الله (يس) والقرآن الحكيم يقول هذا اسم تسميت به وقيل هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر أخرجه عبد الرزاق عن قتادة وأخرجه ابن أبى حاتم بلفظ كل هجاء فى القرآن فهو اسم من أسماء القرآن وقيل هى أسماء للسور نقله الماوردى وغيره عن زيد بن أسلم ونسبه صاحب الكشاف إلى الأكثر وقيل هى فواتح للسور كما يقولون فى أول القصائد بل ولا (أخرج) ثور بن جرير من طريق الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال (الم) (وحم) (والمص) (وص) ونحوها فواتح يفتتح الله بها القرآن (وأخرج) أبو الشيخ من طريق ابن جرير قال قال مجاهد (الم) (الر) (المر) فواتح افتتح الله بها القرآن قلت ألم يكن يقول هى أسماء قال لا وقيل هذا حساب أبى جاد لتدل على مدة هذه الأمة (وأخرج) ابن أبى اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبدالله بن دياب قال مر أبو ياسر بن اخطب فى رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم) ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حى بن أخطب فى رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقال أنت سمعته قال نعم فمشى حى فى أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب فقال بلى فقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين فهذه إحدى وسبعون سنة أفندخل فى دين نبى إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم قال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم (المص) قال هذه أثقل وأطول الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والصاد بتسعين فهذه إحدى وستون ومائة سنة هل مع هذا غيره قال نعم المر قال هذه اثقل وأطول الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والراء بمائتين هذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قال قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون وإحدى وستون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) أخرجه ابن جرير من هذا الطريق وابن المنذر من وجه آخر عن ابن جريج معضلا (وأخرج) ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية فى قوله (الم) قال هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين دارت بها الألسن ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه وليس منها حرف إلا وهو فى مدة أقوام وآجالهم فالألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله فالألف سنة واللام ثلاثون والميم أربعون قال الخويى وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى (الم) غلبت الروم أن البيت المقدس يفتحه المسلمون فى سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ووقع كما قاله وقال السهيلى لعل عدد الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للاشارة إلى مدة بقاء هذه



الذى تصادفه فى قوله والوجوه التى ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح وقد ترى الأدباء أولا يوازنون بشعره فلانا وفلانا ويضمون أشعارهم إلى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره فى أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أوسووا بينهم وبينه أو قربوا مواضع تقدمهم عليه وبرزوه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته فى السبعيات أضافوا إليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتشوق إلى معارضته وتساويه فى طريقته وربما عثرت فى وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه فى أسباب عجيبة وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره كان أمرا محصورا وشيئا معروفا أنت تجد من ذلك البديع

الأمة قال ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه الزجر عن أبى جاد والاشارة إلى ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له فى الشريعة وقد قال القاضى أبو بكر بن العربى فى فوائد رحلته (ومن الباطل) علم الحروف المقطعة فى أوائل السور وقد تحصل لى فيها عشرون قولا وأزيد ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم ولا يصل منها الى فهم والذى أقوله أنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا عنهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بل تلى عليهم (حم) فصلت (ص) وغيرها فلم ينكروا ذلك بل صرحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة مع تشوقهم الى عثرة وحرصهم على زلة فدل على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا انكار فيه اه وقيل هى تنبيهات كما فى النداء عده ابن عطية مغايرا للقول بأنها فواتح والظاهر أنه بمعناها قال أبو عبيدة افتتاح كلام وقال الخويبى القول بأنها تنبيهات جيد لان القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة فينبغى ان يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون الله قد علم فى بعض الاوقات كون النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله الم والر وحم ليسمع النبى صوت جبريل فيقبل عليه ويصغى اليه قال وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كألا وأما لانها من الالفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ فى قرع سمعه اه وقيل إن العرب كانو إذا سمعوا القرآن لغوا فيه فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سببا لاستماعهم وسماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة عد هذا جماعة قولا مستقلا والظاهر خلافه وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الاقوال لا قولا فى معناها اذ ليس فيه بيان معنى وقيل إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القول الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله بعد أن يعلموا أنه منزل بالحروف التى يعرفونها ويبنون كلامهم منها وقيل المقصود بها الاعلام بالحروف التى يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفا وهى نصف جميع الحروف وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التى فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف ومن المطبقة الطاء والصاد ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة الهاء واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن القلقلة القاف والطاء ثم إنه تعالى ذكر حروفا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لان تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة وقيل هى امارة جعلها الله لاهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابا فى أول سور منه حروف مقطعة هذا ما وقفت عليه من الاقوال فى أوائل السور من حيث الجملة وفى بعضها اقوال أخر فقيل ان طه ويس بمعنى يارجل أو يا محمد أو يا انسان وقد تقدم فى المعرب وقيل هما اسمان من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم قال الكرمانى فى غرائبه ويقويه فى يس قراءة يس بفتح النون وقوله آل ياسين وقيل طه أى طا الارض أو اطمئن فيكون فعل أمر والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة (أخرج) ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله طه هو كقولك افعل وقيل طه أى يا بدر لان الطاء بتسعة والهاء بخمسة فذلك أربعة عشر اشارة الى البدر لانه يتم فيها ذكره الكرمانى فى غرائبه وقال فى قوله يس أى ياسيد المرسلين وفى قوله ص معناه صدق الله وقيل

أو احسن منه فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع فى كلام سواه وتنظر الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته إلى عذوبته والاصابة فى معناه الى تحسين بهجته حتى أن منهم من إن قصر عنه فى بعض تقدم عليه فى بعض لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما للآدمى فيه مجال وللبشرى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدح ثم قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد تتقارب تقاربا على حسب مشاركتهم فى الصنائع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن جنس مميز وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله فى هذا الفصل لامرىء القيس فى أجود أشعاره وما نبين لك من عواره على

اقسم بالصمد الصانع الصادق وقيل معناه صاد يا محمد عملك بالقرآن أى عارضه به فهو امر من المصادة (وأخرج) عن الحسين قال صاد حادث القرآن يعنى انظر فيه (وأخرج) عن سفيان بن حسين قال كان الحسن يقرؤها صاد القرآن يقول عارض القرآن وقيل ص اسم بحر عليه عرش الرحمن وقيل اسم بحر يحيى به الموتى وقيل معناه صاد محمد قلوب العباد حكاها الكرمانى كلها وحكى فى قوله المص أن معناه ألم نشرح لك صدرك وفى حم أنه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه حم ماهو كائن وفى حمعسق أنه جبل ق وقيل ق جبل محيط بالارض (أخرجه) عبد الرزاق عن مجاهد وقيل أقسم بقوة قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى القاف من قوله قضى الامر دلت على بقية الكلمة وقيل معناها اقف يا محمد على أداء الرسالة والعمل بما أمرت حكاهما الكرمانى وقيل هو الحوت (أخرج) الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا أول ماخلق الله القلم والحوت قال اكتب قال ما اكتب قال كل شىء كائن الى يوم القيامة ثم قرأ (ن والقلم) فالنون الحوت والقلم القلم وقيل هو اللوح المحفوظ (أخرجه) ابن جرير من مرسل ابن قرة مرفوعا وقيل هو الدواة (أخرجه) عن الحسن وقتادة وقيل هو المداد حكاه ابن قتيبة فى غريبه وقيل هو القلم حكاه الكرمانى عن الجاحظ وقيل هو اسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم حكاه ابن عساكر فى مبهماته وفى المحتسب لابن جنى ان ابن عباس قرأ حم بلا عين ويقول السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون قال ابن جنى وفى هذه القراءة دليل على أن الفواتح فواصل بين السور ولو كانت اسماء الله لم يجز تحريف شىء منها لانها لاتكون ح اعلاما والاعلام تؤدى بأعيانها ولا يحرف شىء منها وقال الكرمانى فى غرائبه فى قوله تعالى الم أحسب الناس الاستفهام هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وغيرها (خاتمة) أورد بعضهم سؤالا وهو انه هل للمحكم مزية على المتشابه أولا فان قلتم بالثانى فهو خلاف الاجماع أو بالاول فقد نقضتم أصلكم فى ان جميع كلامه سبحانه وتعالى سواء وأنه منزل بالحكمة (وأجاب) أبو عبد الله النكرباذى بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن الا بعد معرفة حكمة الواضع وأنه لايختار القبيح ويختلفان فى أن المحكم بوضع اللغة لايحتمل الا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه ان يستدل به فى الحال والمتشابه يحتاج الى فكرة ونظر ليحمله على الوجه المطابق ولان المحكم أصل والعلم بالاصل اسبق ولان المحكم يعلم مفصلا والمتشابه لا يعلم الا مجملا وقال بعضهم إن قيل ما الحكمة فى انزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا ان كان مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فان استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لايحتاج الى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره وان كان مما لا يمكن علمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وان لم يجز العمل بما فيه واقامة الحجة عليهم لانه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وافهامهم دل على أنه نزل من عند الله وأنه الذى اعجزهم عن الوقوف وقال الامام فخر الدين من الملحدة من طعن فى القرآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال إنكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبرى متمسك بآيات الجبر كقوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) والقدرى يقول هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم فى معرض الذم فى قوله (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) وفى موضع آخر (وقالوا قلوبنا غلف) ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى

---

التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

الذين يتعصبون له أو يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البديع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع كله فى بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هداك الله انت تعلم أنه ليس فى البيتين شىء قد سبق فى ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفى لفظه ومعناه خلل فأول ذلك أنه استوقف من يبكى لذكر الحبيب وذكراه لايقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب

(لا تدركه الأبصار) ومثبت الجهة متمسك بقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى) والنافى متمسك بقوله تعالى (ليس كمثله شىء ثم يسمى كل واحد) الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة له متشابهة وانما آل فى ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذى هو المرجوع اليه فى كل الدين إلى يوم القيامة هكذا قال (والجواب) أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد منها أنه يوجب مزيد المشقة فى الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد فى التأمل فيه صاحب كل مذهب وإذا بالغوا فى ذلك صارت المحكمات مفسرة المتشابهات وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتصل إلى الحق ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر فى تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعانى والبيان وأصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة وكان فى ايراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة ومنها ان القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنفر فى أكثر الأمر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام فى أول الأمر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن أن هذا عدم ونفى فوقع فى التعطيل فكان الاصلح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الامر يكون من المتشابهات والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر من المحكمات

*(النوع الرابع والأربعون)* فى مقدمه ومؤخره وهو قسمان الأول ما اشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرض السلف لذلك فى آيات فاخرج ابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) قال هذا من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة (واخرج) عنه أيضا فى قوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) قال هذا من تقاديم الكلام يقول لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما (واخرج) عن مجاهد فى قوله تعالى (أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) قال هذا من التقديم والتأخير أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (وأخرج) عن قتادة فى قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك) قال هذا من المقدم والمؤخر أى رافعك إلى ومتوفيك (وأخرج) عن عكرمة فى قوله تعالى (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) قال هذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا (وأخرج) ابن جرير عن ابن زيد فى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) قال هذه الآية مقدمة ومؤخرة انما هى أذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير (واخرج) عن ابن عباس فى قوله تعالى (فقالوا أرنا الله جهرة) قال انهم إذا رأوا الله فقد رأوه انما قالوا جهرة أرنا الله قال هو مقدم ومؤخر قال ابن جرير يعنى ان سؤالهم كان جهرة ومن ذلك قوله (وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) قال البغوى هذه أول القصة وان كان مؤخرا فى التلاوة وقال الواحدى كان الاختلاف فى القاتل قبل ذبح البقرة وانما أخر فى الكلام لانه تعالى لما قال (ان الله يأمركم) الآية

الاسعاد فى مثل هذا على ان يبكى لبكائه ويرق لصديقه فى شدة برحائه فاما ان يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فامر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضا عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يغار على حبيبه وان يدعو غيره إلى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم فى البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه ان يذكر فى التعريف بعض هذا وهذا التطويل إذا لم يفد كان ضربا من العى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعى من محاسنه انه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيده عفاء الرسوم الا جدة عهد وشدة وجد وانما

علم المخاطبون ان البقرة لاتذبح الا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم فلما استقر علم هذا فى نفوسهم اتبع بقوله وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ومنه أفرأيت من اتخذ الهه هواه والأصل هواه الهه لأن من اتخذ الهه هواه غير مذموم فقدم المفعول الثانى للعناية به وقوله أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى على تفسير أحوى بالاخضر وجعله نعتا للمرعى أى أخرجه أحوى فجعله غثاء وأخر رعاية للفاصلة وقوله غرابيب سود والأصل سود غرابيب لان الغربيب الشديد السواد وقوله فضحكت فبشرناها أى فبشرناها فضحكت وقوله (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أى لهم بها وعلى هذا فالهم منفى عنه الثانى ما ليس كذلك وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة فى سر الالفاظ المقدمة قال فيه الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الاهتمام كما قال سيبويه فى كتابه كانهم يقدمون الذى بيانه أهم وهم ببيانه أعنى قال هذه الحكمة اجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع * الأول التبرك كتقديم اسم الله تعالى فى الأمور ذات الشأن ومنه قوله تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم) وقوله (واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول) الآية . الثانى التعظيم كقوله (ومن يطع الله والرسول ان الله وملائكته يصلون والله ورسوله احق أن يرضوه) . الثالث التشريف كتقديم الذكر على الانثى نحو ان المسلمين والمسلمات الآية والحر فى قوله والحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى والحى فى قوله يخرج الحى من الميت الآية وما يستوى الاحياء ولا الاموات والخيل فى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها والسمع فى قوله وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وقوله ان السمع والبصر والفؤاد وقوله (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) حكى ابن عطية عن النقاش أنه استدل بها على تفضيل السمع على البصر ولذا وقع فى وصفه تعالى سميع بصير بتقديم السمع (ومن ذلك) تقديم ﷺ على نوح ومن معه فى قوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية وتقديم الرسول فى قوله من رسول ولا نبى وتقديم المهاجرين فى قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وتقديم الانس على الجن حيث ذكرا فى القرآن وتقديم النبيين ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين فى آية النساء وتقديم اسمعيل على اسحق لأنه أشرف بكون النبى ﷺ من ولده وأسن وتقديم موسى على هرون لاصطفائه بالكلام وقدم هرون عليه فى سورة طه رعاية للفاصلة وتقديم جبريل على ميكائيل فى آية البقرة لانه أفضل وتقديم العاقل على غيره فى قوله متاعا لكم ولانعامكم يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات وأما تقديم الانعام فى قوله تأكل منه أنعامهم وانفسهم فلأنه تقدم ذكر الزرع فناسب تقديم الانعام بخلاف آية عبس فانه تقدم فيها فلينظر الانسان إلى طعامه فناسب تقديم لكم وتقديم المؤمنين على الكفار فى كل موضع وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال والسماء على الأرض والشمس على القمر حيث وقع الا فى قوله خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا فقيل لمراعاة الفاصلة وقيل لان انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر وقال ابن الانبارى يقال ان القمر وجهه يضىء لاهل السموات وظهره لاهل الأرض ولهذا قال تعالى فيهن لما كان أكثر نوره يضىء إلى أهل السماء ومنه تقديم الغيب على الشهادة فى قوله عالم الغيب والشهادة لأن علمه أشرف وأما يعلم السر وأخفى فأخر فيه رعاية للفاصلة (الرابع) المناسبة وهى اما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) فان الجمال بالجمال وان كان ثابتا حالتى السراح والاراحة الا انها حالة اراحتها وهو مجيئها من الرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخر اذهى فيه بطان وحالة سراحها للرعى أول النهار

قرع له الاصمعى إلى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشو فذكر ما يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره له من الخلل ثم فى هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بان قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر ابو عبيدة انه رجع فاكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم
نعم وغيرها الأرواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الأول انه لم ينطمس اثره كله وبالثانى انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس فى هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لا محالة واعتذار ابى عبيدة اقرب لو صح ولكن لم يرد هذا

يكون

يكون الجمال بها دون الاول اذ هي فيه خماص ونظيره قوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قد نفى الاسراف لان السرف فى الانفاق وقوله يريكم البرق خوفا وطمعا لان الصواعق تقع مع أول برقه ولا يحصل المطر الا بعد توالى البرقات وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قدمها على الابن لما كان السياق فى ذكرها فى قوله والتى أحصنت فرجها ولذلك قدم الابن فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية وحسنه تقدم موسى فى الآية قبله ومنه قوله وكلا آتينا حكما وعلما قدم الحكم وان كان العلم سابقا عليه لان السياق فيه لقوله فى أول الآية اذ يحكمان فى الحرث وأما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر كقوله (الاول والآخر ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بما قدم وأخر ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لله الامر من قبل ومن بعد وله الحمد فى الأولى والآخرة) وأما قوله (فلله الآخرة والاولى) فلمراعاة الفاصلة وكذا قوله (جمعناكم والاولين) (الخامس) الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به كتقديم الوصية على الدين فى قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين مع أن الدين مقدم عليها شرعا (السادس) السبق وهو إما فى الزمان باعتبار الايجاد كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور وآدم على نوح ونوح على ابراهيم وابراهيم على موسى وهو على عيسى وداود على سليمان والملائكة على البشر فى قوله (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وعاد على ثمود والازواج على الذرية فى قوله قل لازواجك وبناتك والسنة على النوم فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو باعتبار الانزال كقوله صحف ابراهيم وموسى وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو (اركعوا واسجدوا فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ولهذا قال ﷺ نبدأ بما بدأ الله به أو بالذات نحو (مثنى وثلاث ورباع مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) وكذا جميع الاعداد كل مرتبة هى مقدمة على مافوقها بالذات وأما قوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فللحث على الجماعة والاجتماع الخير (السابع) السببية كتقديم العزيز على الحكيم لانه عز فحكم والعليم عليه لان الاحكام والاتقان ناشىء عن العلم وأما تقدم الحكيم عليه فى سورة الانعام فلانه مقام تشريع الاحكام ومنه تقديم العبادة على الاستعانة فى سورة الفاتحة لانها سبب حصول الاعانة وكذا قوله (يحب التوابين ويحب المتطهرين) لان التوبة سبب الطهارة لكل أفاك أثيم لان الافك سبب الاثم يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم لان البصر داعية الى الفرج (الثامن) الكثرة كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الكفار أكثر فمنهم ظالم لنفسه الآية قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق ولهذا قدم السارق على السارقة لان السرقة فى الذكور أكثر والزانية على الزانى لان الزنى فيهن أكثر ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع فى القرآن غالبا ولهذا ورد إن رحمتى غلبت غضبى وقوله إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن الحاجب فى أماليه انما قدم الازواج لان المقصود الاخبار ان فيهم أعداء ووقوع ذلك فى الازواج أكثر منه فى الاولاد وكان اقعد فى المعنى المراد فقدم ولذلك قدمت الاموال فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لان الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى وليست الاولاد فى استلزام الفتنة مثلها فكان تقديمها أولى (التاسع) الترقى من الادنى الى الاعلى كقوله (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) الآية بدأ بالادنى لغرض الترقى لان اليد أشرف من الرجل والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر ومن هذا النوع تأخير الابلغ وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرءوف على الرحيم والرسول على النبى فى قوله وكان رسولا نبيا وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة (العاشر) التدلى من الاعلى الى الادنى (وخرج) عليه (لا تأخذه سنة

القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغى ان يقول لما نسجها ولكنه تعسف فحمل مافى تأويل التأنيث لانها فى معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاماكن التى المنزل واقع بينها فذاك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذى نزله حبيبه بعفائه أو بانه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى أنث فذلك ايضا خلل ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل لم يشك فى أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتحمل

ولا نوم لايغادر صغيرة ولا كبيرة لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون) هذا ما ذكره ابن الصائغ وزاد غيره أسبابا أخر منها كونه ادل على القدرة واعجب كقوله ومنهم من يمشى على بطنه الآية وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) قال الزمخشرى قدم الجبال على الطير لان تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وادخل فى الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق ومنها رعاية الفواصل وسيأتى لذلك أمثلة كثيرة ومنها افادة الحصر للاختصاص وسيأتى فى النوع الخامس والخمسين . (تنبيه) . قد يقدم لفظ فى موضع ويؤخر فى آخر ونكتة ذلك إما لكون السياق فى كل موضع يقتضى ما وقع فيه كما تقدمت الاشارة اليه وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما فى قوله (يوم تبيض وجوه) الآيات وإما لقصد التفنن فى الفصاحة واخراج الكلام على عدة أساليب كما فى قوله وادخلوا الباب وقولوا حطة وقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقوله إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال فى الانعام (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس)

. ( النوع الخامس والاربعون ) . فى عامه وخاصه العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر وصيغة كل مبتدأة نحو كل من عليها فان أو تابعة نحو فسجد الملائكة كلهم اجمعون والذى والتى وتثنيتهما وجمعهما نحو (والذى قال لوالديه أف لكما) فان المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد (أولئك الذين حق عليهم القول والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات واللائى يئسن من المحيض) الآية واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا الآية واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وأى وما ومن شرطا واستفهاما وموصولا نحو أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم من يعمل سوءا يجز به والجمع المضاف نحو يوصيكم الله فى أولادكم والمعرف بال نحو قد أفلح المؤمنون واقتلوا المشركين واسم الجنس المضاف نحو فليحذر الذين يخالفون عن أمره أى كل أمر الله والمعرف بال نحو وأحل الله البيع أى كل بيع ان الانسان لفى خسر أى كل انسان بدليل الا الذين آمنوا والنكرة فى سياق النفى والنهى نحو (فلا تقل لهما أف وان من شىء الا عندنا خزائنه ذلك الكتاب لا ريب فيه فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) وفى سياق الشرط نحو (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام) الله وفى سياق الامتنان نحو (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)

. (فصل) . العام على ثلاثة أقسام ( الاول ) الباقى على عمومه قال القاضى جلال الدين البلقينى ومثاله عزيز اذ ما من عام الا ويتخيل فيه التخصيص فقوله ياأيها الناس اتقوا ربكم قد يخص منه غير المكلف وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد وحرم الربا خص منه العرايا وذكر الزركشى فى البرهان انه كثير فى القرآن وأورد منه ( والله بكل شىء عليم إن الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم ربك أحدا الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة الله الذى جعل لكم الارض قرارا) ( قلت ) هذه الآيات كلها فى غير الاحكام الفرعية فالظاهر أن مراد البلقينى انه عزيز فى الاحكام الفرعية وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهى قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية فانه لا خصوص فيها ( الثانى ) العام المراد به الخصوص ( والثالث ) العام المخصوص وللناس بينهما فروق ان الاول لم يرد شموله لجميع الافراد لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها والثانى أريد عمومه وشموله لجميع الافراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم ومنها أن الاول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلى بخلاف الثانى فان فيه مذاهب أصحها أنه حقيقة وعليه أكثر الشافعية

وكثير

وان شفائى عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول
وليس فى البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظان كالاولين والبيت الأول منهما متعلق بقوله قفا نبك فكأنه قال قفا وقوف صحبى بها على مطيهم او قفا حال وقوف صحبى وقوله بها متأخر فى المعنى وان تقدم فى اللفظ ففى ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثانى مختل من جهة أنه قد جعل الدمع فى اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة أخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب ان يدخل على أن الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وقوله
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوع المسك منهما

وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء وقال الشيخ أبو حامد انه مذهب الشافعي وأصحابه وصححه السبكي لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصص وذلك التناول حقيقي اتفاقا فليكن هذا التناول حقيقيا أيضا ومنها أن قرينة الأول عقلية والثاني لفظية ومنها أن قرينة الأول لا تنفك عنه وقرينة الثاني قد تنفك عنه ومنها ان الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا وفي الثاني خلاف ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم والقائل واحد نعيم) بن مسعود الاشجعي أو اعرابي من خزاعة كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان قال الفارسي ومما يقوى أن المراد به واحد قوله انما ذلكم الشيطان فوقعت الاشارة بقوله ذلكم إلى واحد بعينه ولو كان المعنى به جمعا لقال انما أولئكم الشيطان فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ ومنها قوله تعالى (أم يحسدون الناس أي رسول الله ﷺ لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة ومنها قوله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) (أخرج) ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله (من حيث أفاض الناس قال ابراهيم ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير من حيث أفاض الناسي قال في المحتسب يعني آدم لقوله (فنسي ولم نجد له عزما ومنها قوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) أي جبريل كما في قراءة ابن مسعود وأما المخصوص فأمثلته في القرآن كثيرة جدا وهي أكثر من المنسوخ إذ ما من عام إلا وقد خص ثم المخصص له اما متصل وإما منفصل فالمتصل خمسة وقعت في القرآن احدها الاستثناء نحو (الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية (ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله إلا من تاب والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كل شيء هالك إلا وجهه) الثاني الوصف نحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية) الرابع الغاية نحو قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض الآية الخامس بدل البعض من الكل نحو (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) والمنفصل آية أخرى في محل آخر أو حديث أو اجماع أو قياس فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء خص بقوله إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة وبقوله وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن وحرمت عليكم الميتة والدم خص من الميتة السمك بقوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ومن الدم الجامد بقوله أو دما مسفوحا وقوله وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا الآية خص بقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص بقوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء خص بقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى وأحل الله البيع خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة وحرم الربا خص منه العرايا بالسنة وآيات المواريث خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة وآية ثلاثة قروء خص منها الأمة بالسنة وقوله ماء طهورا خص منه المتغير بالسنة وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية

نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل
أنت لا تشك في ان البيت الأول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وإن كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله إذا قامتا تضوع المسك منهما ولو أراد أن يجود أفاد ان بهما طيبا على كل حال فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الأول لم يصله به وصل مثله وقوله ففاضت دموع العين مني صبابة
على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل
قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله

المواريث خص منها الرقيق والايرث بالاجماع ذكره مكي ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب المخصص لعموم الآية ذكره مكي أيضا

* (فصل) * من خاص القرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثلته قوله تعالى حتى يعطوا الجزية خص عموم قوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى خص عموم نهيه ﷺ عن الصلاة فى الأوقات المكروهة باخراج الفرائض وقوله ومن أصوافها وأوبارها الآية خص عموم قوله ﷺ ما أبين من حي فهو ميت وقوله والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقوله فقاتلوا التي تبغي خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار (فروع) منثورة تتعلق بالعموم والخصوص الأول إذا سيق العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومه فيه مذاهب أحدها نعم إذ لا صارف عنه ولا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذم والثاني لا لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو للذم والثالث وهو الأصح التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام آخر لم يسبق لذلك ولا يعم إن عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى ان الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ومع المعارض قوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) فانه سيق للمدح وظاهره يعم الأختين بملك اليمين جمعا وعارضه فى ذلك وأن تجمعوا بين الأختين فانه شامل لجمعهما بملك اليمين ولم يسق للمدح فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له ومثاله فى الذم والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فانه سيق للذم وظاهره يعم الحلي المباح وعارضه فى ذلك حديث جابر ليس فى الحلي زكاة فحمل الأول على غير ذلك والثاني اختلف فى الخطاب الخاص به ﷺ نحو يا أيها النبي يا أيها الرسول هل يشمل الأمة فقيل نعم لأن أمر القدوة أمر لأتباعه معه عرفا والأصح فى الأصول المنع لاختصاص الصيغة به الثالث اختلف فى الخطاب بيا أيها الناس هل يشمل الرسول ﷺ على مذاهب أصحها وعليه الأكثرون نعم لعموم الصيغة له (أخرج) ابن أبي حاتم عن الزهري قال إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا فالنبي ﷺ منهم والثاني لا لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ولماله من الخصائص والثالث ان اقترن بقل لم يشمله لظهوره فى التبليغ وذلك قرينة عدم شموله وإلا فيشمله الرابع الأصح فى الأصول أن الخطاب بيا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعا الخامس اختلف فيمن هل يتناول الأنثى فالأصح نعم خلافا للحنفية لنا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى فالتفسير بهما دال على تناول من لهما وقوله ومن يقنت منكن لله واختلف فى جمع المذكر السالم هل يتناولها فالأصح لا وانما يدخلن بقرينة أما المكسر فلا خلاف فى دخولهن فيه السادس اختلف فى الخطاب بيا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين فالأصح لا لأن اللفظ قاصر على من ذكر وقيل ان شاركوهم فى المعنى شملهم والا فلا واختلف فى الخطاب بيا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب فقيل لا بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل نعم واختاره ابن السمعاني قال وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشريف لا تخصيص

(النوع السادس والأربعون) فى مجمله ومبينه المجمل ما لم تتضح دلالته وهو واقع فى القرآن خلافا لداود الظاهري وفى جواز بقائه مجملا أقوال أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره وللاجمال أسباب منها الاشتراك نحو والليل إذا عسعس فانه موضوع لأقبل وأدبر ثلاثة قروء فان القرء موضوع

للحيض

فى استعانة ضعيفة عند المتأخرين فى الصنعة وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو آخر لأن قوله بل دمعي محملي يغني عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعي محملي اعادة ذكره الدمع حشو آخر وكان يكفيه أن يقول حتى بلت محملي فاحتاج لاقامة الوزن إلى هذا كله ثم تقديره انه قد أفرط فى افاضة الدمع حتى بل محمله تفريط منه وتقصير ولو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعي مغانيهم وعراصهم ويشبه أن يكون غرضه اقامة الوزن والقافية إذ الدمع يبعد ان يبل المحمل وانما يقطر من الواقف والقاعد على الأرض أو على الذيل وان بله فلقلته وانه لا يقطر وأنت تجد فى شعر الخبز رزي ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب منه والبيت الثاني خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ

للحيض والطهر أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) يحتمل الزوج والولى فان كلا منهما بيده عقدة النكاح ومنها الحذف نحو وترغبون أن تنكحوهن يحتمل فى وعن ومنها اختلاف مرجع الضمير نحو اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يحتمل عود ضمير الفاعل فى يرفعه إلى ماعاد عليه ضمير اليه وهو الله ويحتمل عوده إلى العمل والمعنى أن العمل الصالح هو الذى يرفعه الكلم الطيب ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب أى أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل الامع الإيمان ومنها احتمال العطف والاستئناف نحو إلا الله والراسخون فى العلم يقولون ومنها غرابة اللفظ نحو فلا تعضلوهن ومنها عدم كثرة الاستعمال نحو يلقون السمع أى يسمعون ثانى عطفه) أى متكبر فاصبح يقلب كفيه أى نادما ومنها التقديم والتأخير نحو (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أى ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما يسألونك كأنك حفى عنها أى يسألونك عنها كأنك حفى ومنها قلب المنقول نحو طور سينين أى سينا على آل ياسين أى على الياس ومنها التكرير القاطع لوصل الكلام فى الظاهر نحو للذين استضعفوا لمن آمن منهم

• (فصل) • قد يقع التبيين متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الأبيض من الخيط الأسود ومنفصلا فى آية أخرى نحو (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره بعد قوله الطلاق مرتان) فانها بينت أن المراد به الطلاق الذى تملك الرجعة بعده ولولاها لكان الكل منحصرا فى الطلقتين (وقد أخرج) احمد وأبو داود فى ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم عن أبى رزين الأسدى قال قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال أو تسريح بإحسان (واخرج) ابن مردويه عن أنس قال قال رجل يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة دال على جواز الرؤية ويفسره أن المراد بقوله لا تدركه الأبصار قال لا تحيط به (وأخرج) عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية أليس قد قال لا تدركه الأبصار فقال ألست ترى السماء أفكلها ترى وقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم فسره قوله حرمت عليكم الميتة الآية وقوله مالك يوم الدين فسره قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين الآية وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فسره قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا فسره قوله فى آية النحل بالأنثى وقوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال العلماء بيان هذا العهد قوله لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى الخ فهذا عهده وعهدهم لا كفرن عنكم سيآتكم الخ وقوله (صراط الذين أنعمت عليهم بينه قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية وقد يقع التبيين بالسنة مثل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولله على الناس حج البيت وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكوات فى أنواعها . (تنبيه) . اختلف فى آيات هى من قبيل المجمل أولا منها آية السرقة قيل إنها مجملة فى اليد لأنها تطلق على العضو إلى الكوع وإلى المرفق وإلى المنكب وفى القطع لأنه يطلق على الابانة وعلى الجرح ولا ظهور لواحد من ذلك وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك وقيل لا إجمال فيها لأن القطع ظاهر فى الإبانة ومنها وامسحوا برءوسكم قيل إنها مجملة لترددها بين مسح الكل والبعض ومسح الشارع الناصية مبين لذلك وقيل لا وانما هى لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم وبغيره ومنها حرمت عليكم أمهاتكم قيل مجملة لأن اسناد التحريم إلى العين لا يصح لأنه إنما يتعلق بالفعل فلا بد من تقديره وهو محتمل لأمور لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها وقيل لا لوجود المرجح وهو العرف فانه يقضى بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء ونحوه ويجرى ذلك فى كل ما علق فيه التحريم والتحليل بالأعيان ومنها (واحل الله البيع وحرم الربا) قيل إنها مجملة لأن

---

يروق ولا معنى يروع من طبائع السوقة فلا يرعك تهويله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعذارى مطيتى
فيا عجبا من رحلها المتحمل
نظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل

تقديره اذكر يوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جلجل وليس فى المصراع الأول من هذا البيت الاسفاهته قال بعض الأدباء قوله ياعجبا يعجبهم من سفهه فى شبابه من نحره ناقته لهم وإنما اراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الأول وأراد أن يكون الكلام ملائما له وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الأول وظاهره أنه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس فى هذا تعجب كبير ولا فى نحر الناقة لهن تعجب وإن كان يعنى به

الربا الزيادة وما من بيع الا وفيه زيادة فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم وقيل لا لأن البيع منقول شرعا فحمل على عمومه مالم يقم دليل التخصيص وقال الماوردي للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال أحدها أنها عامة فإن لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ويقتضي إباحة جميعها الا ما خصه الدليل وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز فدل على أن الآية تناولت إباحة جميع البيوع إلا ما خص منها فبين صلى الله عليه وسلم الخصوص قال فعلى هذا في العموم قولان أحدهما أنه عموم أريد به العموم وإن دخله التخصيص والثاني أنه عموم أريد به الخصوص قال والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم عن اللفظ وفي الأول متأخر عنه مقترن به قال وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها مالم يقم دليل تخصيص والقول الثاني أنها مجملة لا يعقل منها صحة بيع من فساده الا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هل هي مجملة بنفسها أم بعارض ما نهى عنه من البيوع وجهان وهل الاجمال في المعنى المراد دون لفظها لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معقول لكن لما قام بازائه من السنة ما يعارضه تدافع العمومان ولم يتعين المراد الا ببيان السنة فصار مجملا لذلك دون اللفظ أو في اللفظ أيضا لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلا أيضا وجهان قال وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساده وإن دلت على صحة البيع من أصله قال وهذا هو الفرق بين العام والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل والقول الثالث أنها عامة مجملة معا قال واختلف في وجه ذلك على أوجه أحدها أن العموم في اللفظ والإجمال في المعنى فيكون اللفظ عاما مخصوصا والمعنى مجملا لحقه التفسير والثاني أن العموم في وأحل الله البيع والاجمال في وحرم الربا والثالث أنه كان مجملا فلما بينه النبي صلى الله عليه وسلم صار عاما فيكون داخلا في المجمل قبل البيان وفي العموم بعد البيان فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها (والقول) الرابع أنها تناولت بيعا معهودا ونزلت بعد أن أحل النبي صلى الله عليه وسلم بيوعا وحرم بيوعا فاللام للعهد فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها اه ومنها الآيات التي فيها الأسماء الشرعية (نحو أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولله على الناس حج البيت) قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء والصيام لكل امساك والحج لكل قصد والمراد بها لا تدل عليه اللغة وافتقر الى البيان وقيل لا بل يحمل على كل ماذكر الا ما خص بدليل *(تنبيه)* قال ابن الحصار من الناس من جعل المجمل والمحتمل بازاء شيء واحد قال والصواب أن المجمل اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا سواء كان حقيقة في كلها أو بعضها قال والفرق بينهما أن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينهما والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل

* (النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه) * أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الانباري ومكي وابن العربي وآخرون قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي لقاص أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت وفي هذا النوع مسائل الأولى يرد النسخ بمعنى الازالة ومنه قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وبمعنى التبديل ومنه (وإذا بدلنا آية) مكان آية وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه قال

انهن حملن رحله وإن بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحله فهذا قليل يشبه أن يكون عجيبا لكن الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا وإلى هذا الوضع لم يمر له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فيعدونه حسنا ويعدون التشبيه مليحا واقعا وفيه شيء وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فمرت مرسلة وهذا نقص في الصنعة وعجز عن إعطاء الكلام حقه وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال إن العرب تفتخر بذلك ولا يرونه

وهذا الوجه لا يصح أن يكون فى القرآن وانكر على النحاس اجازته ذلك محتجا بأن الناسخ فيه لا يأتى بلفظ المنسوخ وانه انما يأتى بلفظ آخر وقال السعيدى يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقال وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ومعلوم أن ما نزل من الوحى نجوما جميعه فى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى (فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) الثانية النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى واختلف العلماء فقيل لا ينسخ القرآن إلا بقرآن كقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قالوا ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه إلا قرآن وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى وما ينطق عن الهوى وجعل منه آية الوصية الآتية والثالث إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحى نسخت وان كانت باجتهاد فلا حكاه ابن حبيب النيساورى فى تفسيره وقال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة وقد بسطت فروع هذه المسئلة فى شرح منظومة جمع الجوامع فى الاصول الثالثة لا يقع النسخ إلا فى الامر والنهى ولو بلفظ الخبر أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد واذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتب النسخ كثيرا من آيات الاخبار والوعد والوعيد الرابعة النسخ أقسام أحدها نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوي الثانى نسخ ما كان شرعا لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية أو كان أمر أمرا جمليا كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان وانما يسمى هذا نسخا تجوزا الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالامر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بايجاب القتال وهذا فى الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها فالمنسأ هو الامر بالقتال الى ان يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الاذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هى من المنسأ بمعنى ان كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعله تقتضى ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر وليس بنسخ انما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله وقال مكى ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله فى البقرة (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) محكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه الخامسة قال بعضهم سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاثة وأربعون سورة الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعدها والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن إلا التين والعصر والكافرين وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتاليها والاحزاب وسبأ والمؤمن وشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والاعلى وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الاربعون الباقية وفيه نظر يعرف مما سيأتى السادسة قال مكى الناسخ أقسام فرض نسخ فرضا ولا يجوز العمل بالاول كنسخ الحبس للزوانى بالحد وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل بالاول كآية المصاهرة وفرض نسخ ندبا كالقتال كان ندبا ثم صار فرضا وندب نسخ فرضا كقيام الليل نسخ بالقراءة فى قوله فاقرءوا ما تيسر من

عيبا وانما الفرس هم الذين يرون هذا عيبا شنيعا وأما تشبيه الشحم بالدمقس فشىء يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشىء قد سبق اليه وانما زاد المفتل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعد أهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه قريبا وفيه شىء آخر وهو ان تبجحه بما أطعم للاحباب مذموم وان سوغ التبجح بما أطعم للاضياف الا أن يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبى نواس فى المزاح والمداعبة وقوله

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات انك مرجلى

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكريرا لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيره ولا ملاحة له ولا

القرآن السابعة النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا قالت عائشة
كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما
يقرأ من القرآن رواه الشيخان وقد تكلموا فى قولها وهن مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة
وليس كذلك (وأجيب) بأن المراد قارب الوفاة أو ان التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد
وفاة رسول الله ﷺ فتوفى وبعض الناس يقرؤها وقال أبو موسى الاشعرى نزلت ثم رفعت
وقال مكى هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو والناسخ أيضا غير متلو ولا أعلم له نظيرا اه (الضرب
الثانى) ما نسخ حكمه دون تلاوته وهذا الضرب هو الذى فيه الكتب المؤلفة وهو على الحقيقة قليل
جدا وان أكثر الناس من تعديد الآيات فيه فان المحققين منهم كالقاضى أبى بكر بن العربى بين ذلك
وأتقنه والذى أقوله ان الذى أورده المكثرون أقسام قسم ليس من النسخ فى شىء ولا من التخصيص
ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه وذلك مثل قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون وأنفقوا مما رزقناكم)
ونحو ذلك قالوا انه منسوخ بآية الزكاة وليس كذلك بل هو باق أما الاولى فانها خبر فى معرض الثناء عليهم
بالانفاق وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالانفاق على الاهل وبالانفاق فى الامور المندوبة كالاعانة
والاضافة وليس فى الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة والآية الثانية يصلح حملها على الزكاة
وقد فسرت بذلك وكذا قوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) قيل انها مما نسخ بآية السيف وليس
كذلك لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبدا لا يقبل هذا الكلام النسخ وان كان معناه الامر بالتفويض
وترك المعاقبة وقوله فى البقرة وقولوا للناس حسنا عده بعضهم من المنسوخ بآية السيف وقد غلطه ابن
الحصار بأن الآية حكاية عما أخذه على بنى اسرائيل من الميثاق فهو خبر فلا نسخ فيه وقس على ذلك
وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ وقد اعتنى ابن العربى بتحريره فأجاد كقوله (ان الانسان
لفى خسر الا الذين آمنوا والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره)
وغير ذلك من الآيات التى خصت باستثناء أو غاية وقد أخطأ من أدخلها فى المنسوخ ومنه قوله ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن قيل انه نسخ بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وانما هو مخصوص
به وقسم رفع ما كان عليه الامر فى الجاهلية أو فى شرائع من قبلنا أو فى أول الاسلام ولم ينزل فى القرآن
كابطال نكاح نساء الآباء ومشروعية القصاص والدية وحصر الطلاق فى الثلاث وهذا ادخاله فى قسم
الناسخ قريب ولكن عدم ادخاله أقرب وهو الذى رجحه مكى وغيره ووجهوه بأن ذلك لو عد فى الناسخ
لعد جميع القرآن منه إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب قالوا وانما حق الناسخ
والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية اه نعم النوع الآخر منه وهو رافع ما كان فى أول الاسلام ادخاله
أوجه من القسمين قبله إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التى اوردها المكثرون الجم الغفير مع آيات
الصفح والعفو ان قلنا ان آية السيف لم تنسخها وبقى مما يصلح لذلك عدد يسير وقد أفردته بأدلته فى
تأليف لطيف وها أنا أورده هنا محررا فمن البقرة قوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية
منسوخة قيل بآية المواريث وقيل بحديث ألا لا وصية لوارث وقيل بالاجماع حكاه ابن العربى
قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية قيل منسوخة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل
محكمة ولا مقدرة قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث ناسخة لقوله كما كتب على الذين من قبلكم لأن
مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الاكل والوطء بعد النوم ذكره ابن العربى وحكى قولا
آخر أنه نسخ لما كان بالسنة قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية منسوخة بقوله وقاتلوا
المشركين كافة الآية أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة قوله تعالى والذين يتوفون منكم الى قوله

رونق وقوله فى المصراع
الاخير من هذا البيت
فقالت لك الويلات انك
مرجلى كلام مؤنث من
كلام النساء نقله من
جهته الى شعره وليس
فيه غير هذا وتكريره
بعد ذلك تقول وقد مال
الغبيط بمعنى قتب الهودج
بعد قوله فقالت لك
الويلات انك مرجلى
لا فائدة فيه غير تقدير
الوزن والا لحكاية قولها
الاول كاف وهو فى النظم
قبيح لانه ذكر مرة فقالت
ومرة تقول فى معنى واحد
وفصل خفيف وفى
مصراع الثانى أيضا
تأنيث من كلامهن
وذكر أبو عبيدة انه قال
عقرت بعيرى ولم يقل
ناقتى لانهم يحملون
النساء على ذكور الابل
لانها أقوى وفيه نظر
لان الاظهر ان البعير
اسم للذكر والانثى
واحتاج الى ذكر البعير
لاقامة الوزن وقوله
فقلت لها سيرى وأرخى
زمامه
ولا تبعدينى من جناك
المعلل

متاعا إلى الحول منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرا والوصية منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث ولا سكنى قوله تعالى (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) منسوخة بقوله بعده لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومن آل عمران قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقيل لا بل هو محكم وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية ومن النساء قوله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم منسوخة بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) قوله تعالى وإذا حضر القسمة الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها وقوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة الآية منسوخة بآية النور ومن المائدة قوله تعالى ولا الشهر الحرام منسوخة بإباحة القتال فيه قوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم منسوخة بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله قوله تعالى أو آخران من غيركم منسوخ بقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم ومن الانفال قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الآية منسوخة بالآية بعدها ومن براءة قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا منسوخة بآيات العذر وهو قوله ليس على الاعمى حرج الآية وقوله ليس على الضعفاء الآيتين وبقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ومن النور قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية الآية منسوخة بقوله وأنكحوا الايامى منكم قوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها ومن الاحزاب قوله تعالى لا تحل لك النساء الآية منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك الآية ومن المجادلة قوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية منسوخة بالآية بعدها ومن الممتحنة قوله تعالى فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا قيل منسوخ بآية السيف وقيل بآية الغنيمة وقيل محكم ومن المزمل قوله قم الليل الا قليلا منسوخ بآخر السورة ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس فهذه احدى وعشرون آية منسوخة على خلاف فى بعضها لا يصح دعوى النسخ فى غيرها والاصح فى آية الاستئذان والقسمة الاحكام فصارت تسعة عشر ويضم اليها قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله على رأى ابن عباس انها منسوخة بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية فتمت عشرون وقد نظمتها فى أبيات فقلت

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد ... وأدخلوا فيه آيا ليس تنحصر
وهاك تحرير آى لا مزيد لها ... عشرين حررها الحذاق والكبر
آى التوجه حيث المرء كان وان ... يوصى لاهليه عند الموت محتضر
وحرمة الاكل بعد النوم مع رفث ... وفدية لمطيق الصوم مشتهر
وحق تقواه فيما صح فى أثر ... وفى الحرام قتال للأولى كفروا
والاعتداد بحول مع وصيتها ... وأن يدان حديث النفس والفكر
والحلف والحبس للزانى وترك أولى ... كفروا شهادهم والصبر والنفر
ومنع عقد لزان أو لزانية ... وما على المصطفى فى العقد محتظر
ودفع مهر لمن جاءت وآية نجـ ... ـواه كذاك قيام الليل مستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت ... وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

(فان قلت) ما الحكمة فى رفع الحكم وبقاء التلاوة (فالجواب) من وجهين أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة والثانى أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا للنعمه ورفع المشقة وأما ما ورد فى القرآن ناسخا لما كان عليه الجاهلية أو كان فى شرع من قبلنا أو فى أول الاسلام فهو أيضا قليل العدد كنسخ

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذى تمائم مغيلى

البيت الأول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المنحطين فى الصنعة وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لان الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثانى فى الاعتذار والاستهتار والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الأول لان تقديره لا تبعدينى عن نفسك فانى أغلب النساء واخدعهن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستخفاف

استقبال بيت المقدس بآية القبلة وصوم عاشوراء بصوم رمضان فى أشياء أخر حررتها فى كتابى المشار اليه (فوائد منثورة) قال بعضهم ليس فى القرآن ناسخ الا والمنسوخ قبله فى الترتيب الا فى آيتين آية العدة فى البقرة وقوله لا تحل لك النساء كما تقدم وزاد بعضهم ثالثة وهى آية الحشر فى الفىء على رأى من قال انها منسوخة باية الانفال واعلموا أنما غنمتم من شىء وزاد قوم رابعة وهى قوله خذ العفو يعنى الفضل من أموالهم على رأى من قال انها منسوخة باية الزكاة وقال ابن العربى كل مافى القرآن من الصفح عن الكفار والتولى والاعراض والكف عنهم منسوخ باية السيف وهى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الآية نسخت مائة وأربعا وعشرين آية ثم نسخ آخرها أولها اه وقد تقدم مافيه وقال أيضا من عجيب المنسوخ قوله تعالى خذ العفو الآية فان أولها وآخرها وهو وأعرض عن الجاهلين منسوخ ووسطها محكم وهو وأمر بالعرف وقال من عجيبه أيضا آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها وهى قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) يعنى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ناسخ لقوله (عليكم أنفسكم وقال السعيدى لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية مكثت ستة عشر سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية ان المنسوخ من هذه الجملة وأسيرا والمراد بذلك أسير المشركين فقرىء عليه الكتاب وابنته تسمع فلما انتهى الى هذا الموضع قالت له اخطأت ياأبت قال وكيف قالت أجمع المسلمون على أن الاسير يطعم ولا يقتل جوعا فقال صدقت وقال شيدلة فى البرهان يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخا كقوله لكم دينكم ولى دين نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه بقوله حتى يعطوا الجزية كذا قال وفيه نظر من وجهين أحدهما ماتقدمت الإشارة اليه والآخر أن قوله حتى يعطوا الجزية مخصص للاية لا ناسخ نعم يمثل له باخر سورة المزمل فانه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات وقوله انفروا خفافا وثقالا ناسخ لآيات الكف منسوخ بايات العذر (وأخرج) أبو عبيد عن الحسن وأبى ميسرة قالا ليس فى المائدة منسوخ ويشكل بما فى المستدرك عن ابن عباس أن قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وأخرج) أبو عبيد وغيره عن ابن عباس قال أول مانسخ من القرآن نسخ القبلة (وأخرج) أبو داود فى ناسخه من وجه آخر عنه قال أول آية نسخت من القرآن القبلة ثم الصيام الأول قال مكى وعلى هذا فلم يقع فى المكى ناسخ قال وقد ذكر أنه وقع فيه فى آيات منها قوله تعالى فى سورة غافر (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فانه ناسخ لقوله ويستغفرون لمن فى الأرض قلت أحسن من هذه نسخ قيام الليل فى أول سورة المزمل باخرها أو بايجاب الصلوات الخمس وذلك بمكة اتفاقا (تنبيه) قال ابن الحصار انما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر قال ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد قال والناس فى هذا بين طرفى نقيض فمن قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الاحاد العدول ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قولهما اه (الضرب) الثالث مانسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها (وأجاب) صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به

به أسخفه ودخوله كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف من مثله ويأنف من ذكره وكقوله

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لم يحول

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت ... على وآلت حلفة لم تحلل

فالبيت الأول غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد ان هذا ليبغضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز أن يكون كاذبا ثم ليس فى البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع التى لها ولد محول فأما البيت الثانى وهو قوله ويوما

مقدار طاعة هذه الامة فى المصارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق
مقطوع به فيسرعون بأيسر شىء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحى وأمثلة
هذا الضرب كثيرة قال أبو عبيدة حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن
أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه
ماظهر وقال حدثنا ابن أبى مريم عن ابن لهيعة عن ابن الاسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت
كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمن النبى ﷺ مائتى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم
نقدر منها الا ماهو الآن وقال حدثنا اسمعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبى النجود
عن ذر بن حبيش قال لى أبى بن كعب كأين تعد سورة الاحزاب قلت اثنتين وسبعين آية او ثلاثة
وسبعين آية قال ان كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم قلت وما آية الرجم قال
(اذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) وقال حدثنا عبد الله بن صالح
عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن مروان بن عثمان عن أبى امامة بن سهل أن
خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما
قضيا من اللذة وقال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى ابن ابى حميدة عن حميدة بنت أبى يونس قالت قرأ
عن أبى وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة (ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاول) قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف
وقال حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبى واقد الليثى
قال كان رسول الله ﷺ اذا أوحى اليه أتيناه فعلمنا مما أوحى اليه قال فجئت ذات يوم
فقال ان الله يقول انا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا لاحب أن يكون
اليه الثانى ولو كان اليه الثانى لاحب أن يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب
الله على من تاب (وأخرج) الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال قال لى رسول صلى الله عليه
وسلم ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ومن
بقيتها لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فاعطيه سأل ثالثا ولا يملأ
جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا
النصرانية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقال أبو عبيدة حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد
عن أبى حرب بن أبى الاسود عن أبى موسى الاشعرى قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها
(ان الله سيؤيد هذا الدين باقوام لاخلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ
جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب) (وأخرج) ابن أبى حاتم عن أبى موسى الاشعرى
قال كنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات ما نسيناها غير انى حفظت منها ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا
مالا تفعلون فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة وقال أبو عبيدة حدثنا حجاج عن سعيد
عن الحكم بن عتيبة عن عبد بن عدى قال قال عمر كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ثم قال لزيد بن
ثابت أكذلك قال نعم وقال حدثنا ابن أبى مريم عن نافع بن عامر الجمحى حدثنى ابن أبى مليكة عن المسور
ابن مخرمة قال قال عمر لعبد الرحمن عوف ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة
فانا لا نجدها قال اسقطت فيما أسقط من القرآن وقال حدثنا ابن ابى مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو
المعافرى عن أبى سفيان الكلاعى أن مسلمة بن مخلد الانصارى قال لهم ذات يوم أخبرونى بآيتين فى
القرآن لم يكتبا فى المصحف فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك فقال ابن مسلمة (ان الذين آمنوا

يتعجب منه وإنما تشددت
وتعسرت عليه وحلفت
عليه فهو كلام ردىء
النسج لافائدة لذكره لنا
أن حبيبته تمنعت عليه
يوما بموضع يسميه ويصفه
وأنت تجد فى شعر المحدثين
من هذا الجنس فى التغزل
مايذوب معه اللب
وتطرب عليه النفس
وهذا مما تستنكره النفس
ويشمئز منه القلب وليس
فيه شىء من الاحسان
والحسن وقوله
افاطم مهلا بعض هذا
التدلل
وان كنت قد أزمعت
صرمى فأجملى
أغرك منى أن حبك
قاتلى
وأنك مهما تأمرى القلب
يفعل فالبيت الاول
فيه ركاكة جدا وتأنيث
ورقة ولكن فيها تخنيث
ولعل قائلا يقول إن
كلام النساء بما يلائمهن
من الطبع اوقع وأغزل
وليس كذلك لانك تجد
الشعراء فى الشعر المؤنث
لم يعدلوا عن رصانة قولهم
والمصراع التالى منقطع
عن الأول لايلائمه ولا

وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وأخرج) الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر قال قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فاصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال إنها مما نسخ فالهوا عنها وفى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع (أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا) وفى المستدرك عن حذيفة قال ما تقرءون ربعها يعنى براءة قال الحسين بن المنادى فى كتابه الناسخ والمنسوخ ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت فى الوتر وتسمى سورتى الخلع والحفد. ※ (تنبيه) ※ حكى القاضى أبو بكر فى الانتصار عن قوم انكار هذا الضرب لان الاخبار فيه اخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها وقال أبو بكر الرازى نسخ الرسم والتلاوة وانما يكون بان ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالاعراض عن تلاوته وكتبه فى المصحف فيندرس على الايام كسائر كتب الله القديمة التى ذكرها فى كتابه (فى قوله ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) ولا يعرف اليوم منها شىء ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فى زمان النبى ﷺ حتى إذا توفى لا يكون متلوا من القرآن أو يموت وهو متلو موجود بالرسم ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شىء من القرآن بعد وفاة النبى ﷺ اه وقال فى البرهان فى قول عمر لولا أن تقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها يعنى آية الرجم ظاهره ان كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس والجائز فى نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فاذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لان هذا شأن المكتوب وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج على مقالة الناس لان مقالة الناس لا تصلح مانعا وبالجملة هذه الملازمة مشكلة ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد والقرآن لا يثبت به وان ثبت الحكم ومن هنا أنكر ابن ظفر فى الينبوع عد هذا مما نسخ تلاوته قال لان خبر الواحد لا يثبت القرآن قال وانما هذا من المنسأة لا النسخ وهما مما يلتبسان والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه اه وقوله لعله كان يعتقد أنه خبر واحد مردود فقد صح أنه تلقاها من النبى ﷺ (وأخرج) الحاكم من طريق كثير ابن الصلت قال كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الاية فقال زيد سمعت رسول ﷺ يقول (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة) فقال عمر لما نزلت أتيت النبى صلى ﷺ فقلت أكتبها فكأنه كره ذلك فقال عمر ألا ترى أن الشيخ اذا زنى ولم يحصن جلد وان الشاب إذا زنا وقد أحصن رجم قال ابن حجر فى شرح المنهاج فيستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها قلت وخطرت لى فى ذلك نكتة حسنة وهو ان سببه التخفيف على الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها فى المصحف وان كان حكمها باقيا لانه أثقل الأحكام واشدها وأغلظ الحدود وفيه الاشارة إلى ندب الستر (وأخرج) النسائى ان مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها فى المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر أنا أكفيكم فقال يا رسول الله اكتب لى آية الرجم قال لا تستطيع قوله اكتب لى أى ائذن لى فى كتابتها ومكنى من ذلك (وأخرج) ابن الضريس فى فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد ابن أسلم أن عمر خطب الناس فقال لا تشكوا فى الرجم فانه حق ولقد هممت أن اكتبه فى المصحف فسألت أبى بن كعب فقال أليس اتيتنى وأنا استقرئها رسول الله ﷺ فدفعت فى صدرى

وقلت

يوافقه وهذا يبين لك اذا أعترضت معه البيت الذى تقدمه وكيف ينكر عليها تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثانى قد عيب عليه لانه قد أخبر أن من سبيلها ان لا تغتر بما يريها من أن حبها يقتله وأنها تملك قلبه فما أمرته فعله والمحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل فى وجه آخر من المناقضة والاحالة فى الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمرينى والقلب لا يؤمر والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءتك منى خليقة
فسلى ثيابى عن ثيابك تنسلى
وما ذرفت عيناك الا لتضربى

وقلت تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر قال ابن حجر وفيه إشارة إلى بيان السبب فى رفع تلاوتها وهو الاختلاف . (تنبيه) . قال ابن الحصار فى هذا النوع ان قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا أخبار لا يدخله خلف فالجواب أن تقول كل ما ثبت الآن فى القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت من تلاوته فكلما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله بما علمناه وتواتر الينا لفظه ومعناه

(النوع الثامن والأربعون) . فى مشكله وموهم الاختلاف والتناقض أفرده بالصنيف قطرب والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولكن قد يقع للمبتدى ما يوهم اختلافا وليس به فى الحقيقة فاحتيج لازالته كما صنف فى مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة وقد تكلم فى ذلك ابن عباس وحكى عنه التوقف فى بعضها قال عبد الرزاق فى تفسيره أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال رأيت أشياء تختلف على من القرآن فقال ابن عباس ما هو أشك قال ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتمون الله حديثا) فقد كتموا وأسمعه يقول (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين حتى بلغ طائعين ثم قال فى الآية الأخرى أم السماء بناها ثم قال والأرض بعد ذلك دحاها وأسمعه يقول كان الله ما شأنه يقول وكان فقال ابن عباس أما قوله (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم لما رأوا يوم القيامة وان الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون رجاء ان يغفر لهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا وأما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فانه إذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله خلق الأرض فى يومين فان الأرض قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض وأما قوله والأرض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وأما قوله كان الله فان الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وان الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذى أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أخرجه بطوله الحاكم فى المستدرك وصححه وأصله فى الصحيح قال ابن حجر فى شرحه حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع الأول نفى المسئلة يوم القيامة واثباتها الثانى كتمان المشركين حالهم وافشاؤه الثالث خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم الرابع الإتيان بحرف كان الدالة على المضى مع أن الصفة لازمة (وحاصل) جواب ابن عباس عن الأول أن نفى المسئلة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك وعن الثانى انهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم وعن الثالث انه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين فتلك أربعة أيام للأرض وعن الرابع بان كان وان كانت للماضى لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك فاما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر ان نفى المسئلة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط

بسهميك فى أعشار قلب مقتل البيت الأول قد قيل فى تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى (وثيابك فطهر) وقال أبو عبيدة هذا مثل للهجر وتنسل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضيعه وكل ما أضاف إلى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب قطعه فلم لم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد أن ليست له خليقة توجب هجرانه والتقصى من وصله وانه مهذب الأخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله والاستعارة فى المصراع الثانى فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثانى فممدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت إلا لتجرحى قلبا معشرا أى مكسرا من قولهم برمة أعشار إذا كانت قطعا هذا تأويل ذكره الأصمعى رضى الله

واثباتها فيما عداذلك وهذا منقول عن السدى أخرجه ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس ان نفى المسئلة عند النفخة الأولى واثباتها بعد النفخة الثانية وقد تأول ابن مسعود نفى المسألة على معنى آخر وهو طلب بعضهم العفو فأخرج ابن جرير من طريق زادان قال أتيت ابن مسعو فقال يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى ألا إن هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت قال فتود المرأة يومئذ أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ومن طريق آخر ما قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئا ولا يتساءلون به ولا يمت برحم وأما الثانى فقد ورد بابسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال قول الله ولا يكتمون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال انى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم آتى ابن عباس ألقى عليه متشابه القرآن فأخبرهم ان الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون ان الله لا يقبل إلا ممن وحده فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم على أفواههم وتستنطق جوارحهم ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث وفيه ثم يلقى الثالث فيقول رب آمنت بك وبكتابك ورسولك ويثنى ما استطاع فيقول الآن نبعث شاهدا عليك فيذكر فى نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه وتنطق جوارحه وأما الثالث ففيه أجوبة أخرى منها ان ثم بمعنى الواو فلا ايراد وقيل المراد ترتيب الخبر لا المخبر به كقوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل على بابها وهى لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى الزمان وقيل خلق بمعنى قدر وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه انه أراد انه سمى نفسه غفورا رحيما وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقضى وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان لأنه تعالى إذا أراد المغفرة والرحمة فى الحال أو الاستقبال وقع مراده قاله الشمس الكرمانى قال ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين أحدهما أن التسمية هى التى كانت وانتهت والصفة لا نهاية لها والآخر ان معنى كان الدوام فانه لا يزال كذلك ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على دفعهما كان يقال هذا اللفظ مشعر بأنه فى الزمان الماضى كان غفورا رحيما مع انه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم وبانه ليس فى الحال كذلك كما يشعر به لفظ كان والجواب عن الأول بانه كان فى الماضى يسمى به وعن الثانى بان كان تعطى معنى الدوام وقد قال النحاة كان لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا وقد أخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس ان يهوديا قال له انكم تزعمون ان الله كان عزيزا حكيما فكيف هو اليوم فقال انه كان فى نفسه عزيزا حكيما ( موضع آخر ) توقف فيه ابن عباس قال أبو عبيد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة وقوله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه الله أعلم بهما واخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه وزاد ما أدرى ماهى وأكره أن أقول فيهما ما لا اعلم قال ابن أبى مليكة فضربت البعير حتى دخلت على سعيد ابن المسيب فسئل عن ذلك فلم يدر ما يقول فقلت له ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم منى وروى عن ابن عباس أيضا ان يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه اليه ويوم الألف فى سورة الحج هو أحد الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات ويوم الخمسين ألف هو يوم القيامة فاخرج ابن أبى حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال له حدثنى ما هؤلاء الآيات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال وان يوما

عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فاراد انك ذهبت بقلبى أجمع ويعنى بقوله مقتل مذلل وأنت تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للأبيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بيناه ويشبه أن يكون من قال بالتأويل الثانى فزع اليه لأنه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الأول لأن القائل إذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما ساقطا مرذولا وهو يرى ان معنى الكلمة ان عينيها كالسهمين النافذين فى اصابة قلبه المجروح فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التأويل الثانى سلم من الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه إذا حمل على الثانى فسد المعنى واخل لأنه ان كان محتاجا على

عند

عند ربك كالف سنة فقال يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة والسموات فى ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ذلك مقدار السير وذهب بعضهم الى ان المراد بها يوم القيامة وانه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله (يوم عسير على الكافرين غير يسير)

* (فصل) * قال الزركشى فى البرهان للاختلاف أسباب أحدها وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى كقوله فى خلق آدم من تراب ومرة من حمإ مسنون ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمإ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها الى جوهر وهو التراب ومن التراب درجت هذه الاحوال وكقوله فاذا هى ثعبان وفى موضع تهتز كأنها جان والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته الثانى لاختلاف الموضع كقوله (وقفوهم انهم مسئولون وقوله فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين مع قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قال الحليمى فتحمل الآية الاولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه وحمله غيره على اختلاف الاماكن لان فى القيامة مواقف كثيرة ففى موضع يسئلون وفى آخر لا يسئلون وقيل ان السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ والمنفى سؤال المعذرة وبيان الحجة وكقوله (اتقوا الله حق تقاته مع قوله فاتقوا الله ما استطعتم) حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلى الاولى على التوحيد بدليل قوله بعدها (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) والثانية على الاعمال وقيل بل الثانية ناسخة للاولى وكقوله (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة مع قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فالاولى تفهم امكان العدل والثانية تنفيه (والجواب) ان الاولى فى توفية الحقوق والثانية فى الميل القلبى وليس فى قدرة الانسان وكقوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء مع قوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فالاولى فى الامر الشرعى والثانية فى الامر الكونى بمعنى القضاء والتقدير الثالث لاختلافهما فى جهتى الفعل كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت اضيف القتل اليهم والرمى اليه ﷺ على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير الرابع لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) أى سكارى من الاهوال مجازا لا من الشراب حقيقة الخامس بوجهين واعتبارين كقوله (فبصرك اليوم حديد مع قوله خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) قال قطرب فبصرك أى علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أى علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسى ويدل على ذلك قوله فكشفنا عنك غطاءك وكقوله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله مع قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة (وجوابه) أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك وقد جمع بينهما فى قوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ومما استشكلوه قوله تعالى (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا فانه يدل على حصر المانع من الايمان فى أحد هذين الشيئين وقال فى آية أخرى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) فهذا حصر آخر فى غيرهما (وأجاب) ابن عبد السلام بأن معنى الآية الأولى وما منع الناس أن يؤمنوا الا ارادة أن تأتيهم سنة الاولين من الخسف أو غيره أو يأتيهم العذاب قبلا فى الآخرة فاخبر أنه اراد ان يصيبهم أحد الامرين ولا

ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لأنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتا وكان بديعا ولا عيب فيه فليس بعجيب لأنه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفى ان نبين ان ماسبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين فضلا عن المتقدمين وانما قدم فى شعره لابيات قد برع فيها وبان حذقه بها وانما انكرنا ان يكون شعره متناسبا فى الجودة ومتشابها فى صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وعربية

شك أن ارادة الله مانعة من وقوع ما ينافى المراد فهذا حصر فى السبب الحقيقى لان الله هو المانع فى الحقيقة ومعنى الآية الثانية وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب بعثه بشرا رسولا لان قولهم ليس مانعا من الايمان لانه لا يصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب للمانعية واستغرابهم ليس مانعا حقيقيا بل عاديا لجواز وجود الايمان معه بخلاف ارادة الله تعالى فهذا حصر فى المانع العادى والأول حصر فى المانع الحقيقى فلا تنافى أيضا ومما استشكل أيضا قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فمن أظلم ممن كذب على الله مع قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ومن أظلم ممن منع مساجد الله) إلى غير ذلك من الآيات ووجهه ان المراد بالاستفهام هنا النفى والمعنى لا احد أظلم فيكون خبرا وإذا كان خبرا وأخذت الآيات على ظواهرها أدى إلى التناقض (وأجيب) بأوجه منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته أي لا أحد من المانعين اظلم ممن منع مساجد الله ولا احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله كذبا وإذا تخصص بالصلة فيها زال التناقض ومنها ان التخصيص بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم وهذا يؤول معناه إلى ما قبله لان المراد السبق إلى المانعية والافترائية ومنها وادعى أبو حيان انه الصواب أن نفى الاظلمية لا يستدعى نفى الظالمية لأن نفى المقيد لا يدل على نفى المطلق وإذا لم يدل على نفى الظالمية لم يلزم التناقض لان فيها اثبات التسوية فى الاظلمية وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن احد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لانهم يتساوون فى الاظلمية وصار المعنى لا احد اظلم ممن افترى ومن منع ونحوها ولا اشكال فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية ولا يدل على ان احد هؤلاء اظلم من الآخر كما إذا قلت لا أحد أفقه منهم اه (وحاصل الجواب) ان نفى التفضيل لا يلزم منه نفى المساواة وقال بعض المتأخرين هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد اثبات الاظلمية المذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره وقال الخطابى سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس ابن سريج قال سأل رجل بعض العلماء عن قوله لا أقسم بهذا البلد فأخبره انه لا يقسم به ثم اقسم به فى قوله وهذا البلد الامين فقال أيما احب اليك اجيبك ثم اقطعك أو اقطعك ثم اجيبك فقال بل اقطعنى ثم اجبنى فقال له اعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم وكانوا احرص الخلق على ان يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به واسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ما انكرت ثم قال له ان العرب قد تدخل لا فى اثناء كلامها وتلغى معناها وانشد فيه ابياتا (تنبيه) قال الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى إذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخا وان لم يعلم وكان الاجماع على العمل باحدى الآيتين علم باجماعهم ان الناسخ ما اجمعوا على العمل بها قال ولا يوجد فى القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين قال غيره وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو وارجلكم بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف وقال الصيرفى فى جماع الاختلاف والتناقض ان كل كلام صح ان يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض فى اللفظ ما ضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شىء من ذلك أبدا وانما يوجد فيه النسخ فى وقتين وقال القاضى أبو بكر لا يجوز تعارض آى القرآن والآثار وما يوجبه العقل فلذلك لم يجعل قوله الله خالق كل شىء معارضا لقوله وتخلقون افكا وإذ تخلق من الطين لقيام الدليل العقلى أنه لا خالق غير الله فتعين تأويل ما عارضه فيؤول وتخلقون على تكذبون وتخلق

كالمهل مستنكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى فى اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهوبها غير معجل

تجاوزت احراسا اليها ومعشرا
على حراصا لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر فى صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هى دائرة فى افواه العرب وتشبيه سائر ويعنى بقوله غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا واحيانا بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجأش فلا يستعجل اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى البيت كبير

على تصور (فائدة) قال الكرمانى عند قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) الاختلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو مايدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن واختلاف تلازم وهو مايوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهى والوعد والوعيد

*(النوع التاسع والأربعون) فى مطلقه ومقيده (المطلق) الدال على الماهية بلا قيد وهو مع القيد كالعام مع الخاص قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه وإلا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط أن الله إذا حكم فى شىء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فان لم يكن له أصل يرد اليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وان كان له أصل يرد غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر فالأول مثل اشتراط العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق والوصية فى قوله (وأشهدوا ذوى عدل منكم وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وقد أطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله وأشهدوا إذا تبايعتم فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم والعدالة شرط فى الجميع ومثل تقييده ميراث الزوجين بقوله من بعد وصية يوصين بها أو دين واطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعد الوصية والدين وكذلك مااشترط فى كفارة القتل من الرقبة المؤمنة واطلاقها فى كفارة الظهار واليمين والمطلق كالمقيد فى وصف الرقبة وكذلك تقييد الأيدى بقوله إلى المرافق فى الوضوء واطلاقه فى التيمم وتقييد احباط العمل بالردة بالموت على الكفر فى قوله (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) الآية وأطلق فى قوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وتقييد تحريم الدم بالمسفوح فى الانعام وأطلق فيما عداها فمذهب الشافعى حمل المطلق على المقيد فى الجميع ومن العلماء من لا يحمل ويجوز اعتاق الكافر فى كفارة الظهار واليمين ويكتفى فى التيمم بالمسح إلى الكوعين ويقول ان الردة تحبط العمل بمجردها والثانى مثل تقييد الصوم بالتتابع فى كفارة القتل والظهار وتقييده بالتفريق فى صوم التمتع وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان فيبقى على اطلاقه من جوزه مفرقا ومتتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافى القيدين وهما التفريق والتتابع وعلى أحدهما لعدم المرجح (تنبيهات) الأول إذا قلنا يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس مذهبان وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق اكتفاء بالقيد وطلبا للايجاز والاختصار الثانى ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد وانما اختلفا فى الاطلاق والتقييد فاما إذا حكم فى شىء بأمور ثم فى آخر ببعضها وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضى الالحاق كالامر بغسل الاعضاء الأربعة فى الوضوء وذكر فى التيمم عضوين فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضا وكذلك ذكر العتق والصوم والاطعام فى كفارة الظهار واقتصر فى كفارة القتل على الأولين ولم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل وإبدال الصيام بالطعام

.(النوع الخمسون) . فى منطوقه ومفهومه المنطوق مادل عليه اللفظ فى محل النطق فان أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص نحو (فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جدا فى الكتاب والسنة وقد بالغ امام الحرمين وغيره فى الرد قال لان الغرض من النص الاستقلال بافادة المعنى على قطع مع انحسام جهات التأويل والاحتمال وهذا وان عز حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية اه أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا فالظاهر نحو (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) فان الباغى يطلق على الجاهل

فائدة لأنه الذى حكى فى سائر أبياته فلا تتضمن مطاولتـــه فى المغازلة واشتغاله بها فتكريره فى هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى إلا الزيادة التى ذكر من منعتها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ فى المصراع الأول دون الثانى والبيت الثانى ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد أن يقول لو أسروا فاذا نقله إلى هذا ضعف ووقع فى مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله وقوله

إذا ما الثريا فى السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

قد أنكر عليه قوم قوله إذا ما الثريا فى السماء تعرضت وقالوا الثريا لا تتعرض حتى قال بعضهم سمى الثريا وانما أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير كأحمر عاد وانما هو أحمر ثمود وقال بعضهم فى

وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب ونحو (ولا تقربوهن حتى يطهرن) فانه يقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل وهو فى الثانى أظهر وان حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا كقوله وهو معكم أينما كنتم فانه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله على القدرة والعلم والحفظ والرعاية وكقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فانه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للانسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق وقد يكون مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا فيحمل عليهما جميعا سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنييه أولا ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين مرة أريد هذا ومرة أريد هذا ومن أمثلته (ولا يضار كاتب ولا شهيد) فانه يحتمل ولا يضارر الكاتب والشهيد صاحب الحق بجور فى الكتابة والشهادة ولا يضارر بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما مالا يلزمهما واجبارهما على الكتابة والشهادة ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضمار سميت دلالة اقتضاء نحو (واسئل القرية) أى أهلها وان لم تتوقف ودل اللفظ على مالم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) على صحة صوم من أصبح جنبا إذ اباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا فى جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظى

* (فصل) * والمفهوم مادل عليه اللفظ لا فى محل النطق وهو قسمان مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالأول ما يوافق حكمه المنطوق فان كان أولى سمى فحوى الخطاب كدلالة (فلا تقل لهما أف) على تحريم الضرب لأنه أشد وان كان مساويا سمى لحن الخطاب أى معناه كدلالة (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) على تحريم الاحراق لانه مساو للاكل فى الاتلاف (واختلف) هل دلالة ذلك قياسيه أو لفظية مجازية أو حقيقية على أقوال بيناها فى كتبنا الاصولية والثانى ما يخالف حكمه المنطوق وهو أنواع مفهوم صفة نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا نحو (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) مفهومه ان غير الفاسق لا يجب التبيين فى خبره فيجب قبول خبر الواحد العدل (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد الحج أشهر معلومات) أى فلا يصح الإحرام به فى غيرها فاذكروا الله عند المشعر الحرام أى فالذكر عند غيره ليس محصلا للمطلوب (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أى لا أقل ولا أكثر وشرط نحو (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) أى فغير أولات الحمل لا يجب الانفاق عليهن وغاية نحو (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) أى فاذا نكحته تحل للاول بشرطه وحصر نحو لا إله إلا الله انما الهكم الله) أى فغيره ليس باله فالله هو الولى أى فغيره ليس بولى لالى الله تحشرون أى لا إلى غيره اياك نعبد أى لا غيرك واختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة والأصح فى الجملة أنها كلها حجة بشروط منها أن لا يكون المذكور خرج للغالب ومن ثم لم يعتبر الا كثرون مفهوم قوله وربائبكم اللاتى فى حجوركم فان الغالب كون الربائب فى حجور الازواج فلا مفهوم له لانه انما خص بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن وان لا يكون موافقا للواقع ومن ثم لا مفهوم لقوله (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول (فائدة) قال بعضهم الالفاظ اما ان تدل بمنطوقها أو بفحواها او مفهومها أو باقتضائها وضرورتها أو بمعقولها المستنبط منها حكاه ابن الحصار وقال هذا كلام حسن قلت فالاول دلالة المنطوق والثانى دلالة المفهوم والثالث دلالة الاقتضاء والرابع دلالة الاشارة

*( النوع الحادى والخمسون ). فى وجوه مخاطباته قال ابن الجوزى فى كتاب النفيس الخطاب

تصحيح قوله تعرض أول ما تطلع كما ان الوشاح إذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر

تعرضت لى بمجان خل
تعرض المهرة فى الطول

يقول تريك عرضها وهى فى الرسن وقال أبو عمرو يعنى إذا أخذت الثريا فى وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه من محاسن هذه القصيدة ولولا أبيات عدة فيه لقابله ماشئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه بما يفوت وشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للمتقدمين ولا المتأخرين فى وصف شىء من النجوم مثل مافى وصف الثريا وكل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو زاد عليه فمن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق

في القرآن على خمسة عشر وجها وقال غيره على أكثر من ثلاثين وجها (أحدها) خطاب العام والمراد به العموم كقوله الله الذي خلقكم (والثاني) خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله أكفرتم بعد ايمانكم ياأيها الرسول بلغ (الثالث) خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله ياأيها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الاطفال والمجانين (الرابع) خطاب الخاص والمراد العموم كقوله ياأيها النبي اذا طلقتم النساء افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق وقوله ياأيها النبي انا احللنا لك أزواجك الآية قال أبو بكر الصيرفي كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة خالصة لك علم أن ماقبلها له ولغيره (الخامس) خطاب الجنس كقوله ياأيها النبي (السادس) خطاب النوع نحو يابني اسرائيل (السابع) خطاب العين نحو ياآدم اسكن يانوح اهبط ياابراهيم قد صدقت ياموسى لاتخف ياعيسى اني متوفيك ولم يقع في القرآن الخطاب بيامحمد بل ياأيها النبي ياأيها الرسول تعظيما له وتشريفا وتخصيصا له بذلك عما سواه وتعليما للمؤمنين أن لاينادوه باسمه (الثامن) خطاب المدح نحو ياأيها الذين آمنوا ولهذا وقع الخطاب باهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا (أخرج) ابن أبي حاتم عن خيثمة قال ماتقرءون في القرآن ياأيها الذين آمنوا فانه في التوراة ياأيها المساكين (وأخرج) البيهقي وأبو عبيدة وغيرهما عن ابن مسعود قال إذا سمعت الله يقول ياأيها الذين آمنوا فأوعها سمعك فانه خير يؤمر أو شر ينهى عنه (التاسع) خطاب الذم نحو (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم قل ياأيها الكافرون) ولتضمنه الاهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين وكثر الخطاب بياأيها الذين آمنوا على المواجهة وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة اعراضا عنهم كقوله إن الذين كفروا قل للذين كفروا (العاشر) خطاب الكرامة كقوله ياأيها النبي ياأيها الرسول قال بعضهم ونجد الخطاب بالنبي في محل لايليق به الرسول وكذا عكسه في الامر بالتشريع العام (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) وفي مقام الخاص (ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك) قال وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة ارادة العموم كقوله ياأيها النبي اذا طلقتم ولم يقل طلقت (الحادي عشر) خطاب الاهانة نحو فانك رجيم اخسئوا فيها ولاتكلمون (الثاني عشر) خطاب التهكم نحو ذق انك أنت العزيز الكريم (الثالث عشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد نحو (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) (الرابع عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو ياأيها الرسل كلوا من الطيبات الى قوله فذرهم في غمرتهم فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده إذ لانبي معه ولا بعده وكذا قوله وان عاقبتم فعاقبوا الآية خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده بدليل قوله واصبر وماصبرك الا بالله الآية وكذا قوله فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا بدليل قوله قل فأتوا وجعل منه بعضهم قال رب ارجعون أي ارجعني وقيل رب خطاب له تعالى وارجعون للملائكة وقال السهيلي هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب فاختلط فلا يدري مايقول من الشطط وقد اعتاد أمرا يقوله في الحياة من رد الامر الى المخلوقين (الخامس عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو ألقيا في جهنم والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين وقيل للملكين الموكلين به في قوله (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فيكون على الاصل وجعل المهدوي من من هذا النوع (قال قد أجيبت دعوتكما) قال الخطاب لموسى وحده لانه الداعي وقيل لهما لان هرون أمن على دعائه والمؤمن أحد الداعيين (السادس عشر) خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله فمن ربكما ياموسى أي وياهرون وفيه وجهان أحدهما أنه أفرده بالنداء لادلاله عليه بالتربية والآخر لانه صاحب الرسالة والآيات وهرون تبع له ذكره ابن عطية وذكر في الكشاف آخر وهو أن هرون لما كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذرا من لسانه ومثله (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)

ومن ذلك قول ابن المعتز
وترى الثريا في السماء كأنها
بيضات ادحي يلحن بفدفد
وكقوله
كأن الثريا في أواخر ليلها
تفتح نور أو لجام مفضض
وقوله أيضا
فناولنيها والثريا كأنها
جنى نرجس حيا الندامى به الساقي
وقول الاشهب بن رميلة
ولاحت لساريها الثريا كأنها
لدى الافق الغربي قرط مسلسل
ولابن المعتز
وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرط أرادته وقد سقطا
أخذه من ابن الرومي في قوله
طيب ريقه اذا ذقت فاه
والثريا بجانب الغرب قرط
ولابن المعتز
قد سقاني المدام والصبح

قال ابن عطية افرده بالشقاء لانه المخاطب أولا و المقصود فى الكلام وقيل لان الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى جانب الرجال وقيل اغضاء عن ذكر المرأة كما قيل من الكرم ستر الحرم ( السابع عشر) خطاب الاثنين بلفظ الجمع كقوله (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) (الثامن عشر) خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدم فى ألقيا ( التاسع عشر ) خطاب الجمع بعد الواحد كقوله (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون) من عمل قال ابن الانبارى جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الامة داخلون مع النبى ﷺ ومثله ياأيها النبى اذا طلقتم النساء ( العشرون ) عكسه نحو وأقيموا الصلاة و بشر المؤمنين ( الحادى والعشرون) خطاب الاثنين بعد الواحد نحو (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض ( الثانى والعشرون) عكسه نحو من ربكما ياموسى ( الثالث والعشرون ) خطاب العين والمراد به الغير نحو ياأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين الخطاب له والمراد أمته لانه ﷺ كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار ومنه (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب) الآية حاشاه ﷺ من الشك وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار ( وأخرج ) ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى هذه قال لم يشك ﷺ ولم يسأل ومثله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا لآية فلا تكونن من الجاهلين وانحاء ذلك ( الرابع والعشرون ) خطاب الغير والمراد به العين نحو (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) (الخامس والعشرون ) الخطاب العام الذى لم يقصد به مخاطب معين نحو (ولو ترى اذ وقفوا على النار ألم تر أن الله يسجد له ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم ولم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد وأخرج فى صورة الخطاب لقصد العموم يريد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء بل كل من أمكن منه الرؤية داخل فى ذلك الخطاب ( السادس والعشرون ) خطاب الشخص ثم العدول الى غيره نحو فان لم يستجيبوا لكم خوطب به النبى ﷺ ثم قال للكفار فاعلموا أنما أنزل بعلم الله بدليل فهل أنتم مسلمون ومنه أرسلناك شاهدا الى قوله لتؤمنوا فى من قرأ بالفوقية ( السابع والعشرون) خطاب التكوين وهو الالتفات (الثامن والعشرون) خطاب الجمادات خطاب من يعقل نحو فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ( التاسع والعشرون ) خطاب التهييج نحو وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ( الثلاثون ) خطاب التحنن والاستعطاف نحو ياعبادى الذين أسرفوا الآية ( الحادى والثلاثون ) خطاب التحبب نحو ياأبت لم تعبد يابنى انها ان تك ياابن أم لا تأخذ بلحيتى ( الثانى والثلاثون) خطاب التعجيز نحو فأتوا بسورة (الثالث والثلاثون) خطاب التشريف وهو كل ما فى القرآن مخاطبة بقل فانه تشريف منه تعالى لهذه الامة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة ( الرابع والثلاثون ) خطاب المعدوم ويصح ذلك تبعا لموجود نحو يابنى آدم فانه خطاب لاهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم . ( فائدة ) . قال بعضهم خطاب القرآن ثلاثة أقسام قسم لا يصلح الا للنبى ﷺ وقسم لا يصلح الا لغيره وقسم لهما . ( فائدة ) . قال ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله أزمة الامور كلها بيده ومصدرها منه ومورده اليه مستويا على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالما بما فى نفوس عبيده مطلعا على أسرارهم وعلانيتهم منفرد بتدبير المملكة يسمع ويرى ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيى ويقدر ويقضى ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة اليه لا تتحرك ذرة إلا باذنه ولا تسقط ورقة الا بعلمه فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه وينصح عباده ويدلهم على مافيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه

بالليل مؤتزر
والثريا كنور غصن على
الارض قد نثر
وقوله
وتروم الثريا فى السماء
مراما
كانكباب طمر كاد يلقى
لجاما
ولابن الطثرية
اذا ما الثريا فى السماء
كانها
جمان وهى من مسلكه
فتبددا
ولو نسخت لك كل ما قالوا
من البديع فى وصف
الثريا لطال عليك
الكتاب وخرج عن
الغرض وانما نريد أن
نبين ان الابداع فى
نحو هذا أمر قريب
وليس فيه شىء غريب
وفى جملة ما نقلناه ما يزيد
على تشبيهه فى الحسن
أو يساويه أو يقاربه
فقد علمت أن ما حلق
فيه وقدر المتعصب له
أنه بلغ النهاية فيه أمر
مشترك وشريعة
موروده وباب واسع
وطريق مسلوك واذا
كان هذا بيت القصيدة
ودرة القلادة وواسطة

هلا كهم

هلا كهم ويتعرف اليهم باسمائه وصفاته ويتحبب اليهم بنعمه وآلائه يذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعدلهم من الكرامة أن أطاعوه وما أعدلهم من العقوبة أن عصوه ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ويذم أعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ويقول الحق ويهدى السبيل ويدعو إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ويذكر عباده فقرهم اليه وشدة حاجتهم اليه من كل وجه وأنهم لاغنى لهم عنه طرفة عين ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات وأنه الغنى بنفسه عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه وأنه لاينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته وتشهد من خطابه عتابه لاحبابه ألطف عتاب وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والحامى عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده وأنه وليهم الذى لاولى لهم سواه فهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما جوادا رحيما جميلا هذا شأنه فكيف لاتحبه وتنافس فى القرب منه وتنفق أنفاسها فى التودد اليه ويكون أحب اليها من كل ماسواه ورضاه آثر عندها من رضى كل من سواه وكيف لا تلهج بذكره وتصير حبه والشوق اليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث ان فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها * (فائدة) * قال بعض الأقدمين أنزل القرآن على ثلاثين نحوا كل نحو منه غير صاحبه فمن عرف وجوهها ثم تكلم فى الدين أصاب ووفق ومن لم يعرفها وتكلم فى الدين كان الخطأ إليه أقرب وهو المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والسبب والاضمار والخاص والعام والأمر والنهى والوعد والوعيد والحدود والأحكام والخبر والاستفهام والأبهة والحروف المصرفة والأعذار والإنذار والحجة والاحتجاج والمواعظ والامثال والقسم قال (فالمكى) مثل واهجرهم هجرا جميلا (والمدنى) مثل وقاتلوا فى سبيل الله (والناسخ والمنسوخ) واضح (والمحكم) مثل ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ونحوه مما أحكمه الله وبينه (والمتشابه) مثل (ياأيها آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية ولم يقل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا كما قال فى المحكم وقد ناداهم فى هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيدا فاشتبه على أهلها مايفعل الله بهم (والتقديم والتأخير) مثل (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية) التقدير كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت (والمقطوع والموصول) مثل لاأقسم بيوم القيامة ولا مقطوع من أقسم وإنما هو فى المعنى اقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ولم يقسم (والسبب والاضمار) مثل واسأل القرية أى أهل القرية (والخاص والعام) مثل ياأيها النبى فهذا فى المسموع خاص إذا طلقتم النساء فصار فى المعنى عاما (والأمر) ومابعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة (والأبهة) مثل إنا أرسلنا نحن قسمنا عبر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيما وتعظيما وأبهة (والحروف المصرفة) كالفتنة تطلق على الشرك نحو حتى لاتكون فتنة (وعلى) المعذرة نحو ثم لم تكن فتنتهم أى معذرتهم (وعلى) الاختبار نحو قد فتنا قومك من بعدك (والاعذار) نحو فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اعتذر أنه لم يفعل ذلك إلا بمعصيتهم والبواقى أمثلتها واضحة

العقد وهذا محله فكيف بما تعداه ثم فيه ضرب من التكلف لأنه قال

اذا ماالثريا فى السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح

فقوله تعرضت من الكلام الذى يستغنى عنه لأنه يشبه أثناء الوشاح سواء كان فى وسط السماء أو عند الطلوع والمغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الألفاظ لامعنى له وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض أثناء الوشاح وإنما أراد أن يقول تعرض قطعة من أثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى يشبه ماهو كالشيء الواحد بالجمع وقوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الالبسة المتفضل

فقالت يمين الله مالك حيلة
وماإن أرى عنك العماية تنجلى

انظر إلى البيت الأول

*(النوع الثانى والخمسون) فى حقيقته ومجازه لاخلاف فى وقوع الحقائق فى القرآن وهى كل لفظ بقى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا أكثر الكلام وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل اليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها (وقد أفرده بالتصنيف) الامام عزالدين بن عبدالسلام ولخصته مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن وهو قسمان (الأول) المجاز فى التركيب ويسمى مجاز الاسناد والمجاز العقلى وعلاقته الملابسة وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له (كقوله تعالى) (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) نسبت الزيادة وهى فعل الله إلى الآيات لكونها سببا لها يذبح أبناءهم ياهامان ابن لى نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون والبناء وهو فعل العملة إلى هامان لكونهما آمرين به (وكذا) قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) نسب الاحلال اليهم لتسببهم فى كفرهم بأمرهم اياهم به ومنه (قوله تعالى) (يوما يجعل الولدان شيبا) نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه عيشة راضية أى مرضية فإذا عزم الامر اى عزم عليه بدليل فإذا عزمت وهذا القسم أربعة أنواع (أحدها) ماطرفاه حقيقيان كالآية المصدربها (وكقوله) وأخرجت الأرض أثقالها (ثانيها) مجازيان نحو (فما ربحت تجارتهم) أى ماربحوا فيها وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز (ثالثها ورابعها) ما أحد طرفيه حقيقى دون الآخر إما الأول أو الثانى (كقوله) أم أنزلنا عليهم سلطانا أى برهانا (كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو) فان الدعاء من النار مجاز (وقوله) حتى تضع الحرب أوزارها تؤتى أكلها كل حين فأمه هاوية فاسم الأم الهاوية مجاز أى كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع (القسم الثانى) المجاز فى المفرد ويسمى المجاز اللغوى وهو استعمال اللفظ فى غير ماوضع له أولا وأنواعه كثيرة (أحدها) الحذف وسيأتى مبسوطا فى نوع المجاز فهو به أجدر خصوصا إذا قلنا إنه ليس من أنواع المجاز (الثانى) الزيادة وسبق تحرير القول فيها فى نوع الاعراب (الثالث) اطلاق اسم الكل على الجزء نحو يجعلون أصابعهم فى آذانهم أى أناملهم ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار فكأنهم جعلوا الأصابع وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم أى وجوههم لأنه لم ير جملتهم فمن شهد منكم الشهر فليصمه أطلق الشهر وهو اسم الثلاثين ليلة وأراد جزأ منه كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال أن الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر وهو إسم لكله حقيقة فكأنه أمر بالصوم بعد مضى الشهر وليس كذلك وقد فسره على وابن عباس وابن عمر على أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه وإن سافر فى أثنائه (أخرجه) ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما وهو أيضا من هذا النوع ويصلح أن يكون من نوع الحذف (الرابع) عكسه نحو ويبقى وجه ربك أى ذاته فولوا وجوهكم شطره أى ذواتكم إذ الاستقبال يجب بالصدر وجوه يومئذ ناعمة وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة عبر بالوجوه عن جميع الأجساد لأن التنعم والنصب حاصل لكلها ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم أى قدمت وكسبتم ونسب ذلك إلى الأيدى لأن أكثر الأعمال تزاول بها قم الليل وقرآن الفجر واركعوا مع الراكعين ومن الليل فاسجد له أطلق كلا من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها هديا بالغ الكعبة أى الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها (تنبيه) الحق

والابيات التى قبله كيف خلط فى النظم وفرط فى التأليف فذكر التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذى فى ثوب واحد وهو الفضل فما كان من سبيله أن يقدمه إنما ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس فى البيت حسن ولاشىء يفضل لأجله وأما البيت الثانى ففيه تعليق واختلال ذكر الأصمعى أن معنى قوله مالك حيلة أى ليست لك جهة تجىء فيها والناس حوالى والكلام فى المصراع الثانى منقطع عن الأول ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله

فقمت بها امشى تجر وراءنا
على إثرنا أذيال مرط مرجل
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

بهذين النوعين شيآن ( احداهما ) وصف البعض بصفة الكل كقوله ناصية كاذبة خاطئة فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية وعكسه كقوله انا منكم وجلون والوجل صفة القلب ولملئت منهم رعبا والرعب انما يكون فى القلب ( والثانى ) اطلاق لفظ مرادا به الكل ذكره أبو عبيدة وخرج عليه قوله ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه اى كله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وتعقب بانه لا يجب على النبى بيان كل ما اختلف فيه بدليل الساعة والروح ونحوهما وبأن موسى كان وعدهم بعذاب فى الدنيا وفى الآخرة فقال يصبكم هذا العذاب فى الدنيا وهو بعض الوعيد من غير نفى عذاب الآخرة ذكره ثعلب ( قال الزركشى ) ويحتمل أيضا أن يقال ان الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه فكيف بعضه ويؤيد ما قاله ثعلب قوله فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم (الخامس) اطلاق اسم الخاص على العام نحو انا رسول رب العالمين أى رسله ( السادس) عكسه نحو ويستغفرون لمن فى الأرض أى المؤمنين بدليل قوله ويستغفرون للذين آمنوا (السابع) اطلاق اسم الملزوم على اللازم ( الثامن) عكسه نحو هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة أى هل يفعل اطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له ( التاسع ) اطلاق المسبب على السبب نحو ينزل لكم من السماء رزقا قد انزلنا عليكم لباسا أى مطرا يتسبب عنه الرزق واللباس لا يجدون نكاحا أى مؤونة من مهر ونفقة ومالا بد للمتزوج منه ( العاشر) عكسه نحو ما كانوا يستطيعون السمع أى القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع (تنبيه) من ذلك نسبة الفعل الى سبب السبب كقوله فأخرجهما مما كانا فيه كما أخرج أبويكم من الجنة فان المخرج فى الحقيقة هو الله تعالى وسبب ذلك أكل الشجرة وسبب الاكل وسوسة الشيطان ( الحادى عشر) تسمية الشىء باسم ما كان عليه نحو وآتوا اليتامى أموالهم أى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) أى الذين كانوا أزواجهن من يأت ربه مجرما سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام ( الثانى عشر) تسميته باسم ما يؤول اليه نحو (انى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا يؤول الى الخمرية ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أى صائرا إلى الكفر والفجور حتى تنكح زوجا غيره سماه زوجا لأن العقد يؤول إلى زوجية لأنها لا تنكح إلا فى حال كونه زوجا فبشرناه بغلام حليم نبشرك بغلام عليم وصفه فى حال البشارة بما يؤول اليه من العلم والحلم ( الثالث عشر ) اطلاق اسم الحال على المحل نحو (ففى رحمة الله هم فيها خالدون) أى فى الجنة لأنها محل الرحمة بل مكر الليل أى فى الليل اذ يريكهم الله فى منامك أى عينك على قول الحسن ( الرابع عشر ) عكسه نحو فليدع ناديه أى أهل ناديه أى مجلسه ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو بيده الملك وبالقلب عن العقل نحو (لهم قلوب لا يفقهون بها) أى عقول وبالافواه عن الألسن نحو ويقولون بأفواههم وبالقرية عن ساكنيها نحو واسأل القرية وقد اجتمع هذا النوع وما قبله فى قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فان أخذ الزينة غير ممكن لأنها مصدر فالمراد محلها فاطلق عليه اسم الحال وأخذها للمسجد نفسه لا يجب فالمراد به الصلاة فاطلق اسم المحل على الحال (الخامس عشر) تسمية الشىء باسم آلته نحو واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا لأن اللسان آلته (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أى بلغة قومه ( السادس عشر) تسمية الشىء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب أليم والبشارة حقيقة فى الخبر السار ومنه تسمية الداعى الى الشىء باسم الصارف عنه ذكره السكاكى وخرج عليه قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد يعنى ما دعاك الى أن لا تسجد وسلم بذلك من دعوى زيادة لا ( السابع عشر) اضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيها نحو جدارا يريد أن ينقض وصفه بالارادة وهى من صفات الحى تشبيها لميله للوقوع بارادته ( الثامن عشر ) اطلاق الفعل والمراد

البيت الأول من مساعدتها اياه حتى قامتا معه ليخلوا وانما كانت تجر على الأثر اذيال مرط مرجل والمرجل ضرب من البرود يقال لوشيه الترجيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على أثرنا ولو قال على أثرنا كان كافيا والذيل انما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا وتقدير القول فقمت أمشى بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله اذيال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط على أنه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا يتقدم به سواه وقول ابن المعتز احسن منه

فبت افرش خدى فى الطريق له
ذلا واسحب أذيالى على الاثر

واما البيت الثانى فقوله اجزنا بمعنى قطعنا والخبت بطن من الأرض والحقف رمل منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض

مشارفته ومقاربته وإرادته نحو (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن) أى قاربن بلوغ الأجل أى انقضاء العدة لأن الإمساك لا يكون بعده وهو فى قوله فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أى فاذا قرب مجيئه وبه يندفع السؤال المشهور فيها أن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية لو قاربوا أن يتركوا خافوا لأن الخطاب للاوصياء وإنما يتوجه اليهم قبل الترك لأنهم بعده أموات إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا أى اردتم القيام فاذا قرأت القرآن فاستعذ أى اردت القراءة لتكون الاستعاذة قبلها وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أى اردنا إهلاكها والا لم يصح العطف بالفاء وجعل منه بعضهم قوله من يهد الله فهو المهتدى أى من يرد الله هدايته وهو حسن جدا لئلا يتحد الشرط والجزاء (التاسع عشر) القلب أما قلب اسناد نحو ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أى لتنوء العصبة بها الكل أجل كتاب أى لكل كتاب أجل وحرمنا عليه المراضع أى حرمناه على المراضع ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم لأن المعروض عليه هو الذى له الاختيار (وانه لحب الخير لشديد) أى وان حبه للخير (وان يردك بخير) أى يرد بك الخير فتلقى آدم من ربه كلمات لأن المتلقى حقيقة هو آدم كما قرىء بذلك أيضا أو قلب عطف نحو ثم تول عنهم فانظر أى فانظر ثم تول ثم دنا فتدلى أى تدلى فدنا لأنه بالتولى مال إلى الدنو أو قلب تشبيه وسيأتى فى نوعه (العشرون) إقامة صيغة مقام أخرى وتحته أنواع كثيرة (منها) اطلاق المصدر على الفاعل نحو فانهم عدو لى ولهذا أفرده وعلى المفعول نحو ولا يحيطون بشيء من علمه أى من معلومه صنع الله أى مصنوعه وجاءوا على قميصه بدم كذب أى مكذوب فيه لأن الكذب من صفات الأقوال لا الاجسام (ومنها) اطلاق البشرى على المبشر به والهوى على المهوى والقول على المقول (ومنها) اطلاق الفاعل والمفعول على المصدر نحو ليس لوقعتها كاذبة أى تكذيب بأيكم المفتون أى الفتنة على أن الباء غير زائدة (ومنها) اطلاق فاعل على مفعول نحو ماء دافق أى مدفوق لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم أى لا معصوم جعلنا حرما آمنا أى مأمونا فيه وعكسه نحو إنه كان وعده مأتيا أى آتيا حجابا مستورا أى ساترا (وقيل) هو على بابه أى مستورا عن العيون لا يحس به أحد (ومنها) اطلاق فعيل بمعنى مفعول نحو وكان الكافر على ربه ظهيرا (ومنها) اطلاق واحد من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها مثال اطلاق المفرد على المثنى والله ورسوله احق أن يرضوه أى يرضوهما فأفرد لتلازم الرضاءين وعلى الجمع إن الإنسان لفى خسر أى الأناسى بدليل الاستثناء منه إن الإنسان خلق هلوعا بدليل الا المصلين (ومثال) اطلاق المثنى على المفرد ألقيا فى جهنم أى ألق ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط نحو يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب ونظيره ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وإنما تخرج الحلية من الملح وجعل القمر فيهن نورا أى فى إحداهن نسيا حوتهما والناسى يوشع بدليل قوله لموسى انى نسيت الحوت وانما أضيف النسيان اليهما معا لسكوت موسى عنه فمن تعجل فى يومين والتعجل فى اليوم الثانى على رجل من القريتين عظيم (قال الفارسى) أى من إحدى القريتين وليس منه ولمن خاف مقام ربه جنتان وان المعنى جنة واحدة خلافا للفراء (وفى كتاب) ذا القد لابن جنى أن منه أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وإنما المتخذ الها عيسى دون مريم (ومثال) اطلاقه على الجمع ثم ارجع البصر كرتين أى كرات لأن البصر لا يحسر الا بها وجعل منه بعضهم قوله الطلاق مرتان (ومثال) اطلاق الجمع على المفرد قال رب ارجعون أى ارجعنى (وجعل منه) ابن فارس فناظرة بم يرجع المرسلون والرسول واحد بدليل ارجع اليهم وفيه نظر لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم لا سيما وعادة الملوك جارية

وهذا بيت متقارب مع الابيات المتقدمة لأن فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البذلة وهذا قد اغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المنعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالحاقها بكلامها فائدة الكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع الحاجة فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة (يوما عبوسا قمطريرا) فأما إذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى أن جريرا أنشد بعض خلفاء بنى أمية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا
أو كلما جد والبين تجزع
كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم
قلبا يقر ولا شرابا ينقع

قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى

ان

أن لا يرسلوا واحدا ( وجعل منه ) فنادته الملائكة ينزل الملائكة بالروح أى جبريل (واذقتلتم نفسا فادار أتم فيها) والقاتل واحد ( ومثال اطلاقه ) على المثنى قالتا أتينا طائعين قالوا لا تخف خصمان فان كان له إخوة فلامه السدس أى أخوان فقد صغت قلوبكما أى قلبا كما وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين ( ومنها ) اطلاق الماضى على المستقبل لتحقق وقوعه نحو أتى أمر الله أى الساعة بدليل فلا تستعجلوه ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس الآية وبرزوا لله جميعا ونادى أصحاب الأعراف وعكسه لافادة الدوام والاستمرار فكانه وقع واستمر نحو أتأمرون الناس بالبر وتنسون واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان أى تلت ولقد نعلم أى علمنا قد يعلم ما أنتم عليه أى علم فلم تقتلون انبياء الله أى قتلتم وكذا فريقا كذبتم وفريقا تقتلون ويقول الذين كفروا لست مرسلا أى قالوا ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول لانه حقيقة فى الحال لا فى الاستقبال نحو وان الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس ( ومنها ) اطلاق الخبر على الطلب أمرا أو نهيا أو دعاء مبالغة فى الحث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه ( قال الزمخشرى ) وروود الخبر المراد الامر أو النهى ابلغ من صريحى الامر أو النهى كأنه سورع فيه الى الامتثال واخبر عنه نحو (والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) على قراءة الرفع وماتنفقون الا ابتغاء وجه الله أى لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسسه واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله أى لا تعبدوا بدليل وقولوا للناس حسنا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم أى اللهم اغفر لهم وعكسه نحو فليمدد له الرحمن مدا أى يمد اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أى ونحن حاملون بدليل وانهم لكاذبون والكذب انما يرد على الخبر فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ( قال الكواشى ) فى الآية الأولى الامر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو إن زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد ايجاب الاكرام عليهم ( وقال ابن عبد السلام ) لان الامر للايجاب يشبه الخبرية فى ايجابه (ومنها) وضع النداء موضع التعجب نحو ياحسرة على العباد ( قال الفراء ) معناه فيالها حسرة (وقال ابن خالويه ) هذه من أصعب مسئلة فى القرآن لان الحسرة لا تنادى وانما ينادى الاشخاص لان فائدته التنبيه ولكن المعنى على التعجب ( ومنها ) وضع جمع القلة موضع الكثرة نحو وهم فى الغرفات آمنون وغرف الجنة لا تحصى هم درجات عند الله ورتب الناس فى علم الله أكثر من العشرة لا محالة الله يتوفى الانفس اياما معدودات ونكتة التقليل فى هذه الآية التسهيل على المكلفين وعكسه نحو يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ( ومنها ) تذكير المؤنث على تأويله بمذكر نحو فمن جاءه موعظة من ربه أى وعظ وأحيينا به بلدة ميتا على تأويل البلدة بالمكان فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى أى الشمس أو الطالع ان رحمة الله قريب من المحسنين (قال الجوهرى) ذكرت على معنى الاحسان ( وقال الشريف ) المرتضى فى قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ان الاشارة للرحمة وانما لم يقل ولتلك لان تأنيثها غير حقيقى ولانه يجوز أن يكون فى تأويل أن يرحم (ومنها) تأنيث المذكر نحو الذين يرثون الفردوس هم فيها أنث الفردوس وهو مذكر حملا على معنى الجنة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أنث عشرا حيث حذف الهاء مع اضافتها الى الامثال وواحدها مذكر فقيل لاضافة الامثال الى مؤنث وهو ضمير الحسنات فاكتسب منه التأنيث (وقيل) هو من باب مراعاة المعنى لان الامثال فى المعنى مؤنثة لان مثل الحسنة حسنة والتقدير فله عشر حسنات أمثالها ( وقد قدمنا ) فى القواعد المهمة قاعدة فى التذكير والتأنيث ( ومنها ) التغليب وهو اعطاء الشىء حكم غيره ( وقيل ) ترجيح أحد المعلومين على الآخر واطلاق لفظه عليهما اجراء للمختلفين مجرى

بلغ قوله
وتقول بوزع قد دببت على العصا
هلا هزيت بغيرنا يابوزع
فقال افسدت شعرك بهذا الاسم وأما قوله
هصرت بغصنى دوحة فتمايلت
على هضيم الكشح ريا الخلخل
مهفهة بيضاء غير مفاضة
غرائبها مصقولة كالسجنجل
فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلهما اثنين والمصراع الثانى اصح وليس فيه شىء الا مايتكرر على ألسنة الناس من هاتين الصفتين وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن صالح وأما معنى قوله مهفهة انها مخففة ليست منقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى الطبع الابيات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من

المتفقين نحو (وكانت من القانتين الا امرأته كانت من الغابرين) والاصل من القانتات والغابرات فعدت الانثى من المذكر بحكم التغليب بل أنتم قوم تجهلون أتى بتاء الخطاب تغليبا لجانب أنتم على جانب قوم والقياس أن يؤتى بياء الغيبة لانه صفة لقوم وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خبرا عن ضمير المخاطبين قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم غلب فى الضمير المخاطب وإن كان من تبعك يقتضى الغيبة وحسنه أنه لما كان الغائب تبعا للمخاطب فى المعصية والعقوبة جعل تبعا له فى اللفظ أيضا وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) غلب غير العاقل حيث أتى بما لكثرته (وفى آية) أخرى عبر بمن فغلب العاقل لشرفه (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) أدخل شعيب فى لتعودن بحكم التغليب اذ لم يكن فى ملتهم أصلا حتى يعود فيها (وكذا) قوله ان عدنا فى ملتكم فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس عد منهم بالاستثناء تغليبا لكونه كان بينهم ياليت بينى وبينك بعد المشرقين أى المشرق والمغرب (قال ابن الشجرى) وغلب المشرق لانه أشهر الجهتين مرج البحرين أى الملح والعذب والبحر خاص بالملح فغلب لكونه أعظم ولكل درجات أى من المؤمنين والكفار فالدرجات للعلو والدركات للسفل فاستعمل الدرجات فى القسمين تغليبا للاشراف (قال فى البرهان) وانما كان التغليب من باب المجاز لان اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ألا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف فاطلاقه على الذكور والإناث اطلاق على غير ما وضع له وكذا باقى الامثلة (ومنها) استعمال حروف الجر فى غير معانيها الحقيقية كما تقدم فى النوع الاربعين (ومنها) استعمال صيغة أفعل لغير الوجوب وصيغة لا تفعل لغير التحريم وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور والتصديق وأداة التمنى والترجى والنداء لغيرها كما سيأتى كل ذلك فى الانشاء (ومنها) التضمين وهو اعطاء الشىء معنى الشىء ويكون فى الحروف والافعال والاسماء (أما) الحروف فتقدم فى حروف الجر وغيرها (وأما) الافعال فان تضمن فعلا معنى آخر فيكون فيه معنى الفعلين معا وذلك بان يأتى الفعل متعد بحرف ليس من عادته التعدى به فيحتاج الى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدى به والاول تضمين الفعل والثانى تضمين الحرف (واختلفوا) أيهما أولى فقال أهل اللغة وقوم من النحاة التوسع فى الحرف (وقال) المحققون التوسع فى الفعل لانه فى الافعال أكثر مثاله عينا يشرب بها عباد الله فيشرب انما يتعدى بمن فتعديته بالباء إما على تضمينه معنى يروى ويلتذ (أو تضمين) الباء معنى من أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالرفث لا يتعدى بالى الا على تضمن معنى الافضاء هل لك الى أن تزكى (والاصل) فى أن فضمن معنى أدعوك يقبل التوبة عن عباده عديت بعن لتضمنها معنى العفو والصفح (وأما) فى الاسماء فان يضمن اسم معنى اسم لافادة معنى الاسمين معا نحو حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه وانما كان التضمين مجازا لان اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا فالجمع بينهما مجاز

* (فصل) * فى أنواع مختلف فى عدها من المجاز وهى ستة (أحدها) الحذف فالمشهور أنه من المجاز وأنكره بعضهم لان المجاز استعمال اللفظ فى غير موضوعه والحذف كذلك * وقال ابن عطية حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه وليس كل حذف مجاز (وقال) القرافى الحذف أربعة أقسام قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الاسناد نحو واسأل القرية أى أهلها اذ لا يصلح اسناد السؤال اليها (وقسم) يصح بدونه لكن يتوقف عليه شرعا كقوله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أى فأفطر فعدة (وقسم) يتوقف عليه عادة لا شرعا نحو (اضرب بعصاك البحر فانفلق) أى فضرب به (وقسم) يدل عليه دليل غير شرعى) ولا هو عادة نحو (فقبضت قبضة من أثر الرسول) دل الدليل

الخلل من تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط وقوله

تصد وتبدو عن أسيل وتتقى
بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش
اذا هى نصته ولا بمعطل

معنى قوله عن أسيل أى باسيل وانما يريد خدا ليس بكر وقوله تتقى يقال اتقاه بترسه أى جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد وقوله تتقى وبناظرة لفظة مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف الى عيون الظباء أو المها دون اطلاق الوحش ففيها ما تستنكره عيونها وقوله مطفل فسروه على أنها

على انه انما قبض من اثر حافر فرس الرسول وليس فى هذه الاقسام مجاز إلا الأول (وقال الزنجانى) فى المعيار انما يكون مجاز إذا تغير حكم فاما إذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازا اذلم يتغير حكم ما بقى من الكلام (وقال) القزوينى فى الايضاح متى تغير اعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهى مجاز نحو (واسأل القرية ليس كمثله شىء) وان كان الحذف أو الزيادة لا توجب تغير الاعراب نحو أو كصيب فبما رحمة فلا توصف الكلمة بالمجاز (الثانى) التأكيد زعم قوم أنه مجاز لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول والصحيح أنه حقيقة (قال الطرطوشى) فى العمد ومن سماه مجازا قلنا له إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو عجل عجل ونحوه فان جاز أن يكون الثانى مجازا جاز فى الأول لانهما فى لفظ واحد وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه لانه مثل الأول الثالث التشبيه زعم قوم انه مجاز والصحيح انه حقيقة (قال الزنجانى) فى المعيار لانه معنى من المعانى وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه (وقال الشيخ) عز الدين ان كان بحرف فهو حقيقة او بحذفه فمجاز بناء على ان الحذف من باب المجاز (الرابع) الكناية وفيها أربعة مذاهب (احدها) انها حقيقة (قال) ابن عبد السلام وهو الظاهر لانها استعملت فيما وضعت له واريدبها الدلالة على غيره (الثانى) انها مجاز (الثالث) أنها لا حقيقة ولا مجاز واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه فى المجاز أن يراد المعنى الحقيقى مع المجازى وتجويزه ذلك فيها (الرابع) وهو اختيار الشيخ تقى الدين السبكى انها تنقسم إلى حقيقة ومجاز فان استعملت اللفظ فى معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وان لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله فى غير ما وضع له والحاصل ان الحقيقة منها ان يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له والمجاز منها أن يريد به غير موضوعه استعمالا وافادة (الخامس) التقديم والتأخير عده قوم من المجاز لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه (قال فى البرهان) والصحيح أنه ليس منه فان المجاز نقل ما وضع إلى ما لم يوضع له (السادس) الالتفات (قال الشيخ بهاء الدين السبكى) لم أر من ذكر هل هو حقيقة او مجاز قال وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد

• (فصل). فيما يوصف بانه حقيقة ومجاز (باعتبارين) هو الموضوعات الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج فانها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة

• (فصل). فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز قيل بها فى ثلاثة أشياء (احدها) اللفظ قبل الاستعمال وهذا القسم مفقود فى القرآن ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للاشارة إلى الحروف التى يتركب منها الكلام (ثانيها) الاعلام (ثالثها) اللفظ المستعمل فى المشاكلة نحو (ومكروا ومكر الله وجزاء سيئة سيئة مثلها) ذكر بعضهم انه واسطة بين الحقيقة والمجاز قال لانه لم يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة ولا علاقة معتبرة فليس مجازا كذا فى شرح بديعية ابن جابر لرفيقه (قلت) والذى يظهر أنها مجاز والعلاقة المصاحبة • (خاتمة). لهم مجاز المجاز وهو ان يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما كقوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) فانه مجاز عن مجاز فان الوطء تجوز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا إلا فى السر وتجوز به عن العقد لانه مسبب عنه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والثانى السببية والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح (وكذا قوله) (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) فان قوله لا اله الا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والعلاقة السببية لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان والتعبير بلا اله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه (وجعل منه) ابن السيد قوله أنزلنا عليكم لباسا

ليست بصبية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مطفل زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى ان يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها إذا كانت مطفلا لحظت اطفالها بعين رقة فى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا واما البيت الثانى فمعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام فاحش موضوع منه وإذا نظرت فى اشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع إلى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبى نواس

مثل الظباء سمت إلى رو
ض صوادر عن غدير

ولست أطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول

فان المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس

﴿ النوع الثالث والخمسون ﴾ فى تشبيهه واستعاراته التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة واعلاها (قال) المبرد فى الكامل لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد (وقد أفرد) تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادى فى كتاب سماه الجمان وعرفه جماعة منهم السكاكى بانه الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى (وقال) ابن أبى الاصبع هو اخراج الاغمض إلى الاظهر (وقال) غيره هو الحاق شيء بذى وصف فى وصفه (وقال) بعضهم هو أن تثبت للمشبه حكما من احكام المشبه به والغرض منه تأنيس النفس باخراجها من خفى إلى جلى وادنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا (وقيل) الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار وأدواته حروف واسماء وأفعال فالحروف الكاف نحو كرماد وكأن نحو كأنه رءوس الشياطين والاسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة قاله الطيبى ولا تستعمل مثل الا فى حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نحو (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر) والافعال نحو يحسبه الظمآن ماء يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى (قال) فى التلخيص تبعا للسكاكى وربما يذكر فعل ينبىء عن التشبيه فيؤتى فى التشبيه القريب بنحو علمت زيدا أسدا الدال على التحقيق وفى البعيد بنحو حسبت زيدا أسدا الدال على الظن وعدم التحقيق وخالفه جماعة منهم الطيبى فقالوا فى كون هذه الافعال تنبىء عن التشبيه نوع خفاء والاظهر ان الفعل ينبىء عن حال التشبيه فى القرب والبعد وان الاداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه (ذكر أقسامه) ينقسم التشبيه باعتبارات (الأول) باعتبار طرفيه الى أربعة أقسام لانهما اما حسيان أو عقليان أو المشبه به حسى والمشبه عقلى أو عكسه (مثال الأول) (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم كأنهم أعجاز نخل منقعر) (ومثال الثانى) (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) كذا مثل فى البرهان وكأنه ظن أن التشبيه واقع فى القسوة وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأول (ومثال الثالث) مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح (ومثال الرابع) لم يقع فى القرآن بل منعه الامام أصلا لان العقل مستفاد من الحس فالمحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يستلزم جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز (وقد) اختلف فى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (الثانى) ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض كقوله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وهو حرمان الانتفاع بابلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه (وقوله) انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى قوله كأن لم تغن بالامس فان فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وانبت انواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا انها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس (وقال بعضهم) وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران (احدهما) أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت وان أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا (والثانى) أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء فكذلك الدنيا (وقوله) (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية فشبه نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الاضاءة اما بوضعه فى مشكاة وهى الطاقة لا تنفذ وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر (وقد) جعل فيها مصباح فى داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرى فى صفائها ودهن المصباح من أصفى الادهان وأقواها وقودا لانه من زيت شجرة فى وسط السراج لا شرقية ولا

فى ذمة فتستوحش وأكلك الآن إلى جملة من القول فان كنت من أهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت مارمينا اليه واستغنيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامة ألفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه * اعلم ان هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وابيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متأمل وناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف

غريبة ولا تصيبها الشمس فى أحد طرفى النهار بل تصيبها الشمس أعدل اصابة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم ضرب للكافر مثلين أحدهما (كسراب بقيعة) والآخر (كظلمات فى بحر لجى) الخ وهو أيضا تشبيه تركيب (الثالث) ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام (أحدها) تشبيه مايقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فان ادراكهما أبلغ من ادراك الحاسة كقوله (طلعها كأنه رءوس الشياطين) شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وان لم ترها عيانا (الثانى) عكسه وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه كقوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية أخرج ما لا يحس وهو الايمان إلى ما يحس وهو السراب والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة (الثالث) اخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت كقوله تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) والجامع بينهما الارتفاع فى الصورة (الرابع) اخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والجامع العظم وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وافراط السعة (الخامس) اخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فيها كقوله تعالى (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) والجامع فيهما العظم والفائدة ابانة القدرة على تسخير الأجسام العظام فى الطف ما يكون من الماء وما فى ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الاقطار المتباعدة فى المسافة القريبة وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان فتضمن الكلام بناء عظيما من الفخر وتعداد النعم وعلى هذه الأوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن (السادس) ينقسم باعتبار آخر إلى مؤكد وهو ما حذفت فيه الاداة نحو (وهى تمر مر السحاب) أى مثل مر السحاب وأزواجه أمهاتهم وجنة عرضها السموات والأرض ومرسل وهو ما لم تحذف كالآيات السابقة والمحذوف الاداة أبلغ لأنه نزل فيه الثانى منزلة الأول تجوزا (قاعدة) الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به (وقد) تدخل على المشبه إما لقصد المبالغة فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الأصل نحو قالوا إنما البيع مثل الربا كان الأصل أن يقولوا إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلا ملحقا به البيع فى الجواز وأنه الخليق بالحل (ومنه) قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) فان الظاهر العكس لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد وفق ذلك (وأما) لوضوح الحال نحو وليس الذكر كالأنثى فان الأصل وليس الأنثى كالذكر وإنما عدل عن الأصل لأن المعنى وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت (وقيل) المراعاة الفواصل لأن قبله انى وضعتها أنثى (وقد) تدخل على غيرهما اعتمادا على فهم المخاطب نحو كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم الآية المراد كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى إذ قالوا (قاعدة) القاعدة فى المدح تشبيه الأدنى بالأعلى وفى الذم تشبيه الأعلى بالأدنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى طار عليه فيقال فى المدح حصى كالياقوت وفى الذم ياقوت كالزجاج وكذا فى السلب (ومنه) يا نساء النبى لستن كأحد من النساء أى فى النزول لا فى العلو أم نجعل المتقين كالفجار أى فى سوء الحال أى لا نجعلهم كذلك نعم أورد على ذلك مثل نوره كمشكاة فإنه شبه فيه الأعلى بالأدنى لا فى مقام السلب وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين إذ لا أعلى من نوره فيشبه به (فائدة) قال ابن أبى الإصبع لم يقع فى القرآن تشبيه شيئين بشيئين ولا أكثر من ذلك إنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد (فصل). زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهى مجاز علاقته المشابهة أو يقال فى تعريفها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى والأصح أنها مجاز لغوى لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا الأعم

لمــا بنى عليه التفاهم بالـكلام فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ويلحق باللغز والاشارات المستبهمة فأما الذى زعموا أنه من بديع هذا الشعر فهو قوله

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الأخير عندهم بديع ومعنى ذلك أنها مترفة متنعمة لها من يكفيها ومعنى قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنتطق فتعمل ولكنها تتفضل ومما يعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر ارخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

منهما فأسد فى قولك رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا المعنى أعم منهما كالحيوان الجرىء مثلا ليكون اطلاقه عليهما حقيقة كاطلاق الحيوان عليهما (وقيل) مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فيكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرد استعارة لأنه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن يكون مجازا عقليا (وقال بعضهم) حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شىء معروف بها إلى شىء لم يعرف بها وحكمة ذلك إظهار الخفى وإيضاح الظاهر الذى ليس بجلى أو حصول المبالغة أو المجموع (مثال) إظهار الخفى وإنه فى أم الكتاب فإن حقيقته وإنه فى أصل الكتاب فاستعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كانشاء الفروع من الأصول وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرئيا فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان وذلك أبلغ فى البيان (ومثال) ايضاح ما ليس بجلى ليصير جليا واخفض لهما جناح الذل فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة فاستعير للذل أولا جانب (ثم) للجانب جناحا وتقدير الاستعارة القريبة واخفض لهما جانب الذل أى اخفض جانبك ذلا وحكمة الاستعارة فى هذا جعل ما ليس بمرىء مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة ممكنا احتيج فى الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعانى التى لا تحصل من خفض الجانب لأن من يميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه والمراد خفض يلصق الجنب بالأرض ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالطائر (ومثال المبالغة) (وفجرنا الأرض عيونا) وحقيقته وفجرنا عيون الأرض ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما فى الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيونا (فرع) أركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه ومستعار له وهو المعنى الجامع وأقسامها كثيرة باعتبارات فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام (أحدها) استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو (واشتعل الرأس شيبا) فالمستعار منه هو النار والمستعار له الشيب والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب وكل ذلك محسوس وهو أبلغ مما لو قيل اشتعل شيب الرأس لافادته عموم الشيب لجميع الرأس ومثله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه فى الكثرة والصبح إذا تنفس استعير خروج النفس شيئا فشيئا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا بجامع التتابع على طريق التدريج وكل ذلك محسوس (الثانى) استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى (قال) ابن أبى الإصبع وهى ألطف من الأولى نحو (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) فالمستعار منه السلخ الذى هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشف وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلى ومثله فجعلناها حصيدا أصل الحصيد النبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى (الثالث) استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى (وقال) ابن أبى الأصبع وهى ألطف الاستعارات نحو (من بعثنا من مرقدنا) المستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلى ومثله ولما سكت عن موسى الغضب المستعار السكوت والمستعار منه الساكت والمستعار له الغضب (الرابع) استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى أيضا نحو مستهم البأساء والضراء استعير المس وهو حقيقة فى الأجسام وهو محسوس لمقاساة الشدة والجامع اللحوق وهما عقليان (بل نقذف بالحق على الباطل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل اقاسيه بطىء الكواكب
وصدر اراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب
تقاعس حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذى يتلو النجوم بآيب

وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدمت أبيات امرىء القيس واستحسن استعارتها وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ويبطىء تقضيه وجعل له اردافا كثيرة وجعل له صلبا يمتد ويتطاول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ورأوا أن الألفاظ جميلة واعلم أن هذا صالح جميل وليس من الباب الذى يقال أنه متناه عجيب وفيه المام بالتكلف ودخول فى التعمل وقد خرجوا الفى

فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول فاصدع بما تؤمر استعير الصدع وهو كسر الزجاجة وهو محسوس للتبليغ وهو معقول والجامع التأثير وهو أبلغ من بلغ وان كان بمعناه لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزما واخفض لهما جناح الذل (قال الراغب) لما كان الذل على ضربين ضرب يضع الانسان وضرب يرفعه وقصد فى هذا المكان إلى ما يرفع استعير لفظ الجناح فكأنه قيل استعمل الذل الذى يرفعك عند الله وكذا قوله (يخوضون فى آياتنا فنبذوه وراء ظهورهم أفمن أسس بنيانه على تقوى ويبغونها عوجا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فجعلناه هباء منثورا فى كل واد يهيمون ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) كلها من استعارة المحسوس للمعقول والجامع عقلى (الخامس) استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلى أيضا نحو انا لما طغا الماء المستعار منه التكبير وهو عقلى والمستعار له كثرة الماء وهو حسى والجامع الاستعلاء وهو عقلى أيضا ومثله تكاد تميز من الغيظ وجعلنا آية النهار مبصرة وتنقسم باعتبار اللفظ إلى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية بحبل من الله من الظلمات إلى النور فى كل واد وتبعية وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس كالفعل والمشتقات كسائر الآيات السابقة وكالحروف نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علة الغاية عليه ثم استعير فى المشبه اللام الموضوعة للمشبه به (وتنقسم) باعتبار آخر إلى مرشحة ومجردة ومطلقة (فالاولى) وهى أبلغها ان تقترن بما يلائم المستعار منه نحو (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة (الثانية) ان تقترن بما يلائم المستعار له نحو فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعير اللباس للجوع ثم قرن بما يلائم المستعار له من الاذاقة ولو أراد الترشيح لقال فكساها لكن التجريد هنا أبلغ لما فى لفظ الاذاقة من المبالغة فى الالم باطنا (والثالثة) ان لا تقرن بواحد منهما وتنقسم باعتبار آخر إلى تحقيقية وتخييلية ومكنية وتصريحية (فالاولى) ما تحقق معناها حسا نحو فأذاقها الله الآية أو عقلا نحو وأنزلنا اليكم نورا مبينا أى بيانا واضحا وحجة لامعة اهدنا الصراط المستقيم أى الدين الحق فان كلا منهما يتحقق عقلا (والثانية) أن يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبه ويدل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ويسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنيا عنها لانه لم يصرح به بل دل عليه بذكر خواصه ويقابله التصريحية ويسمى اثبات ذلك الامر المختص بالمشبه للمشبه استعارة تخييلية لانه قد استعير للمشبه ذلك الامر المختص بالمشبه به وبه يكون كال المشبه به وقوامه فى وجه الشبه لتخيل ان المشبه من جنس المشبه به (ومن أمثلة) ذلك الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه شبه العهد بالحبل واضمر فى النفس فلم يصرح بشىء من أركان التشبيه سوى العهد المشبه ودل عليه باثبات النقض الذى هو من خواص المشبه به وهو الحبل وكذا واشتعل الرأس شيبا طوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال فأذاقها الله الآية شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر فأوقع عليه الاذاقة ختم الله على قلوبهم شبهها فى أن لا تقبل الحق بالشىء الموثوق المختوم (ثم) أثبت لها الختم جدارا يريد أن ينقض شبه ميلانه للسقوط بانحراف الحى فاثبت له الارادة التى هى من خواص العقلاء ومن التصريحية آية مستهم البأساء من بعثنا من مرقدنا وتنقسم باعتبار آخر إلى وفاقية بأن يكون اجتماعهما فى شىء ممكنا نحو (أو من كان ميتا فأحييناه) أى ضالا

البديع من القصيدة قوله

وقد اغتدى والطير فى وكناتها . بمنجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله أيضا

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فأما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والتمحل بمثله ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك انما كان يتفق لهم اتفاقا ويطرد فى كلامهم اطرادا وأما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف وكذلك

فهديناه استعير الاحياء من جعل الشيء حيا للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء وعنادية وهي مالا يمكن اجتماعهما كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض نحو فبشرهم بعذاب اليم أي أنذرهم واستعيرت البشارة وهي الاخبار بما يسر للانذار الذي هو ضده بادخال جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء نحو انك لانت الحليم الرشيد عنوا الغوي السفيه تهكما ذق انك أنت العزيز الكريم وتنقسم باعتبار آخر إلى تمثيلية وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد نحو (واعتصموا بحبل الله جميعا) شبه استظهارا لعبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه *(تنبيه)* قد تكون الاستعارة بلفظين نحو قوارير قوارير من فضة يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة بل في صفاء القارورة وبياض الفضة فصب عليهم ربك سوط عذاب فالصب كناية عن الدوام والسوط عن الايلام فالمعنى عذبهم عذابا دائما مؤلما. (فائدة). أنكر قوم الاستعارة بناء على انكارهم المجاز وقوم اطلاقها في القرآن لان فيها ايهاما للحاجة ولانه لم يرد في ذلك اذن من الشرع وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي (وقال) الطرطوشي ان أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها وان امتنعوا امتنعنا ويكون هذا من قبيل ان الله عالم والعلم هو العقل ثم لا نصفه به لعدم التوقيف اه. (فائدة). ثانية تقدم ان التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها واتفق البلغاء على ان الاستعارة أبلغ منه لانه مجاز وهو حقيقة والمجاز أبلغ فاذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة وكذا الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال في عروس الافراح انه الظاهر لانها كالجامعة بين كناية واستعارة ولانها مجاز قطعا (وفي) الكناية خلاف وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية كما يؤخذ من الكشاف ويليها المكنية صرح به الطيبي لاشتمالها على المجاز العقلي والترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة والتخييلية أبلغ من التحقيقية والمراد بالابلغية افادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه لا لزيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك. (خاتمة). من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الاداة نحو زيد أسد (قال) الزمخشري في قوله تعالى (صم بكم عمي) (فان قلت) هل يسمى ما في الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون وانما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (ومن ثم) ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا وعلله السكاكي بأن من شرط الاستعارة امكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة فلا يجوز أن يكون استعارة وتابعه صاحب الايضاح (قال في عروس الافراح) وما قالاه ممنوع وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر قال بل لو عكس ذلك وقيل لابد من عدم صلاحيته لكان أقرب لان الاستعارة مجاز لابد له من قرينة فان لم تكن قرينة امتنع صرفه إلى الاستعارة وصرفناه إلى حقيقته وانما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة اما لفظية أو معنوية نحو زيد أسد فالاخبار به عن زيد قرينة صارفة عن ارادة حقيقته (قال) والذي نختاره في نحو زيد أسد قسمان تارة يقصد به التشبيه فتكون اداة التشبيه مقدرة وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويكون الاسد مستعملا في حقيقته وذكر زيد والاخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة دالة عليها فان قامت قرينة على حذف الاداة صرنا اليه وان لم تقم فنحن بين اضمار

في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتا تباينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهيل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها ولاسوأ كلام ينحت عن الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الاهوا ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفة متحد ومتباعدة متقارب وشاردة مطيع

واستعارة والاستعارة أولى فيصار اليها وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة وكذا قال حازم الفرق بينهما ان الاستعارة وان كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لايجوز فيها والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه

* (النوع الرابع والخمسون) . فى كناياته وتعريضه هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة وقد تقدم ان الكناية أبلغ من التصريح وعرفها أهل البيان بانها لفظ أريد به لازم معناه وقال الطيبى ترك التصريح بالشىء إلى مايساويه فى اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم وانكر وقوعها فى القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على انها مجاز وقد تقدم الخلاف فى ذلك وللكناية أساليب أحدها التنبيه على عظم القدرة نحو هو الذى خلقكم من نفس واحدة كناية عن آدم ثانيها ترك اللفظ إلى ماهو أجمل نحو ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب فى ذلك لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ولهذا لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة وهو ان الملوك والاشراف لايذكرون حرائرهم فى ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر فلما قالت النصارى فى مريم ماقالوا صرح الله باسمها ولم يكن تأكيدا للعبودية التى هى صفة لها وتأكيدا لان عيسى لاأب له والا لنسب اليه ثالثها أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والدخول والسر فى قوله ولكن لاتواعدوهن سرا والغشيان فى قوله فلما تغشاها أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال المباشرة الجماع ولكن الله يكنى وأخرج عنه قال ان الله كريم يكنى ماشاء وان الرفث هو الجماع وكنى عن طلبه بالمراودة فى قوله وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وعنه أو عن المعانقة باللباس فى قوله هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وبالحرث فى قوله نساؤكم حرث لكم وكنى عن البول ونحوه بالغائط فى قوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) وأصله المكان المطمئن من الأرض وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام فى قوله فى مريم وابنها (كانا يأكلان الطعام) وكنى عن الاستاه بالادبار فى قوله (يضربون وجوههم وأدبارهم) أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى هذه الآية قال يعنى استاههم ولكن الله يكنى وأورد على ذلك التصريح بالفرج فى قوله والتى أحصنت فرجها (وأجيب) بان المراد به فرج القميص والتعبير به من ألطف الكنايات وأحسنها أى لايعلق ثوبها بريبة فهى طاهرة الثوب كما يقال نقى الثوب وعفيف الذيل كناية عن العفة ومنه وثيابك فطهر وكيف يظن ان نفخ جبريل وقع فى فرجها وانما نفخ فى جيب درعها ونظيره أيضا ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن (قلت) وعلى هذا ففى الآية كناية عن كناية ونظيره ماتقدم من مجاز المجاز (رابعها) قصد البلاغة والمبالغة نحو (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) كنى عن النساء بانهن ينشأن فى الترفه والتزين الشاغل عن النظر فى الامور ودقيق المعانى ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفى ذلك عن الملائكة وقوله (بل يداه مبسوطتان) كناية عن سعة جوده وكرمه جدا خامسها قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل نحو ولبئس ما كانوا يفعلون فان لم تفعلوا ولن تفعلوا أى فان لم تأتوا بسورة من مثله (سادسها) التنبيه على مصيره نحو تبت يدا أبى لهب أى جهنمى مصيره إلى اللهب حمالة الحطب فى جيدها حبل أى نمامة مصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم فى جيدها غل قال بدر الدين بن مالك فى المصباح انما يعدل عن الصرائح إلى الكناية لنكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد إلى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والالغاز والتعبير عن الصعب بالسهل وعن المعنى القبيح باللفظ الحسن واستنبط

ومطيعة وهو على متصرفاته واحد لايستعصب فى حال ولا يتعقد فى شأن وكنا أردنا أن نتصرف فى قصائد مشهورة فنتكلم عليها وتدل على معانيها ومحاسنها ونذكر لك من فضائلها ونقائصها ونبسط لك القول فى هذا الجنس ونفتح عليك فى هذا النهج ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا القدر يكفى فى كتابنا ولم نحب ان ننسخ لك ماسطره الادباء فى خطأ امرىء القيس فى العروض والنحو والمعانى وماعابوه عليه فى أشعاره وتكلموا به على ديوانه لأن ذلك أيضا خارج على غرض كتابنا ومجانب لمقصوده وانما أردنا أن نبين الجملة التى بيناها لتعرف ان طريقة الشعر شريعة

الزمخشري نوعا من الكناية غريبا وهو ان تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز فتعبر بها عن المقصود كما تقول في نحو (الرحمن على العرش استوى) أنه كناية عن الملك فان الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعل كناية عنه وكذا قوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين حقيقة ومجاز (تذنيب) من انواع البديع التي تشبه الكناية الارداف وهو ان يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى (وقضى الأمر) والأصل وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته وعدل عن ذلك إلى لفظ الارداف لما فيه من الايجاز والتنبيه على ان هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع وقضاء من لا يرد قضاؤه والأمر يستلزم آمرا فقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وقهره وان الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الآمر ولا يحصل ذلك كله في اللفظ الخاص وكذا قوله (واستوت على الجودي) حقيقة ذلك جلست فعدل على اللفظ الخاص المعنى إلى مرادفه لما في الاستواء من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس وكذا (فيهن قاصرات الطرف) الأصل عفيفات وعدل عنه للدلالة على انهن مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة قال بعضهم والفرق بين الكناية والإرداف ان الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم والإرداف من مذكور إلى متروك ومن أمثلته أيضا (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) عدل في الجملة الأولى عن قوله بالسوء أي مع ان فيه مطابقة كالجملة الثانية إلى بما عملوا تأدبا أن يضاف السوء إلى الله تعالى

(فصل) للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة فقال الزمخشري الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره وقال ابن الأثير الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة والله اني محتاج فانه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازا وانما فهم من عرض اللفظ أي جانبه وقال السبكي في كتاب الاغريض في الفرق بين الكناية والتعريض الكناية لفظ استعمل في معناه مرادا منه لازم المعنى فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة والتجوز في إرادة إفادة ما لم يوضع له وقد لا يراد بها المعنى بل يعبر بالملزوم عن اللازم وهي حينئذ مجاز ومن أمثلته قل نار جهنم أشد حرا فانه لم يقصد افادة ذلك لأنه معلوم بل افادة لازمه وهو أنهم يردونها ويجدون حرها ان لم يجاهدوا وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره نحو (بل فعله كبيرهم هذا) نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لعابديها بانها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزا فهو حقيقة أبدا وقال السكاكي التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره وسمي به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشارا به إلى آخر يقال نظر اليه بعرض وجهه أي جانبه قال الطيبي وذلك يفعل أما للتنويه جانب الموصوف ومنه ورفع بعضهم درجات أي محمدا ﷺ إعلاء لقدره أي انه العلم الذي لا يشتبه وإما للتلطف به والاحتراز عن المخاشنة نحو (ومالي لا أعبد الذي فطرني) أي وما لكم لا تعبدون بدليل قوله (واليه ترجعون وكذا قوله أأتخذ من دونه آلهة) ووجه حسنه اسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والاعانة على قبوله إذ لم يرد له الا ما أراده لنفسه وإما

مورودة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم وأنت تجد المتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه فيه وتجد للمتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد توافدا عليه وتوافيا اليه فهما فيه شريكا عنان وكأنهما فيه رضيعا لبان والله يؤتي فضله من يشاء فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فان العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولي به على الأمد وتصل به إلى المقصد وتتصور اعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر وأقرب عليك الغامض وأسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب ليست

لاستدراج الخصم الى الإذعان والتسليم ومنه (لئن أشركت ليحبطن عملك) خوطب النبى ﷺ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا وإما للذم نحو انما يتذكر أولوا الالباب فانه تعريض لذم الـكفار وانهم فى حكم البهائم الذين لا يتذكرون وإما للاهانة والتوبيخ نحو واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت فان سؤالها لاهانة قاتلها وتوبيخه وقال السبكى التعريض قسمان قسم يراد به معناه الحقيقى ويشار به الى المعنى الآخر المقصود كما تقدم وقسم لا يراد بل يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض كقول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا

* (النوع الخامس والخمسون) * فى الحصر والاختصاص أما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وكل منهما إما حقيقى واما مجازى مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا نحو مازيد الا كاتب أى لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء حتى يمكن اثبات شىء منها ونفى ماعداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ولذا لم يقع فى التنزيل ومثاله مجازيا وما محمد الا رسول أى أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظموه الذى هو من شأن الاله ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا لا اله الا الله ومثاله مجازيا (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) الآية لما قال الشافعى فيما تقدم نقله عنه من أسباب النزول ان الـكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكانوا يحرمون كثيرا من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسوقة بذكر شبههم فى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكان الغرض ابانة كذبهم فكأنه قال لا حرام الا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقى وقد تقدم بأبسط من هذا وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعيين فالاول يخاطب به من يعتقد الشركة نحو (انما الله اله واحد) خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الالوهية والثانى يخاطب به من يعتقد اثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له نحو ربى الذى يحيى ويميت خوطب به نمرود الذى اعتقد أنه هو المحيى المميت دون الله ألا انهم هم السفهاء خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم وأرسلناك للناس رسولا خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب والثالث يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم باثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد باحدى الصفتين بعينها

* (فصل). طرق الحصر كثيرة أحدها النفى والاستثناء سواء كان النفى بلا أوما أو غيرهما والاستثناء بالا أو غير نحو (لا اله الا الله وما من إله الا الله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) ووجه افادة الحصر ان الاستثناء المفرغ لابد أن يتوجه النفى فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه لأن الاستثناء اخراج فيحتاج الى مخرج منه والمراد التقدير المعنوى لا الصناعى ولا بد أن يكون عاما لان الاخراج لا يكون الا من عام ولا بد أن يكون مناسبا للمستثنى منه فى جنسه مثل ماقام الا زيد أى لا أحد وما أكلت الا تمرا أى مأكولا ولا بد أن يوافقه فى صفته أى اعرابه وحينئذ يجب القصر إذا وجب منه شىء بالضرورة فيبقى ماعداه على صفة الانتفاء واصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلا بالحكم وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب نحو وما محمد الا رسول فانه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبى ﷺ لانه نزل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته لان كل رسول فلا بد من موته فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته (الثانى انما) الجمهور على

له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح فى موضع الفجر يحسن فى كل كلام الا أن يكون شعرا أو سجعا وليس كذلك فان احدى اللفظتين قد تنفر فى موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجرانها وتراها فى مظانها وتجدها فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها فى محل نفار ومرمى شراد ونابية عن استقرار ولا أكثر عليك المثال ولا أضرب لك فيه الامثال وأرجع بك الى ماوعدتك من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت لا تعرف الفصل الذى بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجارى النظام لم تستفد مما نقربه عليك شيئا وكان التقليد أولى بك

انها للحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وأنكر قوم افادتها منهم أبو حيان واستدل مثبتوه بامور منها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة بالنصب فان معناه ما حرم عليكم الا الميتة لانه المطابق فى المعنى لقراءة الرفع فانها للقصر فكذا قراءة النصب والأصل استواء معنى القراءتين ومنها أن إن للاثبات وما للنفى فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفى والاثبات لكن تعقب بأن ما زائدة كافة لا نافية ومنها ان ان للتأكيد وما كذلك فاجتمع تأكيدان فافاد الحصر قاله السكاكى وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لافاده نحو ان زيدا لقائم (وأجيب) بان مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان الا للحصر ومنها قوله تعالى (قال انما العلم عند الله قال انما يأتيكم به الله قل انما علمها عند ربى) فانه انما تحصل مطابقة الجواب اذا كانت انما للحصر ليكون معناها لا آتيكم به انما يأتى به الله ولا أعلمها انما يعلمها الله وكذا قوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ما على المحسنين من سبيل الى قوله انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء. واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى وان تولوا فانما عليك البلاغ) لا يستقيم المعنى فى هذه الآيات ونحوها الا بالحصر وأحسن ما يستعمل انما هو فى مواقع التعريض نحو (انما يتذكر أولو الالباب) (الثالث أنما) بالفتح انما عدها من طرق الحصر الزمخشرى والبيضاوى فقالا فى قوله تعالى (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد انما لقصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع الامر ان فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة وانما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية وصرح التنوخى فى الأقصى القريب بكونها للحصر فقال كلما أوجب أن انما بالكسر للحصر أوجب أن انما بالفتح للحصر لانها فرع عنها وما ثبت للاصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه والاصل عدمه ورد أبو حيان على الزمخشرى ما زعمه بانه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية وأجيب بأنه حصر مجازى باعتبار المقام (الرابع) العطف بلا أو بل ذكره أهل البيان ولم يحكوا فيه خلافا ونازع فيه الشيخ بهاء الدين فى عروس الافراح فقال أى قصر فى العطف بلا انما فيه نفى واثبات فقولك زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة والقصر انما يكون بنفى جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب وأما العطف ببل فابعد منه لانه لا يستمر فيها النفى والاثبات (الخامس) تقديم المعمول نحو (اياك نعبد لالى الله تحشرون) وخالف فيه قوم وسيأتى بسط الكلام فيه قريبا (السادس) ضمير الفصل نحو (فالله هو الولى أى لا غيره وأولئك هم المفلحون ان هذا لهو القصص الحق ان شانئك هو الأبتر) وممن ذكر أنه للحصر البيانيون فى بحث المسند اليه واستدل له السهيلى بأنه أتى به فى كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى الى غير الله ولم يؤت به حيث لم يدع وذلك فى قوله وانه هو أضحك وأبكى الى آخر الآيات فلم يؤت به فى وأنه خلق الزوجين وأن عليه النشأة وأنه أهلك لان ذلك لم يدع لغير الله وأتى به فى الباقى لادعائه لغيره قال فى عروس الافراح وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) لانه لو لم يكن للحصر لما حسن لان الله لم يزل رقيبا عليهم وانما الذى حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ومن قوله (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه ذكر لتبيين عدم الاستواء وذلك لا يحسن الا بأن يكون الضمير للاختصاص (السابع) تقديم المسند اليه على ما قاله الشيخ عبد القاهر قد يقدم المسند اليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى والحاصل على رأيه ان له أحوالا أحدها أن يكون المسند اليه معرفة والمسند

مثبتا

والاتباع فوجب عليك ولكل شىء سبب ولكل علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشىء من غير طريقه ولا بلوغ غايته من غير سبيله خذ الآن هداك الله فى تفريغ الفكر وتخلية البال وانظر فيما نعرض عليك ونهديه اليك متوكلا على الله ومعتصما به ومستعيذا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على اعجاز القرآن العظيم نسماه الله عز ذكره حكيما وعظيما ومجيدا وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وقال (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا) وقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

مثبتا فيأتي للتخصيص نحو انا قمت وأنا سعيت في حاجتك فان قصد به قصر الافراد أكد بنحو وحدي أو قصر القلب أكد بنحو لا غيري ومنه في القرآن بل أنتم بهديتكم تفرحون فان ماقبله من قوله أتمدونني بمال ولفظ بل المشعر بالاضراب يقضي بان المراد بل أنتم لا غيركم على أن المقصود نفي فرحه هو بالهدية لا اثبات الفرح لهم بهديتهم قاله في عروس الافراح قال وكذا قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم أي لا يعلمهم الا نحن وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص قال الشيخ بهاء الدين ولا يتميز ذلك الا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام ثانيها أن يكون المسند منفيا نحو أنت لا تكذب فانه ابلغ في نفي الكذب من لا تكذب ومن لا تكذب أنت وقد يفيد التخصيص ومنه فهم لا يتساءلون ثالثها أن يكون المسند اليه نكرة مثبتا نحو رجل جاءني فيفيد التخصيص إما بالجنس أي لا امرأة أو الوحدة أي لا رجلان رابعها أن يلي المسند اليه حرف النفي فيفيده نحو ما أنا قلت هذا أي لم أقله مع أن غيري قاله ومنه وما أنت علينا بعزيز أي العزيز علينا رهطك لا أنت ولذا قال أرهطي أعز عليكم من الله هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر ووافقه السكاكي وزاد شروطا وتفاصيل بسطناها في شرح ألفية المعاني (الثامن) تقديم المسند ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص ورده صاحب الفلك الدائر بانه لم يقل به أحد وهو ممنوع فقد صرح السكاكي وغيره بان تقديم ما رتبته التأخير يفيده ومثلوه بنحو تميمي أنا (التاسع) ذكر المسند اليه ذكر السكاكي أنه قد يذكر ليفيد التخصيص وتعقبه صاحب الايضاح وصرح الزمخشري بانه أفاد الاختصاص في قوله (الله يبسط الرزق) في سورة الرعد وفي قوله الله نزل أحسن الحديث وفي قوله (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) ويحتمل أنه أراد أن تقديمه افاده فيكون من أمثلة الطريق السابع (العاشر) تعريف الجزأين ذكر الامام فخر الدين في نهاية الايجاز أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة نحو المنطلق زيد ومنه في القرآن فيما ذكر الزملكاني في أسرار التنزيل الحمد لله قال إنه يفيد الحصر كما في اياك نعبد أي الحمد لله لا لغيره (الحادي عشر) نحو جاء زيد نفسه نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر (الثاني عشر) نحو إن زيدا لقائم نقله المذكور أيضا (الثالث عشر) نحو قائم في جواب زيد إما قائم أو قاعد ذكره الطيبي في شرح البيان (الرابع عشر) قلب بعض حروف الكلمة فانه يفيد الحصر على مانقله في الكشاف في قوله والذين أجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال القلب للاختصاص بالنسبة الى لفظ الطاغوت لان وزنه على قول فعلوت من الطغيان كملكوت ورحموت قلب بتقديم اللام على العين فوزنه فلعوت ففيه مبالغات التسمية بالمصدر والبناء بناء مبالغة والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان (تنبيه) كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ولهذا قيل في اياك نعبد واياك نستعين معناه نخصك بالعبادة والاستعانة وفي لالى الله تحشرون معناه اليه لا إلى غيره وفي لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أخرت الصلة في الشهادة الأولى وقدمت في الثانية لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم وفي الثاني اثبات اختصاصهم بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وخالف في ذلك ابن الحاجب فقال في شرح المفصل الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم واستدل على ذلك بقوله (فاعبد الله مخلصا له الدين) ثم قال بل الله فاعبد ورد هذا الاستدلال بانه مخلصا له الدين أغنى عن أداة الحصر في الآية الأولى ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر كما قال تعالى واعبدوا ربكم وقال أمر ألا تعبدوا الا اياه بل قوله بل الله فاعبد من أقوى أدلة الاختصاص فان قبلها لئن أشركت ليحبطن عملك فلو لم يكن للاختصاص وكان معناه اعبد الله لما حصل الاضراب

لبعض ظهيرا) وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصيدلاني حدثنا محمد ابن سلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن الحارث الاعور عن على رضي الله عنه قال قيل يارسول الله إن أمتك ستفتتن من بعدك فسأل أو سئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه وأخبرني أحمد بن علي

الذى هو معنى بل واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو (أفغير الله تأمرونى اعبد) وأجيب
بانه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك كانه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة
ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل وهو أقوى ما رد به
وأجيب بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة وقد يخرج الشىء عن الغالب قال الشيخ بهاء الدين وقد
اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة وهى (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون)
فان التقديم فى الاول قطعا ليس للاختصاص وفى اياه قطعا للاختصاص وقال والده الشيخ تقى الدين
فى كتاب الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص اشتهر كلام الناس فى أن تقديم المعمول
يفيد الاختصاص ومن الناس من ينكر ذلك ويقول انما يفيد الاهتمام وقد قال سيبويه فى كتابه
وهم يقدمون ما هم به أعنى والبيانون على افادته الاختصاص ويفهم كثير من الناس من الاختصاص
الحصر وليس كذلك وانما الاختصاص شىء والحصر شىء آخر والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة
الحصر وانما عبروا بالاختصاص والفرق بينهما ان الحصر نفى غير المذكور واثبات المذكور
والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص
والخصوص مركب من شيئين أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء والثانى معنى منضم اليه يفصله
عن غيره كضرب زيد فانه اخص من مطلق الضرب فاذا قلت ضربت زيدا أخبرت بضرب عام وقع منك
على شخص خاص فصار ذلك الضرب المخبر به خاصا لما انضم اليه منك ومن زيد وهذه المعانى الثلاثة
أعنى مطلق الضرب وكونه واقعا منك وكونه واقعا على زيد قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على
السواء وقد يترجح قصده لبعضها على بعض ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه فان الابتداء بالشىء يدل
على الاهتمام به وأنه هو الأرجح فى غرض المتكلم فاذا قلت زيدا ضربت علم أن خصوص الضرب
على زيد هو المقصود ولا شك فى أن كل مركب من خاص وعام له جهتان فقد يقصد من جهة عمومه وقد
يقصد من جهة خصوصه والثانى هو الاختصاص وأنه هو الاهم عند المتكلم وهو الذى قصد افادته
السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفى ففى الحصر معنى زائد عليه وهو نفى ما عدا
المذكور وانما جاء هذ فى اياك نعبد للعلم بان قائليه لا يعبدون غير الله تعالى ولذا لم يطرد فى بقية
الآيات فان قوله افغير دين الله يبغون و جعل فى معنى ما يبغون الا غير دين الله وهمزة الانكار داخلة
عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرد بغيهم غير دين الله وليس المراد وكذلك آلهة دون الله
تريدون المنكر ارادتهم آلهة دون الله من غير حصر وقد قال الزمخشرى وبالآخرة هم يوقنون فى
تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة
على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما
أنزل من قبلك وهذا الذى قاله الزمخشرى فى غاية الحسن وقد اعترض عليه بعضهم فقال تقديم الاخرة
افاد أن ايقانهم مقصور على أنه ايقان بالآخرة لا بغيرها وهذا الاعتراض من قائله مبنى على ما فهمه
من أن تقديم المعمول يفيد الحصر وليس كذلك ثم قال المعترض وتقديم هم أفاد أن هذا القصر مختص
بهم فيكون ايقان غيرهم بالآخرة انما بغيرها حيث قالو لن تمسنا النار وهذا منه أيضا استمرار
على ما فى ذهنه من الحصر أى أن المسلمين لا يوقنون الا بالاخرة وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها
وهذ عجيب ألجاه اليه فهمه الحقير وهو ممنوع وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام
(أحدها) بما والا كقولك ما قام الا زيد صريح فى نفى القيام عن غير زيد ويقتضى اثبات القيام
لزيد قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم لان الا موضوعة للاستثناء وهو



بن الحسن أخبرنا أبى
أخبرنا بشر بن عبد الوهاب
أخبرنا هشام بن عبيد الله
حدثنا المسيب بن
شريك عن عبيدة عن
اسامة بن أبى عطاء قال
ارسل النبى صلى الله
عليه وسلم الى على رضى
الله عنه فى ليلة فذكر
نحو ذلك فى المعنى وفى
بعض الفاظه اختلاف
وأخبرنا احمد بن على بن
الحسن أخبرنا ابى اخبرنا
بشر بن عبد الوهاب
اخبرنا هشام بن عبيد
الله حدثنا المسيب بن
شريك عن بشر بن نمير
عن القاسم عن أبى أمامة
قال قال رسو الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ
ثلث القرآن اعطى ثلث
النبوة ومن قرأ نصف
القرآن أعطى نصف
النبوة ومن قرأ القرآن
كله أعطى النبوة كلها
غيره أنه لا يوحى اليه وذكر
الحديث ولو لم يكن من
عظم شأنه الا أنه طبق
الارض أنواره وجلل
الآفاق ضياؤه ونفذ فى
العالم حكمه وقبل فى
الدنيا رسمه وطمس

الاخراج فدلالتها على الاخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ولكن الاخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام بل قد يستلزمه فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم والتبس على بعض الناس لذلك فقال انه بالمنطوق (والثانى) الحصر بانما وهو قريب من الأول فيما نحن فيه وان كان جانب الاثبات فيه أظهر فكانه يفيد اثبات قيام زيد إذا قلت انما قام زيد بالمنطوق ونفيه عن غيره بالمفهوم (الثالث) الحصر الذى قد يفيده التقديم وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصر بن الأولين بل هو فى قوة جملتين أحدهما ماصدر به الحكم نفيا كان أو اثباتا وهو المنطوق والأخرى مافهم من التقديم والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط دون مادل عليه من المفهوم لأن المفهوم لامفهوم له فاذا قلت أنا لا أكرم إلا اياك افاد التعريض بان غيرك يكرم غيره ولا يلزم انك لا تكرمه وقد قال تعالى (الزانى لاينكح الا زانية أو مشركة) افاد ان العفيف قد ينكح غير الزانية وهو ساكت عن نكاحه الزانية فقال سبحانه وتعالى بعده (والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك) بيانا لما سكت عنه فى الأول فلو قال بالآخرة يوقنون أفاد بمنطوقه ايقانهم بها ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها وليس ذلك مقصودا بالذات والمقصود بالذات قوة ايقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازى وهو دون قولنا يوقنون بالآخرة لا بغيرها فاضبط هذا واياك أن تجعل تقديره لايوقنون الا بالآخرة إذا عرفت هذا فتقديم هم أفاد ان غيرهم ليس كذلك فلو جعلنا التقدير لا يوقنون الا بالآخرة كان المقصود المهم النفى فيتسلط المفهوم عليه فيكون المعنى افادة أن غيرهم يوقن بغيرها كما زعم المعترض ويطرح افهام أنه لا يوقن بالآخرة ولاشك أن هذا ليس بمراد بل المراد افهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة فلذلك حافظنا على أن الغرض الاعظم اثبات الايقان بالآخرة ليتسلط المفهوم عليه وان المفهوم لا يتسلط على الحصر لان الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة مثل ما والا ومثل انما وانما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق وليس أحدهما متقيدا بالآخر حتى تقول ان المفهوم افاد نفى الايقان المحصور بل أفاد نفى الايقان مطلقا عن غيرهم وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ونحن نمنع ذلك ونقول إنه اختصاص وأن بينهما فرقا اه كلام السبكى

*(النوع السادس والخمسون)* فى الايجاز والاطناب اعلم أنهما من اعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال البلاغة هى الايجاز والاطناب قال صاحب الكشاف كما أنه يجب على البليغ فى مظان الاجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة  وحى الملاحظ خيفة الرقباء

واختلف هل بين الايجاز والاطناب واسطة وهى المساواة أولا وهى داخلة فى قسم الايجاز فالسكاكى وجماعة على الأول لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة لانهم فسروها بالمتعارف من كلام اوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة وفسروا الايجاز باداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف والاطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقا بالبسط وابن الاثير وجماعة على الثانى فقالوا الايجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب بلفظ أزيد وقال القزوينى الاقرب أن يقال إن المنقول من طرق التعبير عن المراد تأدية اصله اما بلفظ مساو للاصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة والأول المساواة والثانى الايجاز والثالث الاطناب واحترز بواف عن الاخلال وبقولنا لفائدة عن الحشو والتطويل فعنده ثبوت المساواة واسطة وأنها من قسم المقبول فان قلت عدم ذكرك المساواة فى الترجمة لماذا هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها أو لامر غير ذلك قلت لهما ولامر ثالث وهو ان المساواة

ظلام الكفر بعد ان كان مضروب الرواق ممدود الاطناب مبسوط الباع مرفوع العماد ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته أو يعبده حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالته أو يتفكر فى حكمته فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره من انه نور فقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهتدى إلى صراط مستقيم) فانظر ان شئت إلى شريف هذا النظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا يدل على صدوره من الربوبية ويبين عن وروده عن الالهية وهذه الكلمة بمنفردها وأخواتها كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير تميز عن جميعه وكان واسطة

لا تكاد توجد خصوصا فى القرآن وقد مثل لها فى التلخيص بقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وفى الإيضاح بقوله (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) وتعقب بأن فى الآية الثانية حذف موصوف الذين وفى الأولى اطناب بلفظ السيء لأن المكر لا يكون الا سيئا وايجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرغ أى بأحد وبالقصر فى الاستثناء وبكونها حاثة على كف الأذى عن جميع الناس محذرة عن جميع ما يؤدى إليه وبأن تقديرها يضر بصاحبه مضرة بليغة فاخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيل لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل الا فى الأجسام (تنبيه) الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرح به الطيبى وقال بعضهم الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز قال الشيخ بهاء الدين وليس بشيء والإطناب قيل بمعنى الإسهاب والحق أنه أخص منه فان الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة ذكره التنوخى وغيره

*(فصل)* الايجاز قسمان إيجاز قصر وإيجاز حذف فالأول هو الوجيز بلفظه قال الشيخ بهاء الدين الكلام القليل ان كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف وإن كان كلاما يعطى معنى أطول منه فهو إيجاز قصر وقال بعضهم إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ وقال آخر هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقال الطيبى فى التبيان الايجاز الخالى من الحذف ثلاثة أقسام أحدها إيجاز القصر وهو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله (إنه من سليمان إلى قوله وائتونى مسلمين) جمع فى أحرف العنوان والكتاب والحاجة وقيل فى وصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معناه قلت وهذا رأى من يدخل المساواة فى الايجاز (الثانى) إيجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا وبه سماه بدر الدين بن مالك فى المصباح لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) أى خطاياه غفرت فهى له لا عليه هدى لمتقين أى الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى (الثالث) الإيجاز الجامع وهو أن يحتوى اللفظ على معان متعددة نحو (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية فان العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات فى الاعتقاد والاخلاق والعبودية والإحسان هو الإخلاص فى واجبات العبودية لتفسيره فى الحديث بقوله أن تعبد الله كأنك تراه أى تعبده مخلصا فى نيتك وواقفا فى الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى وايتاء ذى القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا فى الأوامر وأما النواهى فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر إلى لافراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعا وبالبغى إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية قلت ولهذا قال ابن مسعود ما فى القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية اخرجه فى المستدرك وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها يوما ثم وقف فقال إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله فى آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئا ألا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئا إلا جمعه وروى أيضا عن ابن شهاب فى معنى حديث الشيخين بعثت بجوامع الكلم قال بلغنى أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك ومن ذلك قوله تعالى خذ العفو الآية فإنها جامعة لمكارم الأخلاق لأن فى أخذ العفو التساهل والتسامح فى الحقوق واللين والرفق فى الدعاء إلى الدين وفى الأمر بالمعروف كف الأذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات وفى الاعراض للصبر والحلم والتؤدة ومن بديع الإيجاز قوله (تعالى قل هو الله أحد) إلى آخرها

عقده وفاتحة عقده وغرة شهره وعين دهره وكذلك قوله (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لأنه يحى الخلق فله فضل الأرواح فى الأجساد وجعله نورا لأنه يضيء ضياء الشمس فى الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به إلى مشيئته ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين أنه لم يكن ليهتدى اليه لولا توفيقه ولم يكن ليعلم ما فى الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه وأنه لم يكن ليهتدى فكيف كان يهدى لولاه فقد صار يهدى ولم يكن من قبل ذلك ليهتدى فقال (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الأولتان مؤتلفتان وقوله (ألا إلى الله تصير الأمور) كلمة منفصلة مباينة للأولى قد صيرها شريف النظم أشد ائتلافا من

فانه نهاية التنزيه وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد وقوله وأخرج منها ماءها ومرعاها دل بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء وقوله (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصداع وعدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الآية أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى واهلك وابقى واسعد واشقى وقص من الانباء مالو شرح ما اندرج فى هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الأقلام وقد افردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفى العجائب للكرمانى أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة الفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال وقوله تعالى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) الآية جمع فى هذه اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت فالنداء يا والكناية أى والتنبيه ها والتسمية النمل والامر ادخلوا والقصص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم والتخصيص سليمان والتعميم جنوده والاشارة وهم والعذر لا يشعرون فأدت خمس حقوق حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان وقوله (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية جمع فيها أصول الكلام النداء والعموم والخصوص والأمر والاباحة والنهى والخبر وقال بعضهم جمع الله الحكمة فى شطر آية (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية قال ابن العربى هى من أعظم آى فى القرآن فصاحة اذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان وقوله فاصدع بما تؤمر قال ابن أبى الاصبع المعنى صرح بجميع ما أوحى اليك وبلغ كل ما أمرت ببيانه وان شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح فى القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الانكار والاستبشار كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وعظم إيجازها وما انطوت عليه من المعانى الكثيرة وقد حكى ان بعض الاعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام اه وقوله تعالى (وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين) قال بعضهم جمع بهاتين اللفظتين مالو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه وقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) فان معناه كثير ولفظه قليل لان معناه ان الانسان إذا علم أنه متى قتل كان داعيا إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بعشرين وجها أو أكثر وقد أشار ابن الاثير إلى انكار هذا التفضيل وقال لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك (الأول) ان ما يناظره من كلامهم وهو قولهم القصاص حياة أقل حروفا فان حروفه عشرة وحروف القتل انفى للقتل أربعة عشر (الثانى) ان نفى القتل لا يستلزم الحياة والآية ناصة على ثبوتها التى هى الغرض المطلوب منه (الثالث) أن تنكير حياة يفيد تعظيما فيدل على أن فى القصاص حياة متطاولة كقوله تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ولا كذلك المثل فان اللام فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء (الرابع) ان الآية فيه مطردة بخلاف المثل فانه ليس كل قتل أنفى للقتل بل قد يكون أدعى له القتل ظلما وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبدا (الخامس)

الكلام المؤتلف وألطف انتظاما من الحديث الملائم وبهذا يبين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الامر أظهر والحمد لله والحال ابين من ان يحتاج إلى كشف تأمل قوله (فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) انظر إلى هذه الكلمات الأربع التى الف بينها واحتج بها على ظهور قدرته ونفاذ أمره أليس كل كلمة منها فى نفسها غرة بمنفردها درة وهو مع ذلك يبين أنه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويتجلى فى بهجة القدرة ويتحلى بخالصة العزة ويجمع السلاسة إلى الرصانة والسلامة إلى المتانة والرونق الصافى والبهاء الضافى ولست أقول انه شمل الأطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وان كان قد جمع ذلك وأكثر منه لان العجيب ما بينا من انفراد كل

ان الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع فى المثل والخالى من التكرار أفضل من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة (السادس) ان الآية مستغنية عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان فيه حذف من التى بعد أفعل التفضيل وما بعدها وحذف قصاصا مع القتل الاول وظلما مع القتل الثانى والتقدير القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما من تركه (السابع) أن فى الآية طباقا لان القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل (الثامن) ان الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلا ومكانا لضده الذى هو الحياة واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة ذكره فى الكشاف وعبر عنه صاحب الايضاح بأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال فى عليه (التاسع) أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره فان اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت بذلك فصاحته بخلاف ما اذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات نظيره إذا تحركت الدابة ادنى حركة فحبست ثم تحركت فحبست لا تطيق اطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ماتختاره فهى كالمقيدة (العاشر) أن المثل كالتناقض من حيث الظاهر لان الشىء لا ينفى نفسه (الحادى عشر) سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون (الثانى عشر) اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد إذ القاف من حروف الاستعلاء والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق بخلاف الخروج من القاف الى التاء التى هى حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق (الثالث عشر) فى النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ولا كذلك تكرير القاف والتاء (الرابع عشر) سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة فان الطباع أقبل له من لفظ القتل (الخامس عشر) ان لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو منبىء عن العدل بخلاف مطلق القتل (السادس عشر) الآية مبنية على الاثبات والمثل على النفى والاثبات أشرف لانه أول والنفى ثان عنه (السابع عشر) أن المثل لايكاد يفهم الا بعد فهم ان القصاص هو الحياة وقوله فى القصاص حياة مفهوم من أول وهلة (الثامن عشر) أن فى المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد والآية سالمة منه (التاسع عشر) أن أفعل فى الغالب يقتضى الاشتراك فيكون ترك القصاص نافيا للقتل ولكن القصاص أكثر نفيا وليس الأمر كذلك والآية سالمة من ذلك (العشرون) أن الآية رادعة عن القتل والجرح معا لشمول القصاص لهما والحياة أيضا فى قصاص الأعضاء لان قطع العضو ينقص أو ينغص مصلحة الحياة وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ولا كذلك المثل فى أول الآية ولكم وفيها لطيفة وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص وانهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم (تنبيهات) الأول * ذكر قدامة من أنواع البديع الاشارة وفسرها بالاتيان بكلام قليل ذى معان جمة وهذا هو إيجاز القصر بعينه لكن فرق بينهما ابن أبى الاصبع أن الايجاز دلالته مطابقة ودلالة الاشارة إما تضمن أو التزام فعلم منه أن المراد بها ما تقدم فى مبحث المنطوق (الثانى) ذكر القاضى أبو بكر فى اعجاز القرآن أن من الايجاز نوعا يسمى التضمين وهو حصول معنى فى لفظ من غير ذكر له باسم هى عبارة عنه قال وهو نوعان أحدهما ما يفهم من البنية كقوله معلوم فانه يوجب أنه لابد من عالم والثانى من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم فانه تضمن تعليم الاستفتاح فى الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه (الثالث) ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح وغيرهما أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر سواء كان بإلا

كلمة بنفسها حتى تصلح ان تكون عين رسالة أو خطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فاذا ألفت ازدادت حسنا وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا ثم تأمل قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) هل تجد كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط القول البليغ فاذا كانت الآية تنتظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لا تفوت حد المعهود ولا تجوز شأو المألوف وكيف لاتحوز قصب السبق ولا تتعالى عن كلام الخالق ثم اقصد إلى سورة تامة فتصرف فى معرفة قصصها وراع ما فيها من براهينها وقصصها تأمل السورة التى يذكر فيها النمل وانظر فى كل كلمة كلمة وفصل وفصل بدأ بذكر

او بإما اوغيرهما من أدواته لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين وباب العطف لأن حرفه وضع للاغناء من إعادة العامل وباب النائب عن الفاعل لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه وباب الضمير لأنه وضع الاستغناء به عن الظاهر اختصارا ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل وباب علمت أنك قائم لأنه متحمل لاسم واحد سد مسد المفعولين من غير حذف ومنها باب التنازع إذا لم نقدر على رأى الفراء ومنها طرح المفعول اقتصارا على جعل المتعدى كاللازم وسيأتى تحريره ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط فإن كم مالك يغنى عن قولك أهو عشرون أم ثلاثون وهكذا إلى مالا يتناهى ومنها الألفاظ اللازمة للعموم كأحد ومنها لفظ التثنية والجمع فإنه يغنى عن تكرير المفرد وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصارا ومما يصلح أن يعد من أنواعه المسمى بالاتساع من أنواع البديع وهو أن يأتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله ألفاظه من المعانى كفواتح السور ذكره ابن أبى الأصبع (القسم الثانى) من قسمى الإيجاز إيجاز الحذف وفيه فوائد ذكر أسبابه منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الاتيان بالمحذوف وان الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهم وهذه هى فائدة باب التحذير والاغراء وقد اجتمعا فى قوله تعالى (ناقة الله وسقياها) فناقة الله تحذير بتقدير ذروا وسقياها اغراء بتقدير الزموا ومنها التفخيم والاعظام لما فيه من الابهام قال حازم فى منهاج البلغاء إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون فى تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها قال ولهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله فى وصف أهل الجنة حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها لحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك وكذا قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار أى لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة ومنها التخفيف لكثرة دورانه فى الكلام كما فى حذف حرف النداء نحو يوسف أعرض ونون لم يكن والجمع السالم ومنه قراءة (والمقيمى الصلاة وياء والليل إذا يسر) وسأل المورج السدوسى الأخفش عن هذه الآية فقال عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه والليل لما كان لا يسرى وإنما يسرى فيه نقص منه حرف كما قال تعالى (وما كانت أمك بغيا) الأصل بغية فلما حول عن فاعل نقص منه حرف ومنها كونه لا يصلح إلا له نحو (عالم الغيب والشهادة فعال لما يريد) ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء قال الزمخشرى وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها أنطق من لسان المقال وحمل عليه قراءة حمزة تساءلون به والأرحام لأن هذا مكان شهر بتكرر الجار فقامت الشهرة مقام الذكر ومنها صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى (قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات) الآيات حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أى هو رب والله ربكم والله رب المشرق لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما ومثله فى عروس الأفراح بقوله تعالى (رب أرنى أنظر اليك) أى ذاتك ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرا له نحو صم بكم أى هم أو المنافقون ومنها قصد العموم نحو وإياك نستعين أى على العبادة وعلى أمورنا كلها (والله يدعو إلى دار السلام) أى كل واحد ومنها رعاية الفاصلة نحو (ماودعك ربك وماقلى) أى وماقلاك ومنها قصد البيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة نحو فلو شاء لهداكم أى فلو شاء هدايتكم فإنه إذا سمع السامع فلو شاء تعلقت نفسه بما شاء انبهم عليه لا يدرى ماهو فلما ذكر

السورة إلى أن بين أن القرآن من عنده فقال (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه (رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أوآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) وقال فى سورة طه فى هذه القصة (لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى) (وفى موضع) لعلى آتيكم منها بخبر أوجذوة من النار لعلكم تصطلون) قد تصرف فى وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال (فليأتوا بحديث مثله) ليكون أبلغ فى تعجيزهم وأظهر للحجة عليهم وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهى بليغة بنفسها تامة فى معناها ثم قال (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) فانظر إلى ما أجرى له الكلام

الجواب استبيان بعد ذلك وأكثر مايقع ذلك بعد أداة شرط لأن مفعول المشيئة مذكور فى جوابها وقد يكون مع غيرها استدلالا بغير الجواب نحو (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا أو عظيما نحو (لمن شاء منكم أن يستقيم لو أردنا أن نتخذ لهوا) وإنما أطرد أو كثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب ولذلك كانت الإرادة مثلها فى اطراد حذف مفعولها ذكره الزملكانى والتنوخى فى الأقصى القريب قالوا وإذا حذف بعد لو فهو المذكور فى جوابها أبدا وأورد فى عروس الأفراح (وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) فان المعنى لو شاء ربنا ارسال الرسل لأنزل ملائكة لأن المعنى معين على ذلك * (فائدة) * قال الشيخ عبد القاهر مامن اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره وسمى ابن جنى الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام * (قاعدة) * فى حذف المفعول اختصارا واقتصارا قال ابن هشام جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصارا واقتصارا ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ويريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو (كلوا واشربوا) أى أوقعوا هذين الفعلين والتحقيق أن يقال يعنى كما قال أهل البيان تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسندا إلى فعل كون عام فيقال حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفعل للفاعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنوى كالثابت ولا يسمى محذوفا لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ومنه (ربى الذى يحيى ويميت هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون كلوا واشربوا ولا تسرفوا وإذا رأيت ثم) إذ المعنى ربى الذى يفعل الإحياء والإماتة وهل يستوى من يتصف بالعلم ومن ينتفى عنه العلم وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف وإذا حصلت منك رؤية ومنه ولما ورد ماء مدين الآية ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما اذ كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقى لا لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا وكذلك المقصود من لا نسقى السقى لا المسقى ومن لم يتأمل قدر يسقون ابلهم وتذودان غنمهما ولا نسقى غنما وتارة يقصد اسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو لا تأكلوا الربا ولا تقربوا الزنا وهذا النوع الذى إذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف وقد يكون فى اللفظ مايستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو (أهذا الذى بعث الله رسولا وكلا وعد الله الحسنى) وقد يشتبه الحال فى الحذف وعدمه نحو (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف أو سموا فالحذف واقع (ذكر شروطه) هى ثمانية أحدها وجود دليل إما حالى نحو قالوا سلاما أى سلمنا سلاما أو مقالى نحو (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أى أنزل خيرا قال سلام قوم منكرون أى سلام عليكم أنتم قوم منكرون ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو حرمت عليكم الميتة فان العقل يدل على أنها ليست المحرمة لأن التحريم لا يضاف إلى الأجرام وإنما هو والحل يضافان إلى الأفعال فعلم بالعقل حذف شىء وأما تعينه وهو التناول فمستفاد من الشرع وهو قوله صلى الله عليه وسلم إنما حرم أكلها لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة وأما قول صاحب التلخيص إنه من باب دلالة العقل أيضا فتتابع فيه السكاكى من غير تأمل أنه مبنى على أصول المعتزلة وتارة يدل العقل أيضا على التعيين نحو (وجاء ربك) أى أمره بمعنى عذابه لأن العقل دل على استحالة مجىء البارى لأنه من سمات الحادث

من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها مابعدها من الأخبار عن الربوبية ومادل به عليها من قلب العصا حية وجعلها دليلا يدل عليه ومعجزة تهديه اليه وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها فى الحسن وفيما تتضمنه من المعانى الشريفة ثم ماشفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر فى آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت فى الجمال غاية وفى الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها تجرى فى الحسن مجراها وتأخذ فى معناها ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع فى نظم الفصل إلى الفصل وحتى يصور لك الفصل

وعلى ان الجانى أمره أو فوا بالعقود وأوفوا بعهد الله أى بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله لان العقد والعهد قولان قد دخلا فى الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض وانما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما وتارة تدل على التعيين العادة نحو (فذلكن الذى لمتننى فيه) دل العقل على الحذف لان يوسف لا يصح ظرفا للوم ثم يحتمل أن يقدر لمتننى فى حبه لقوله قد شغفها حبا وفى مراودته لقوله تراود فتاها والعادة دلت على الثانى لان الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة لانه ليس اختياريا بخلاف المراودة للقدرة على دفعها وتارة يدل عليه التصريح به فى موضع آخر وهو أقواها نحو (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) أى أمره بدليل أو يأتى أمر ربك وجنة عرضها السموات أى كعرض بدليل التصريح به فى آية الحديد رسول من الله أى من عند الله بدليل ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم (ومن الادلة) على أصل الحذف العادة بان يكون العقل غير مانع من اجراء اللفظ على ظاهره ومن غير حذف نحو لو نعلم قتالا لاتبعناكم أى مكان قتال والمراد مكانا صالحا للقتال وانما كان كذلك لانهم كانوا أخبر الناس بالقتال ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه فالعادة تمنع أن يريدوا لو نعلم حقيقة القتال فلذلك قدره مجاهد مكان قتال ويدل عليه أنهم أشاروا على النبى ﷺ أن لا يخرج من المدينة ومنها الشروع فى الفعل نحو بسم الله فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له فان كانت عند الشروع فى القراءة قدرت اقرأ أو الاكل قدرت آكل وعلى هذا أهل البيان قاطبة خلافا لقول النحاة انه يقدر ابتدأت أو ابتدائى كائن بسم الله ويدل على صحة الاول التصريح به فى قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وفى حديث باسمك ربى وضعت جنبى ومنها الصناعة النحوية كقولهم فى لا أقسم التقدير لانا أقسم لان فعل الحال لا يقسم عليه وفى تالله تفتؤ التقدير لا تفتؤ لانه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون كقوله وتالله لاكيدن وقد توجب الصناعة التقدير وان كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم فى لا اله الا الله ان الخبر محذوف أى موجود وقد أنكره الامام فخر الدين وقال هذا كلام لا يحتاج الى تقدير وتقدير النحاة فاسد لان نفى الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة فانها اذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلا على سلب الماهية مع القيد واذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر ورد بان تقديرهم موجود يستلزم نفى كل اله غير الله قطعا فان العدم لا كلام فيه فهو فى الحقيقة نفى للحقيقة مطلقة لا مقيدة ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر وانما يقدر النحوى ليعطى القواعد حقها وان كان المعنى مفهوما

• (تنبيه) • قال ابن هشام انما يشترط الدليل فيما اذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها أو يفيد معنى فيها هى مبنية عليه نحو تالله تفتؤ أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل بل يشترط أن لا يكون فى حذفها ضرر معنوى أو صناعى قال ويشترط فى الدليل اللفظى أن يكون طبق المحذوف ورد قول الفراء فى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين) أن التقدير بلى ليحسبنا قادرين لان الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدر بمعنى العلم لان التردد فى الاعادة كفر فلا يكون مأمورا به قال والصواب فيها قول سيبويه ان قادرين حال أى بل نجمعها قادرين اذ فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان ولان بلى لايجاب المنفى وهو فيها فعل الجمع (الشرط الثانى) أن لا يكون المحذوف كالجزء ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها قال ابن هشام وأما قول ابن عطية فى بئس مثل القوم أن التقدير بئس المثل مثل القوم فان أراد تفسير الاعراب وان الفاعل لفظ المثل محذوفا فمردود وان أراد تفسير المعنى وان فى بئس ضمير المثل مستترا فسهل (الثالث) أن لا يكون مؤكدا لان الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبنى على الاختصار والتأكيد مبنى على الطول ومن ثم رد الفارسى

وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل وان أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين وتحقق بما ادعيناه زيادة تحقق فان كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فعبر عنه بعبارة من جهتك وأخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتتبين فى نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى فى سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك وتستر ما عندك ان غلطت فى أمرك أو ذهبت فى مذاهب وهمك أو سلطت على نفسك وجه ظنك متى تهيأ لبليغ ان يتصرف فى قدر آية فى أشياء مختلفة فيجعلها مؤتلفة من غير أن يبين على كلامه اعياء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتعمل واحسب أنه يسلم من هذا ومحال أن يسلم منه حتى يظفر بمثل

على الزجاج فى قوله فى ان هذان لساحران ان التقدير انه هذان لهما ساحران فقال الحذف والتوكيد باللام متنافيان وأما حذف الشىء لدليل وتوكيده فلا تنافى بينهما لان المحذوف لدليل كالثابت (الرابع) ان لا يؤدى حذفه الى اختصار المختصر ومن ثم لا يحذف اسم الفعل لانه اختصار للفعل (الخامس) ان لا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم الا فى مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل (السادس) أن لا يكون المحذوف عوضا عن شىء ومن ثم قال ابن مالك ان حرف النداء ليس عوضا عن أدعو لاجازة العرب حذفه ولذا أيضا لم تحذف التاء من اقامة واستقامة وأما واقام الصلاة فلا يقاس عليه ولا خبر كان لانه عوض أو كالعوض من مصدرها (السابع) أن لا يؤدى حذفه الى تهيئة العامل القوى ومن ثم لم يقس على قراءة (وكلا وعد الله الحسنى) (فائدة). اعتبر الأخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن ولهذا قال فى قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) ان الاصل لا تجزى فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزى وهذه ملاطفة فى الصناعة ومذهب سيبويه انهما حذفا معا قال ابن جنى وقول الاخفش أوفق فى النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معا فى وقت واحد. (قاعدة). الاصل أن يقدر الشىء فى مكانه الاصلى لئلا يخالف الاصل من وجهين الحذف ووضع الشىء فى غير محله فيقدر المفسر فى نحو زيدا رأيته مقدما عليه وجوز البيانيون تقديره مؤخرا عنه لافادة الاختصاص كما قاله النحاة اذا منع منه مانع نحو وأما ثمود فهديناهم اذ لا يلى اما فعل (قاعدة) ينبغى تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الاصل ومن ثم ضعف قول الفارسى فى واللائى لم يحضن ان التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر والاولى أن يقدر كذلك قال الشيخ عز الدين ولا يقدر من المحذوفات الا أشدها موافقة للغرض وأفصحها لان العرب لا يقدرون الا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به نحو جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قدر أبو على جعل الله نصب الكعبة وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى لان تقدير الحرمة فى الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك فى فصاحته وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة قال ومهما تردد المحذوف بين الحسن والاحسن وجب تقدير الاحسن لان الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات قال ومتى تردد بين أن يكون مجملا ومبينا فتقدير المبين أحسن ونحو وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث لك ان تقدر فى أمر الحرث وفى تضمين الحرث وهو أولى لتعينه والامر مجمل لتردده بين أنواع (قاعدة) اذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلا والباقى فاعلا وكونه مبتدأ والباقى خبرا فالثانى أولى لان المبتدأ عين الخبر وحينئذ فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفا كلا حذف فأما الفعل فانه غير الفاعل اللهم الا أن يعتضد الاول برواية أخرى فى ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه فالاول كقراءة يسبح له فيها بفتح الباء (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله) بفتح الحاء فان التقدير يسبحه رجال ويوحيه الله ولا يقدران مبتدآن بحذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية من بنى الفعل للفاعل والثانى نحو (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فتقدير خلقهم الله أولى من الله خلقهم لمجىء خلقهن العزيز العليم (قاعدة) اذا دار الامر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى ومن ثم رجح ان المحذوف فى نحو أتحاجونى نون الوقاية لا نون الرفع وفى نارا تلظى التاء الثانية لا تاء المضارعة وفى والله ورسوله احق أن يرضوه ان المحذوف خبر الثانى لا الاول وفى نحو الحج أشهر ان المحذوف مضاف للثانى اى حج اشهر لا الأول اى أشهر الحج وقد يجب كونه من الأول نحو ان الله وملائكته يصلون على النبى فى قراءة من رفع ملائكته لاختصاص الخبر بالثانى لوروده بصيغة الجمع وقد يجب كونه

تلك الكلمات الافراد والألفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجلو فيها فقرة من كلامه وقطعة من قوله ولو اتفق له فى احرف معدودة واسطر قليلة فمتى يتفق له فى قدر ما نقول انه من القرآن معجز هيهات هيهات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت زاهرة والبحر يغمر الانهار وان كانت زاخرة متى تهيأ للآدمى ان يقول فى وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية (ألا تعلوا على وائتونى مسلمين) والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات العجيبة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لنعلم تمكن قولها (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) وذكر قولهم (قالوا نحن

من الثانى نحو ان الله برىء من المشركين ورسوله أى برىء أيضا لتقدم الخبر على الثانى
*( فصل ) الحذف على أنواع (أحدها) مايسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من اسمائه كما تقدم وادعى بعضهم أن الباء فى وامسحوا برءوسكم أول كلمة بعض ثم حذف الباقى ومنه قراءة بعضهم ونادوا يامال بالترخيم ولما سمعها بعض السلف قال ما أغنى أهل النار عن الترخيم وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ماهم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة ويدخل فى هذا النوع حذف همزة أنا فى قوله لكنا هو الله ربى الاصل لكن أنا حذفت همزة أنا تخفيفا وادغمت النون فى النون ومثله ماقرىء ويمسك السماء أن تقع على الارض بما أنزل اليك فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه إنها لإحدى الكبر (النوع الثانى) مايسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين فبينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ويختص غالبا بالارتباط العطفى كقوله سرابيل تقيكم الحر أى والبرد وخص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لانه أشد عندهم من البرد وقيل لان البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا فى قوله (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وفى قوله وجعل لكم من الجبال اكنانا وفى قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومن أمثلة هذا النوع بيدك الخير أى والشر وانما خص الخير بالذكر لانه مطلوب العباد ومرغوبهم أو لانه أكثر وجودا فى العالم أو لان اضافة الشر الى الله تعالى ليس من باب الآداب كما قال صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك ومنها (وله ماسكن فى الليل والنهار) أى وما تحرك وخص السكون بالذكر لانه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولان كل متحرك يصير الى السكون (ومنها) والذين يؤمنون بالغيب أى والشهادة لان الايمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لانه امدح ولانه يستلزم الايمان بالشهادة من غير عكس (ومنها) ورب المشارق أى والمغارب (ومنها) هدى للمتقين أى وللكافرين قاله ابن الأنبارى ويؤيده قوله هدى للناس (ومنها) ان امرؤ هلك ليس له ولد أى ولا والد بدليل انه أوجب للاخت النصف وانما يكون ذلك مع فقد الاب لانه يسقطها
( النوع الثالث ) مايسمى بالاحتباك وهو من ألطف الانواع وابدعها وقل من من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ولم أره الا فى شرح بديعية الاعمى لرفيقه الاندلسى وذكره الزركشى فى البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلى وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعى قال الاندلسى فى شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الاول ما أثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الاول كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق) الآية التقدير ومثل الانبياء والكفار كمثل الذى ينعق والذى ينعق به فحذف من الاول الانبياء لدلالة الذى ينعق عليه ومن الثانى الذى ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه وقوله وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الاول تدخل بيضاء ومن الثانى وأخرجها وقال الزركشى هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون) التقدير ان افتريته فعلى اجرامى وأنتم برآء منه وعليكم اجرامكم وأنا برىء مما تجرمون وقوله ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم التقدير ويعذب المنافقين ان شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله فلا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن أى حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء فاذا طهرن وتطهرن فأتوهن وقوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أى

أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين ) لاتجد فى صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله الامر اليك تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتفاقه فى هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله (فانظرى ماذا تأمرين) ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الايجاز فى الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطا لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفا يتجاوز محله وموضعه وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لو وقع على الافهام فما يجب فيه من شروط الاحكام أو بمعانى القصه وما تقتضى من الاعظام ثم لو ظفرت بذلك كله رأيته ناقصا فى وجه الحكمة أو مدخولا فى

عملا صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح قلت ومن لطيفه قوله فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت وفى الغرائب للكرمانى فى الآية الاولى التقدير مثل الذين كفروا معك يامحمد كمثل الناعق مع الغنم فحذف من كل طرف مايدل عليه الطرف الآخر وله فى القرآن نظائر وهو أبلغ مايكون من الكلام انتهى ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذى معناه الشد والاحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب سد مابين خيوطه من الفرج وشده واحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه ومنه أن مواضع الحرف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره مايحصل به الخلل مع مااكتسبه من الحسن والرونق (النوع الرابع) مايسمى بالاختزال وهو ماليس واحدا مما سبق وهو اقسام لان المحذوف أما كلمة إسم أو فعل أو حرف أوأ كثر امثلة حذف الاسم حذف المضاف هو كثير فى القرآن جدا حتى ابن جنى فى القرآن منه زهاء ألف موضع وقد سردها الشيخ عز الدين فى كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات ومنه الحج أشهر أى حج أشهر أو أشهر الحج ولكن البر من آمن أى ذا البر أو بر من حرمت عليكم أمهاتكم أى نكاح أمهاتكم لاذ قناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب وفى الرقاب أى وفى تحرير الرقاب حذف المضاف اليه يكثر فى ياء المتكلم نحو رب اغفرلى وفى الغايات نحو (لله الامر من قبل ومن بعد) اى من قبل الغلب ومن بعده فى كل وأى وبعض وجاء فى غيرهن كقراءة فلاخوف عليهم بضم بلاتنوين أى فلاخوف شيء عليهم حذف المبتدأ يكثر فى جواب الاستفهام نحو وما أدراك ماهية نار أى هى نار وبعد فاء الجواب نحو من عمل صالحا فلنفسه أى فعمله لنفسه ومن أساء فعليها أى فاساءته عليها وبعد القول نحو وقالوا أساطير الاولين قال اضغاث احلام وبعد ماالخبر صفة له فى المعنى نحو التائبون العابدون ونحو صم بكم عمى ووقع فى غير ذلك نحو لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أى هذا سورة أنزلناها أى هذه ووجب فى النعت المقطوع الرفع حذف الخبر أكلها دائم وظلها أى دائم ويحتمل الامرين فصبر جميل أى اجمل أو فأمرى صبر فتحرير رقبة أى عليه أو فالواجب حذف الموصوف وعندهم قاصرات الطرف أى حور قاصرات أن أعمل سابغات أى دروعا سبغات أيها المؤمنون أى القوم القوم المؤمنون حذف الصفة يأخذ كل سفينة أى صالحة بدليل أنه قرىء كذلك وأن تعييبها لايخرجها عن كونها سفينة الآن جئت بالحق أى الواضح والا لكفروا بمفهوم ذلك فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا حذف المعطوف عليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجه وجهان أحدهما أن يكون تعليلا معلله محذوف كقوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فالمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ذلك والثانى أنه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحة العطف أى فعل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلى حذف المعطوف مع العاطف لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أى ومن أنفق بعده بيدك الخير أى والشر حذف المبدل منه خرج عليه ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب أى لما تصفه والكذب بدل من الهاء حذف الفاعل لايجوز الا فى فاعل المصدر نحو لا يسأم الانسان من دعاء الخير أى دعائه الخير وجوزه الكسائى مطلقا الدليل وخرج عليه اذا بلغت التراقى أى الروح حتى توارت بالحجاب أى الشمس وحذف المفعول تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والارادة ويرد فى غيرهما نحو ان الذين اتخذوا العجل أى الها كلا سوف تعلمون أى عاقبة أمركم حذف الحال يكثر اذا كان قولا نحو والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أى قائلين

باب السيامة أو مصفوفا فى طريق السيادة او مشترك العبارات ان كان مستوجد المعنى أو جيد البلاغة مستجلب المعنى أو مستجلب البلاغة جيد المعنى أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة أو مستبهم الجانب مستنكر الوضع وأنت لاتجد فى جميع ماتلونا عليك الاما اذا بسط الفاد وإذا اختصر كل فى بابه وجاد وإذا سرح الحكيم فى جوانبه طرف خاطبه وبعث العليم فى أطرافه عيون مباحثه لم يقع الا على محاسن تتوالى وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك فى آية آية أو كلمة كلمة فى قوله (إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم فى علوه ونوره وكالياقوت يتلألأ بين شذوره ثم تأمل تمكن الفاصلة وهى الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها أو بارع معناها وإن شرحت لك

حذف المنادى ألا يا اسجدوا أي يا هؤلاء يا ليت أي يا قوم حذف العائد يقع في أربعة أبواب الصلة نحو أهذا الذي بعث الله رسولا أي بعثه والصفة نحو واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس أي فيه والخبر نحو وكلا وعد الله الحسنى أي وعده والحال حذف مخصوص نعم إنا وجدناه صابرا نعم العبد أي أيوب فقدرنا فنعم القادرون أي نحن ولنعم دار المتقين أي الجنة حذف الموصول آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم أي والذي أنزل إليكم لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا ولهذا أعيدت ما في قوله قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم أمثلة حذف الفعل يطرد إذا كان مفسرا نحو (وإن أحد من المشركين استجارك إذا السماء انشقت قل لو أنتم تملكون) ويكثر في جواب الاستفهام نحو (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل وأكثر منه حذف القول نحو (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا) أي يقولان ربنا قال أبو علي حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج ويأتي في غير ذلك نحو انتهوا خيرا لكم أي وأتوا والذين تبوؤا الدار والإيمان أي وألفوا الإيمان أو اعتقدوا أسكن أنت وزوجك الجنة أي وليسكن زوجك وامرأته حمالة الحطب أي أذم والمقيمين الصلاة أي أمدح ولكن رسول الله أي كان وإن كلا لما أي يوفوا أعمالهم أمثلة حذف الحرف قال ابن جني في المحتسب أخبرنا أبو علي قال قال أبو بكر حذف الحرف ليس بقياس لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا واختصار المختصر إجحاف به حذف همزة الاستفهام قرأ ابن محيصن سواء عليهم أنذرتهم وخرج عليه هذا ربي في المواضع الثلاثة وتلك نعمة تمنها أي أو تلك حذف الموصول الحرفي قال ابن مالك لا يجوز إلا في أن نحو ومن آياته يريكم البرق حذف الجار يطرد مع أن وإن نحو (يمنون عليك أن أسلموا بل الله يمن عليكم أن هداكم أطمع أن يغفر لي أيعدكم أنكم) أي بأنكم وجاء مع غيرهما نحو قدرناه منازل أي قدرنا له ويبغونها عوجا أي لها يخوف أولياءه أي يخوفكم بأوليائه واختار موسى قومه أي من قومه ولا تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح حذف العاطف خرج عليه الفارسي ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا أي وقلت وجوه يومئذ ناعمة أي ووجوه عطفا على وجوه يومئذ خاشعة حذف فاء الجواب خرج عليه الأخفش إن ترك خيرا الوصية للوالدين حذف حرف النداء كثير ها أنتم أولاء يوسف أعرض قال رب إني وهن العظم مني فاطر السموات والأرض وفي العجائب للكرماني كثر حذف يا في القرآن من الرب تنزيها وتعظيما لأن في النداء طرفا من الأمر حذف قد في الماضي إذا وقع حالا نحو أو جاؤكم حصرت صدورهم أنؤمن لك واتبعك الأرذلون حذف لا النافية يطرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعا نحو تالله تفتؤ وورد في غيره نحو وعلى الذين يطيقونه فدية أي لا يطيقون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم أي لئلا تميد حذف لام التوطئة وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وإن أطعتموهم إنكم لمشركون حذف لام الأمر خرج عليه قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا أي ليقيموا حذف لام لقد يحسن مع طول الكلام نحو قد أفلح من زكاها حذف نون التوكيد خرج عليه قراءة ألم نشرح بالنصب حذف نون الجمع خرج عليه قراءة وما هم بضاري به من أحد حذف التنوين خرج عليه قراءة قل هو الله أحد الله الصمد ولا الليل سابق النهار بالنصب حذف حركة الإعراب والبناء خرج عليه قراءة فتوبوا إلى بارئكم ويأمركم وبعولتهن أحق بسكون الثلاثة وكذا أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح فأواري سوءة أخي ما بقي من الربا أمثلة حذف أكثر من كلمة حذف مضافين فإنها من تقوى القلوب أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فقبضت قبضة من أثر الرسول أي من أثر حافر فرس الرسول تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي كدوران

ما في كل آية طال عليك الأمر ولكني قد بينت بما فسرت وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت والنحو الذي قصدت والغرض الذي إليه رميت والسمت الذي إليه دعوت ثم فكر بعد ذلك في شيء أدلك عليه وهو تعادل هذا النظم في الإعجاز في مواقع الآيات القصيرة والطويلة والمتوسطة فأجل الرأي في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتدبر الخواتم والفواتح والبوادىء والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقض ما أنت قاض وإن طال عليك تأمل الجميع فاقتصر على سورة واحدة أو على بعض سور ما رأيك في قوله (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضياؤها على ما ترى وسلاستها وماؤها على

عين الذى وتجعلون رزقكم أى بدل رزقكم حذف ثلاثة متضايفات فكان قاب قوسين أى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب حذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها حذف مفعولى باب ظن أين شركائى الذين كنتم تزعمون أى تزعمونهم شركائى حذف الجار مع المجرور وخلطوا عملا صالحا أى بسىء وآخر سيئا أى بصالح حذف العاطف مع المعطوف تقدم حذف حرف الشرط وفعله يطرد بعد الطلب نحو فاتبعونى يحببكم الله أى ان اتبعتمونى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة أى ان قلت لهم يقيموا وجعل منه الزمخشرى فلن يخلف الله عهده أى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله وجعل منه أبو حيان فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أى ان كنتم آمنتم بما أنزل الله اليكم فلم تقتلون حذف جواب الشرط فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء أى فافعل وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون أى أعرضوا بدليل ما بعده أئن ذكرتم أى تطيرتم ولو جئنا بمثله مددا أى لنفد ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم أى لرأيت أمرا فظيعا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم أى لعذبكم لولا أن ربطنا على قلبها أى لابدت به ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم أى لسلطكم على أهل مكة حذف جملة القسم لاعذبنه عذابا شديدا أى والله حذف جوابه والنازعات غرقا الآيات أى لتبعثن (ص) والقرآن ذى الذكر أى انه لمعجز (ق) والقرآن المجيد أى ما الامر كما زعموا حذف جملة مسببة عن المذكور نحو ليحق الحق ويبطل الباطل أى فعل ما فعل حذف جمل كثيرة نحو فارسلون يوسف أيها الصديق أى فارسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له يا يوسف (خاتمة) تارة لا يقام شىء مقام المحذوف كما تقدم وتارة يقام ما يدل عليه نحو فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم فليس الابلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم وانما التقدير فان تولوا فلا لوم على أو فلا عذر لكم لانى أبلغتكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أى فلا تحزن واصبر وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين يصيبهم مثل ما أصابهم

ه (فصل) * كما انقسم الايجاز إلى ايجاز قصر وايجاز حذف كذلك انقسم الاطناب إلى بسط وزيادة فالاول الاطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى فى خلق السموات والارض الآية فى سورة البقرة اطنب فيها ابلغ اطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفى كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به فقوله ويؤمنون به اطناب لان إيمان حملة العرش معلوم وحسنه اظهار شرف الايمان ترغيبه فيه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وليس من المشركين مزك والنكتة الحث للمؤمنين على ادائها والتحذير من المنع حيث جعل من أوصاف المشركين والثانى يكون بانواع (أحدها) دخول حرف فاكثر من حروف التأكيد السابقة فى نوع الادوات وهى ان وأن ولام الابتداء والقسم وإلا الاستفتاحية وأما وهاء التنبيه وان وكأن فى تأكيد التشبيه ولكن فى تأكيد الاستدراك وليت فى تأكيد التمنى ولعل فى تأكيد الترجى وضمير الشأن وضمير الفصل وأما فى تأكيد الشرط وقد والسين وسوف والنونان فى تأكيد الفعلية ولا التبرئة ولن ولما فى تأكيد النفى وانما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا ويتفاوت للتأكيد بحسب قوة الانكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا فى المرة الأولى انا اليكم مرسلون فأكد بان واسمية الجملة وفى المرة الثانية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فاكد بالقسم وان واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى الانكار حيث قالوا (ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء ان أنتم تكذبون) وقد يؤكد بها والمخاطب به غير منكر لعدم جريه على مقتضى اقراره فينزل منزلة المنكر وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لان معه أدلة

ماتشاهد ورونقها على ماتعاين وفصاحتها على ماتعرف وهى تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو فى الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبى النساء وإذا تحكم فى هذين الامرين فما ظنك بما دونهما لان النفوس لاتطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التى أوغلت فى التأكيد وكفت فى التنظيم ورددت آخر الكلام على أوله وعطفت عجزه على صدره ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وهذا من التأليف بين المؤتلف والجمع بين المستأنس كما ان قوله (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين) وهى خمس كلمات متباعدة فى المواقع نائية المطارح قد

ظاهره لو تأملها لرجع عن انكاره ولذلك يخرج قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أكد الموت تأكيدين وان لم ينكر لتنزيل المخاطبين لتماديهم فى الغفلة تنزيل من ينكر الموت وأكد اثبات البعث تأكيدا واحدا وان كان أشد نكيرا لانه لما كانت ادلته ظاهرة كان جديرا بان لا ينكر فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثالهم على النظر فى ادلته الواضحة ونظيره قوله تعالى (لا ريب فيه) نفى عنه الريبة بلا على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيه المرتابون لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الأدلة الباهرة كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك وقال الزمخشرى بولغ فى تأكيد الموت تنبيها للانسان على ان يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان مآله اليه فكانه اكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى لان الانسان فى الدنيا يسعى فيها غاية السعى حتى كأنه يخلد ولم يؤكد جملة البعث الا بان لانه ابرز فى صورة المقطوع به الذى لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وقال التاج ابن الفركاح أكد الموت ردا على الدهرية القائلين ببقاء النوع الانسانى خلفا عن سلف واستغنى عن تأكيد البعث هنا لتأكيده والرد على منكره فى مواضع كقوله قل بلى وربى لتبعثن وقال غيره لما كان العطف يقتضى الاشتراك استغنى عن اعادة اللام لذكرها فى الأول وقد يؤكد بها أى باللام للمستشرف الطالب الذى قدم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت نفسه اليه نحو (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لا تدعنى يا نوح فى شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام ان يتردد المخاطب فى انهم هل صاروا محكوما عليهم بذلك أولا فقيل انهم مغرقون بالتأكيد وكذا قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها والعقاب على تركها محله الآخرة تشوفت نفوسهم إلى وصف حال الساعة فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم بالتأكيد ليتقرر عليه الوجوب وكذا قوله وما أبرىء نفسى فيه تحيير للمخاطب وتردد فى أنه كيف لا يبرىء نفسه وهى بريئة زكية ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها السوء فأكده بقوله ان النفس لأمارة بالسوء وقد يؤكد لقصد الترغيب نحو فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم أكد باربع تأكيدات ترغيبا للعباد فى التوبة وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها ومواقعها فى النوع الأربعين * (فائدة) * اذا اجتمعت ان واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لان ان افادت التكرير مرتين فاذا ادخلت اللام صارت ثلاثا وعن الكسائى ان اللام لتوكيد الخبر وان لتوكيد الاسم وفيه تجوز لان التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين وقال سيبويه فى نحو يا أيها الألف والهاء لحقتا ايا توكيدا فكانك كررت يا مرتين وصار الاسم تنبيها هذا كلامه وتابعه الزمخشرى (فائدة) قوله تعالى (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) قال الجرجانى فى نظم القرآن ليست اللام فيه للتأكيد فانه منكر فكيف يحقق ما ينكر وانما قاله حكاية لكلام النبى صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة التأكيد فحكاه فنزلت الآية على ذلك

(النوع الثانى) دخول الأحرف الزائدة قال ابن جنى كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى وقال الزمخشرى فى كشافه القديم الباء فى خبر ما وليس لتأكيد النفى كما أن اللام لتأكيد الايجاب وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه اذ اسقاطه لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه أهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه باسقاطه قال ونظيره العارف بوزن الشعر طبعا اذا تغير عليه البيت بنقص انكره وقال اجد نفسى على خلاف ما أجدها باقامة الوزن فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه ثم باب الزيادة فى الحروف وزيادة الافعال قليل والأسماء اقل أما الحروف فيزاد منها ان وان وإذ وإذا وإلى

جمعها النظم البديع اشد تآلفا من الشيء المؤتلف فى الأصل وأحسن توافقا من المتطابق فى أول الوضع ومثل هذه الآية قوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) ومثلها (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) ومن المؤتلف قوله (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) وهذه ثلاث كلمات كل كلمة منها اعز من الكبريت الأحمر ومن الباب الآخر قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله إلا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته ثم تجد فيها تنظم ثقل

وأم والباء والفاء وفى الكاف واللام ولا وما ومن والواو وتقدمت فى نوع الأدوات مشروحة وأما الأفعال فزيد منها كان وخرج عليه (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وأصبح وخرج عليه فاصبحوا خاسرين) وقال الرمانى العادة ان من به علة تزداد بالليل ان يرجو الفرج عند الصباح فاستعمل أصبح لان الخسران حصل لهم فى الوقت الذى يرجون فيه الفرج فليست زائدة وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على انها لاتزاد ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع كلفظ مثل فى قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أى بما (النوع الثالث) التأكيد الصناعى وهو اربعة أقسام أحدها التوكيد المعنوى بكل واجمع وكلا وكلتا نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول وادعى الفراء ان كلهم افادت ذلك وأجمعون افادت اجتماعهم على السجود وانهم لم يسجدوا متفرقين ثانيها التأكيد اللفظى وهو تكرار اللفظ الأول اما بمرادفه نحو ضيقا حرجا بكسر الراء وغرابيب سود وجعل منه الصفار فى ما ان مكناهم فيه على القول بان كليهما للنفى وجعل منه غيره قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ليس وراء هنا ظرفا لأن لفظ ارجعوا ينبىء عنه بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال ارجعوا ارجعوا واما بلفظه ويكون فى الاسم والفعل والحرف والجملة فالاسم نحو قوارير قوارير دكا دكا والفعل فمهل الكافرين أمهلهم واسم الفعل نحو هيهات هيهات لما توعدون والحرف نحو ففى الجنة خالدين فيها أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم والجملة نحو ان مع يسرا ان العسر يسرا والاحسن اقتران الثانية بثم نحو وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو (اسكن انت وزوجك الجنة اذهب انت وربك وإما ان نكون نحن الملقين) ومنه تأكيد المنفصل بمثله وهم بالآخرة هم كافرون ثالثها تأكيد الفعل بمصدره وهو عوض من تكرار الفعل مرتين وفائدته رفع توهم المجاز فى الفعل بخلاف التوكيد السابق فانه لرفع توهم المجاز فى المسند اليه كذا فرق به ابن عصفور وغيره ومن ثم رد بعض أهل السنة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكليم حقيقة بقوله وكلم الله موسى تكليما لان التوكيد رفع المجاز فى الفعل ومن أمثلته (ويسلموا تسليما تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا جزاؤكم جزاء موفورا) وليس منه وتظنون بالله الظنون بل هو جمع ظن لاختلاف أنواعه وأما الا ان يشاء ربى شيئا فيحتمل ان يكون منه وان يكون الشىء بمعنى الأمر والشأن والأصل فى هذا النوع ان ينعت بالوصف المراد نحو اذكروا الله ذكرا كثيرا وسرحوهن سراحا جميلا وقد يضاف وصفه اليه نحو اتقوا الله حق تقاته وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابة عن المصدر نحو وتبتل اليه تبتيلا والمصدر تبتلا والتبتيل مصدر بتل أنبتكم من الأرض نباتا أى انباتا اذ النبات اسم عين رابعها الحال المؤكدة نحو (يوم أبعث حيا ولا تعثوا فى الأرض مفسدين وأرسلناك للناس رسولا ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) وليس منه ولى مدبرا لان التولية قد لا تكون ادبارا بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ولا فتبسم ضاحكا لان التبسم قد لا يكون ضحكا ولا وهو الحق مصدقا لاختلاف المعنيين اذ كونه حقا فى نفسه غير كونه مصدقا لما قبله (النوع الرابع) التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير وقد قيل الكلام اذا تكرر تقرر وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الاقاصيص والانذار فى القرآن بقوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ومنها التأكيد ومنها زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ومنه (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع)

فانه

نظم ونفور الطبع وشراء الكلام وتهافت القول وتمنع جانبه وقصورك فى الايضاح عن واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة وفصل إلى فصل حتى تقبين عليك مواضع الوصل ويستصعب عليك أماكن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة وأمثالا سائرة وحكما جليلة وأدلة على التوحيد بينة وكلمات فى التنزيه والتحميد شريفة وان أردت أن تتحقق ماوصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المفلقين هل تجد كلامه فى المديح والغزل والفخر والهجو يجرى مجرى كلامه فى ذكر القصص انك اتراه اذ جاء الى وصف واقعة أو نقل خبر عامى الكلام سوقى الخطاب مسترسلا فى أمره متساهلا فى كلامه عادلا عن المألوف من طبعه وناكبا عن المعهود من سجيته فان اتفق له فى قصة كلام

فانه كرر فيه النداء لذلك ومنها إذا طال الكلام وخشى تناسى الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديدا لعهده ومنه (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا إن ربك من بعدها ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها ولما جاءهم كتاب من عند الله) إلى قوله (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم ومنها التعظيم والتهويل نحو الحاقة ماالحاقة القارعة ماالقارعة وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين فان قلت هذا النوع أحد أقسام النوع الذى قبله فان منها التأكيد بتكرار اللفظ فلا يحسن عده نوعا مستقلا قلت هو يجامعه ويفارقه ويزيد عليه وينقص عنه فصار أصلا برأسه فانه قد يكون التأكيد تكرارا كما قدم فى أمثلته وقد لايكون تكرارا كما تقدم أيضا وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيدا للتأكيد معنى ومنه ماوقع فيه الفصل بين المكررين فان التأكيد لايفصل بينه وبين مؤكده نحو (اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) فان هذه الآيات من باب التكرير لا التأكيد اللفظى الصناعى ومنه الآيات المتقدمة فى التكرير للطول ومنه ماكان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ماتعلق به الأول وهذا القسم يسمى بالترديد كقوله (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى) وقع فيها الترديد أربع مرات وجعل منه قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان فانها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثين ولو كان الجميع عائدا إلى شىء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لايزيد عليها قاله ابن عبد السلام وغيره وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة (وقد سئل) أى نعمة فى قوله كل من عليها فان (فأجيب) بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور وإراحة المؤمن والبار من الفاجر وكذا قوله ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول فكأنه قال عقب كل قصة ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة وكذا قوله فى سورة الشعراء (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) كررت ثمانى مرات كل مرة عقب كل قصة فالإشارة فى كل واحدة بذلك إلى قصة النبى المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين إلى قومه خاصة ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا أتى بوصفى العزيز الرحيم للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم والرحمة لمن آمن وكذا قوله فى سورة القمر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال الزمخشرى كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظا وتنبيها وأن كلا من تلك الأنباء يستحق لاعتبار يختص به وأن يتنبهوا كى لايغلبهم السرور والغفلة قال فى عروس الأفراح فإن قلت إذا كان المراد بكل ماقبله فليس ذلك باطناب بل هى ألفاظ كل أريد به غير ماأريد بالآخر قلت إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ماأريد بالآخر ولكن كرر ليكون نصا فيما يليه وظاهرا فى غيره فان قلت يلزم التأكيد قلت والأمر كذلك ولا يرد عليه أن التأكيد لايزاد به عن ثلاثة لأن ذاك فى التأكيد الذى هو تابع أما ذكر الشىء فى مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع اه ويقرب من ذلك ماذكره ابن جرير فى قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الأرض ولقد وصينا الذين إلى قوله وكان الله غنيا حميدا ولله مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) قال فان قيل ماوجه تكرار قوله ولله مافى السموات ومافى الأرض فى آيتين احداهما فى إثر الأخرى قلنا لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والأرض وذلك لأن الخبر عنه

---

جيد كان قدر ثنتين أو ثلاثة وكان مازاد عليها حشوا وماتجوزها لغوا ولا أقول إنها تخرج من عادته عفوا لأنه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فان لم تقنع بما قلت لك من الابيات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ماوصفت لك لو لم تكن إلا سورة واحدة لكفت فى الإعجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن إلا حديث من سورة لكفى وأقنع وشفى ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها بل قصة من قصصه وهى قوله (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون إلى قوله فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى إسرائيل فأتبعوهم مشرقين) حتى قال (فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق

في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه وفي الأخرى حفظ بارئه اياه وعلمه به وبتدبيره قال فان قيل أفلا قيل وكان الله غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا قيل ليس في الآية الأولى مايصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير اهو قال تعالى (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب) قال الراغب الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم والكتاب الثاني التوراة والثالث لجنس كتب الله كلها أي ماهو من شيء من كتب الله وكلامه ومن أمثلة مايظن تكرارا وليس منه قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون إلى آخرها فان لاأعبد ماتعبدون أي في المستقبل ولا أنتم عابدون أي في الحال ماأعبد في المستقبل ولاأنا عابد أي في الحال ماعبدتم في الماضي ولاأنتم عابدون أي في المستقبل ماأعبد أي في الحال (فالحاصل) أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة وكذا (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ثم قال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ثم قال واذكروا الله في أيام معدودات) فان المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر فالأول الذكر في مزدلفة عند الوقوف بقزح وقوله واذكروه كما هداكم اشارة إلى تكرره ثانيا وثالثا ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة بدليل تعقيبه بقوله فاذا قضيتم والذكر الثالث اشارة إلى رمي جمرة العقبة والذكر الأخير لرمي أيام التشريق ومنه تكرير حرف الاضراب في قوله بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر وقوله بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ثم قال وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين فكرر الثاني ليعم كل مطلقة فان الآية الأولى في المطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة وقيل لأن الأولى لاتشعر بالوجوب ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة ان شئت أحسنت وإن شئت فلا فنزلت الثانية أخرجه ابن جرير ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله (ومايستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوي الأحياء ولا الأموات) وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة بالمستوقد نارا ثم ضربه بأصحاب الصيب قال الزمخشري والثاني أبلغ من الأول لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته قال ولذلك أخروهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ ومن ذلك تكرير القصص كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء قال بعضهم ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه وقال ابن العربي في القواصم ذكر الله قصة نوح في خمس وعشرين آية وقصة موسى في تسعين آية وقد ألف البدر بن جماعة كتابا سماه المقتنص في فوائد تكرار القصص وذكر في تكرير القصص فوائد منها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله أو ابدال كلمة باخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء ومنها أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه افادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالايخفى من الفصاحة ومنها أن الدواعي لاتتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام فلهذا كررت القصص دون الأحكام ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا ومنها أنه لما تحداهم قال فأتوا بسورة من مثله فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي ائتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها سبحانه وتعالى في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل

فكان كل فرق كالطود العظيم ثم قصة ابراهيم عليه السلام ثم لو لم تكن إلا الآيات التي انتهى اليها القول في ذكر القرآن وهي قوله (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وهذه كلمات مفردة بفواصلها منها مايتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ماهي فاتحة وواسطة وفاصلة ومنها كلمة بفاصلتها تامة دل على أنه نزله على قلبه ليكون نذيرا وبين أنه آية لكونه نبيا ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فتأمل آية آية لتعرف لإعجاز وتبيين التصرف البديع والتنقل في الفصول إلى آخر السورة ثم راع المقطع العجيب وهو قوله (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هل يحسن أن تأتي بمثل هذا الوعيد وأن تنظم

وجه ومنها أن القصة الواحدة لما تكررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأنت على أسلوب غير أسلوب الآخر فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى اخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم وجذب النفوس الى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل فى الاشياء المتجددة واستلذاذها وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة فى اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين وقد سئل ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا فى موضع واحد دون غيرها من القصص (وأجيب) بوجوه أحدها ان فيها تشبيب النسوة به وحال امرأة ونسوة افتتنوا بابدع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضاء والستر وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف ثانيها أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فان مآلها الى الوبال كقصة ابليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص ثالثها قال الاستاذ أبو عبيد اسحق الاسفراينى انما كرر الله قصص الانبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا إشارة الى عجز العرب كأن النبى ﷺ قال لهم ان كان من تلقاء نفسى فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى سائر القصص (قلت) وظهر لى جواب رابع وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم فى مستدركه فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والاحاطة بطرفيها وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به أن قصص الانبياء انما كررت لان المقصود بها افادة اهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية الى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول ﷺ فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى فى آيات (فقد مضت سنة الاولين ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح فان قلت قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين وليست من قبيل ما ذكرت قلت الاولى فى سورة كهيعص وهى مكية أنزلت خطابا لاهل مكة والثانية فى سورة آل عمران وهى مدنية أنزلت خطابا لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة (النوع الخامس) الصفة وترد لاسباب (أحدها) التخصيص فى النكرة نحو فتحرير رقبة مؤمنة (الثانى) التوضيح فى المعرفة أى زيادة البيان نحو ورسوله النبى الامى (الثالث) المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى نحو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين هو الله الخالق البارىء المصور ومنه يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا فهذا الوصف للمدح واظهار شرف الاسلام والتعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الاسلام الذى هو دين الانبياء كلهم وأنهم بمعزل عنها قاله الزمخشرى (الرابع) الذم نحو فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (الخامس) التأكيد لرفع الابهام نحو لا تتخذوا الهين اثنين فان الهين للتثنية فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهى عن الاشراك ولافادة أن النهى عن اتخاذ الهين انما هو لمحض كونهما اثنين فقط لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ولان الواحدة تطلق ويراد بها النوعية كقوله ﷺ انما نحن وبنو المطلب شىء واحد وتطلق ويراد بها نفى العدة فالتثنية باعتبارها فلو قيل لا تتخذوا الهين فقط لتوهم أنه نهى عن اتخاذ جنسى آلهة وان جاز أن يتخذ من نوع واحد عدد آلهة ولهذا أكد بالواحدة قوله انما هو اله واحد ومثله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين على قراءة تنوين كل وقوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة فهو تأكيد لرفع توهم

مثل هذا النظم وأن تجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لجئت الى كل فصل فاستقريت على الترتيب كلماته وبينت لك ما فى كل واحدة منها من البراعة ومن عجيب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضىء بنوره وتهتدى بهداه ونحن نذكر آيات أخر لتزداد استبصارا وتتقدم تيقنا تأمل من الكلام المؤتلف قوله (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظر متى وجدت فى كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم فى هذا القدر وما يجمع ما تجمل هذه الآية من شريف المعانى وحسن الفاتحة والخاتمة واتل ما بعدها من الآى

تعدد النفخة لان هذه الصيغة تدل على الكثرة بدليل (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ومن ذلك قوله فان كانتا اثنتين فان لفظ كانتا يفيد التثنية فتفسيره باثنتين لم يفد زيادة عليه وقد أجاب على ذلك الاخفش والفارسي بأنه أفاد العدد المحض مجردا عن الصفة لانه قد كان يجوز أن يقال فان كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين او غير ذلك من الصفات فلما قال اثنتين أفهم أن فرض الثنتين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط وهى فائدة لاتحصل من ضمير المثنى وقيل أراد فان كانتا اثنتين فصاعدا فعبر بالادنى عنه وعما فوقه اكتفاء ونظيره فان لم يكونا رجلين والاحسن فيه أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين ومن الصفات المؤكدة قوله ولا طائر يطير بجناحيه فقوله يطير لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته فقد يطلق مجازا على غيره وقوله بجناحيه لتأكيد حقيقة الطيران لانه يطلق مجازا على شدة العدو والاسراع فى المشى ونظيره يقولون بالسنتهم لان القول يطلق مجازا على غير اللسانى بدليل ويقولون فى أنفسهم وكذا ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور لان القلب يطلق مجازا على العين كما أطلقت العين مجازا على القلب فى قوله الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى (قاعدة) الصفة العامة لاتأتى بعد الخاصة لايقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح وأشكل على هذا قوله تعالى فى اسمعيل وكان رسولا نبيا وأجيب بانه حال لاصفة أى مرسلا فى حال نبوته وقد تقدم فى نوع التقديم والتأخير امثلة من هذه (قاعدة) اذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولهما عدد جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف اليه فمن الاول سبع سموات طباق ومن الثانى سبع بقرات سمان ٭ (فائدة). اذا تكررت النعوت لواحد فالاحسن أن تباعد معنى الصفات العطف نحو هو الاول والآخر والظاهر والباطن والا تركه نحو ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ٭ (فائدة). قطع النعوت فى مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها قال الفارسى اذا ذكرت صفات فى معرض المدح أو الذم فالاحسن أن تخالف فى اعرابها لان المقام يقتضى الاطناب فاذا خولف فى الاعراب كان المقصود أكمل لان المعانى عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا مثاله فى المدح والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ولكن البر من آمن بالله الى قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين وقرئ. شاذا الحمد لله رب العالمين برفع رب ونصبه ومثاله فى الذم وامرأته حمالة الحطب . (السادس) . البدل . والقصد به الايضاح بعد الابهام وفائدته البيان والتأكيد أما الاول فواضح انك اذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد بزيد الاخ لاغير وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل فكأنه من جملتين ولانه دل على مادل عليه الاول إما بالمطابقة فى بدل الكل وإما بالتضمين فى بدل البعض أو بالالتزام فى بدل الاشتمال (مثال) الاول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم الى صراط العزيز الحميد الله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثال الثانى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض (ومثال) الثالث وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير قتل أصحاب الأخدود النار لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وزاد بعضهم بدل الكل من البعض وقد وجدت له مثالا فى القرآن وهو قوله يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن فجنات عدن بدل من الجنة التى هى بعض وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لاجنة واحدة قال ابن السيد وليس كل بدل يقصد به رفع الاشكال الذى يعرض فى المبدل منه بل من البدل ما يراد به التأكيد وأن كان ما قبله غنيا عنه كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ألاترى أنه لولم يذكر الصراط الثانى لم يشك أحد فى أن الصراط المستقيم هو صراط الله وقد نص سيبويه

واعرف وجه الخلوص من شئ الى شئ من احتجاج الى وعيد ومن اعذار الى انذار ومن فنون من الامر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب نعلى بالضم ثم جاء قوله (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليد حضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) الآية الاولى أربعة فصول والثانية فصلان وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وهل تقع فى الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة (وهل تقوم مقامه فى الجزالة لفظة وهل يسد مسده فى الاصالة نكتته لو وضع موضع ذلك ليقتلوه أو ليرجموه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليهلكوه أو ليذلوه ونحو هذا ما كان

على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد اه وجعل منه ابن عبد السلام واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال ولا بيان فيه لان الاب لا يلتبس بغيره ورد بانه يطلق على الجد فأبدل لبيان ارادة الأب حقيقة

(النوع السابع) عطف البيان وهو كالصفة فى الايضاح لكن يفارقها فى أنه وضع البدل على الايضاح باسم يختص به بخلافها فانها وضعت لتدل على معنى حاصل فى متبوعها وفرق ابن كيسان بينه وبين البدل بأن البدل هو المقصود كأنك قررته فى موضع المبدل منه وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود وقال ابن مالك فى شرح الكافية عطف البيان يجرى مجرى النعت فى تكميل متبوعه ويفارقه فى أن تكميل متبوعه بشرح وتبيين لا بدلالة على معنى فى المتبوع أو سببية ومجرى التأكيد فى تقوية دلالته ويفارقه فى أنه لا يرفع توهم مجاز ومجرى البدل فى صلاحيته للاستقلال ويفارقه فى أنه غير منوى الاطراح ومن أمثلته فيه آيات بينات مقام ابراهيم من شجرة مباركة زيتونة وقد يأتى لمجرد المدح بلا ايضاح ومنه جعل الله الكعبة البيت الحرام فالبيت الحرام عطف بيان للمدح لا للايضاح

(النوع الثامن) عطف أحد المترادفين على الآخر والقصد منه التأكيد أيضا وجعل منه انما أشكو بثى وحزنى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا فلا يخاف ظلما ولا هضما لا تخاف دركا ولا تخشى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال الخليل العوج والامت بمعنى واحد سرهم ونجواهم شرعة ومنهاجا لا تبقى ولا تذر الادعاء ونداء أطعنا سادتنا وكبراءنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب فان نصب كلغب وزنا ومعنى صلوات من ربهم ورحمة عذرا أو نذرا قال ثعلب هما بمعنى وأنكر المبرد وجود هذا النوع فى القرآن وأول ما سبق على اختلاف المعنيين وقال بعضهم المخلص فى هذا ان تعتقد ان مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما فان التركيب يحدث معنى زائدا واذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ

(النوع التاسع) عطف الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات وحكى أبو حيان عن شيخه أبى جعفر بن الزبير أنه كان يقول هذا العطف يسمى بالتجريد كأنه جرد من الجملة وأفرد بالذكر تفضيلا (ومن أمثلته) (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) فان اقامتها من جملة التمسك بالكتاب وخصت بالذكر اظهارا لرتبتها لكونها عماد الدين وخص جبريل وميكائيل بالذكر ردا على اليهود فى دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الأجساد كما أن جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب والأرواح وقيل إن جبريل وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلا فى لفظ الملائكة أولا كما أن الامير لا يدخل فى مسمى الجند حكاه الكرمانى فى العجائب ومن ذلك ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء بناء على انه لا يختص بالواو كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله وخص المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيها على زيادة قبحه * (تنبيه). المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملا للثانى لا المصطلح عليه فى الأصول

(النوع العاشر) عطف العام على الخاص وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وأفرد الأول بالذكر اهتماما بشأنه (ومن أمثلته) ان صلاتى ونسكى والنسك العبادة فهو أعم وآتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وجعل منه الزمخشرى ومن يدبر الامر بعد قوله قل من يرزقكم

(النوع الحادى عشر) الايضاح بعد الابهام قال أهل البيان

---

ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فاقصد موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب اليه من نخب الكلام وجميل الالفاظ والاهتداء للمعانى فان كنت تقدر ان شيئا من هذه الكلمات التى عددناها عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا سبيل لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب فانزع الى التقليد واكف نفسك مؤنة التفكير وان فطنت فانظر الى ما قال من رد عجز الخطاب الى صدره بقوله (فأخذتهم فكيف كان عقاب) ذكر عقيبها العذاب فى الآخرة واتلاها تلو العذاب فى الدنيا على الاحكام الذى رأيت ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) الى أن ذكر ثلاث آيات وهذا

إذا اردت أن تبهم ثم توضح فانك تطنب وفائدته إما رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين الابهام والايضاح أو لتمكن المعنى فى النفس تمكنا زائد الوقوعه بعد الطلب فانه أعز من المنساق بلا تعب أو لتكمل لذة العلم به فان الشىء اذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتألمت فاذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة ( ومن أمثلته ) رب اشرح لى صدرى فان أشرح يفيد طلب شرح شىء ماله وصدرى يفيد تفسيره وبيانه كذلك ويسر لى أمرى والمقام يقتضى التأكيد للارسال المؤذن بتلقى الشدائد وكذلك ألم نشرح لك صدرك فان المقام يقتضى التأكيد لانه مقام امتنان وتفخيم وكذا وقضينا اليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ومنه التفصيل بعد الاجمال نحو ان عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا الى قوله منها أربعة حرم وعكسه كقوله ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة أعيد ذكر العشرة لرفع توهم ان الواو فى وسبعة بمعنى أو فتكون الثلاثة داخلة فيها كما فى قوله خلق الأرض فى يومين ثم قال وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام فان من جملتها اليومين المذكورين أولا وليست أربعة غيرهما وهذا أحسن الأجوبة فى الآية وهو الذى أشار اليه الزمخشرى ورجحه ابن عبد السلام وجزم به الزملكانى فى أسرار التنزيل قال ونظيره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فانه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة قال ابن عسكر فى فائدة الوعد بثلاثين أولا ثم بعشر ليتجدد له أقرب انقضاء المواعدة ويكون فيه متأهبا مجتمع الرأى حاضر الذهن لانه لو وعد بالاربعين أولا كانت متساوية فلما فصلت استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تلك عشرة كاملة ثمانية أجوبة جوابان من التفسير وجواب من الفقه وجواب من النحو وجواب من اللغة وجواب من المعنى وجوابان من الحساب وقد سقتها فى أسرار التنزيل ( النوع الثانى عشر ) التفسير قال أهل البيان وهو أن يكون فى الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره ( ومن أمثلته ) ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا فقوله اذا مسه الخ تفسير للهلوع كما قال أبو العالية وغيره القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال البيهقى فى شرح الأسماء الحسنى قوله لا تأخذه سنة تفسير للقيوم يسومونكم سوء العذاب يذبحون الآية فيذبحون وما بعده تفسير للسوم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية فخلقه وما بعده تفسير المثل لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة فتلقون الخ تفسير لاتخاذهم أولياء الصمد لم يلد ولم يولد الآية قال محمد بن كعب القرظى لم يلد الخ تفسير للصمد وهو فى القرآن كثير قال ابن جنى ومتى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لان تفسير الشىء لاحق به ومتمم له وجار مجرى بعض اجزائه ( النوع الثانى عشر ) وضع الظاهر موضع المضمر ورأيت فيه تأليفا مفردا لابن الصائغ وله فوائد منها زيادة التقرير والتمكين نحو قل هو الله أحد الله الصمد والاصل هو الصمد وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ( ومنها ) قصد التعظيم نحو واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ولباس التقوى ذلك خير ( ومنها ) قصد الاهانة والتحقير نحو أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان الخ ( ومنها ) ازالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول نحو قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لو قال تؤتيه لأوهم أنه الاول قاله ابن الخشاب يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء لانه لو قال عليهم دائرته لأوهم أن الضمير



وم مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه الى ما تقدم وتقضى وعظم موضعه فى معناه ورفيع ما يتضمن تحميدهم وتسبيحهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ( ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ) هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلاؤم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف يهتدى الى وضع هذه المعانى بشرى والى تركيب ما يلائمها من الالفاظ انسى ثم ذكر ثلاث آيات فى أمر الكافرين على ما ترى ثم نبه على أمر القرآن وأنه من آياته بقوله (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب) وانما ذكر هذين الامرين اللذين يختص بالقدرة عليهما لتناسبهما فى أنهما من تنزيله من السماء ولان الرزاق الذى لو لم يرزق

عائد إلى الله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لم يقل منه لئلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها وليس كذلك لما فى المباشرة من الاذى الذى تأباه النفوس الآبية فأعيد لفظ الظاهر لنفى هذا ولم يقل من وعائه لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف لانه العائد عليه ضمير استخرجها (ومنها) قصد تربية المهابة وادخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك كما تقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا ومنه (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ان الله يأمر بالعدل) (ومنها) قصد تقوية داعية الامور ومنه (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) (ومنها) تعظيم الامر نحو (أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان) (ومنها) الاستلذاذ بذكره ومنه وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة لم يقل منها ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة (ومنها) قصد التوصل من الظاهر إلى الوصف ومنه فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله بعد قوله انى رسول الله لم يقل فآمنوا بالله وبى ليتمكن من اجراء الصفات التى ذكرها ليعلم أن الذى وجب الايمان به والاتباع له هو من وصف بهذه الصفات ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لانه لا يوصف (ومنها) التنبيه على علية الحكم نحو فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا فان الله عدو للكافرين لم يقل لهم اعلاما بأن من عادى هؤلاء فهو كافر وان الله إنما عاداه لكفره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا (ومنها) قصد العموم نحو وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة لم يقل انها لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا (ومنها) قصد الخصوص نحو وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى لم يقل لك تصريحا بأنه خاص به (ومنها) الاشارة إلى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى نحو فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل فان ويمح الله استئناف لا داخل فى حكم الشرط (ومنها) مراعاة الجناس ومنه قل أعوذ برب الناس السورة ذكره الشيخ عز الدين ومثله ابن الصائغ بقوله خلق الانسان من علق ثم قال علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى فان المراد بالانسان الأول الجنس وبالثانى آدم أو من يعلم الكتابة أو ادريس وبالثالث أبو جهل (ومنها) مراعاة الترصيع وتوازن الالفاظ فى التركيب ذكره بعضهم فى قوله أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأخرى (ومنها) أن يتحمل ضمير الابد منه ومنه أتيا أهل قرية استطعما أهلها لو قال استطعماها لم يصح لانهما لم يستطعما القرية أو استطعماهم فكذلك لان جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا للأهل فلابد أن يكون فيها ضمير يعود عليها ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر كذا حرره السبكى فى جواب سؤال سأله الصلاح الصفدى فى ذلك حيث قال

أسيدنا قاضى القضاة ومن إذا . بدا وجهه استحيى له القمران
ومن كفه يوم الندا ويراعه . على طرسه بحران يلتقيان
ومن ان دجت فى المشكلات مسائل . جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز . لافضل من يهدى به الثقلان
ومن جملة الاعجاز كون اختصاره . بايجاز ألفاظ وبسط معان
ولكننى فى الكهف أبصرت آية . بها الكفر فى طول الزمان عيان
وماهى إلا استطعما أهلها فقد . نرى استطعماهم مثله ببيان

لم يمكن بقاء النفس تجب طاعته والنظر فى آياته ثم قال (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك فى مراعاة معانى هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعانى الشريفة تعلم ورودها عن الإلهية ودلالتها على الربوبية وتتحقق ان الخطب المقولة عنهم والاخبار المأثورة فى كلماتهم الفصيحة من الكلام الذى تتعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه الافكار الآدمية وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول أى خاطر يتشوف إلى أن يقول (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق

فما الحكمة الغراء فى وضع ظاهر . مكان ضمير ان ذاك لشان
فارشد على عادات فضلك حيرتى . فمالى بها عند البيان يدان

(تنبيه). اعادة الظاهر بمعناه أحسن من اعادته بلفظه كما مر فى آيات انا لا نضيع أجر المصلحين أجر من أحسن عملا ونحوها ومنه ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء) فان أنزال الخير مناسب الربوبية وأعاده بلفظ الله لان تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للالهية لان دائرة الربوبية أوسع ومنه الحمد لله الذى خلق السموات والأرض إلى قوله بربهم يعدلون واعادته فى جملة أخرى أحسن منه فى الجملة الواحدة لانفصالها وبعد الطول أحسن من الاضمار لئلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه فيفوته ما شرع فيه كقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه بعد قوله وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر (النوع الرابع عشر) الايغال وهو الامعان وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ورد بأنه وقع فى القرآن من ذلك ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون فقوله وهم مهتدون إيغال لأنه يتم المعنى بدونه إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه وجعل ابن أبى الأصبع منه ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين فان قوله إذا ولوا مدبرين زائد على المعنى مبالغة فى عدم انتفاعهم ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود وانهم بعيدون عن الايقان انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فقوله مثل الخ إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد وانه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد (النوع الخامس عشر) التذييل وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول للتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه و يتقرر عند من فهمه نحو (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) (النوع السادس عشر) الطرد والعكس قال الطيبى وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى و بالعكس كقوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات إلى قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فمنطوق الأمر بالاستئذان فى تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس وكذا قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قلت وهذا النوع يقابله فى الايجاز نوع الاحتباك (النوع السابع عشر) التكميل ويسمى بالاحتراس وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله أعزة ومثله أشداء على الكفار رحماء بينهم إذ لو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لغلظهم تخرج بيضاء من غير سوء لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون احتراس لئلا يتوهم نسبة الظلم إلى سليمان ومثله فتصيبكم منهم معرة بغير علم وكذا قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فالجملة الوسطى احتراس لئلا يتوهم أن التكذيب مما فى نفس الأمر قال فى عروس الافراح فان قيل كل من ذلك أفاد معنى جديدا فلا يكون اطنابا قلنا هو اطناب لما قبله من حيث رفع توهم غيره وان كان له معنى فى نفسه (النوع الثامن عشر) التتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة فى قوله ويطعمون الطعام على حبه أى مع حب الطعام أى اشتهائه فان الاطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ومثله وآتى المال على حبه ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف

يوم هم بارزون) وأى لفظ يدرك هذا المضمار وأى حكيم يهتدى إلى ماهذا من الغرر وأى فصيح يهتدى إلى هذا النظم ثم استقرىء الآية إلى آخرها واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب) من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قربها وعلى خفتها فى النظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ان الله هو السميع البصير) كل كلمة من ذلك على ماقد وصفتها من أنه إذا رآها الانسان فى رسالة كانت عينها أو فى خطبة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها

فقوله

فقوله وهو مؤمن تتميم فى غاية الحسن (النوع التاسع عشر) الاستقصاء وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا كقوله تعالى أيود احدكم أن تكون له جنة الآية فانه تعالى لو اقتصر على قوله جنة لكان كافيا فلم يقف عند ذلك قال فى تفسيرها من نخيل وأعناب فان مصاب صاحبها بها أعظم ثم زاد تجرى من تحتها الانهار متمما لوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال له فيها من كل الثمرات فاتى بكل مايكون فى الجنان ليشتد الأسف على افسادها ثم قال فى وصف صاحبها وأصابه الكبر ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وله ذرية ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ثم ذكر استئصال الجنة التى ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال فاصابها اعصار ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال فيه نار ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفى باحتراقها لما فيه من الانهار ورطوبة الأشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله فاحترقت فهذا أحسن استقصاء وقع فى كلام وأتمه وأكمله قال ابن أبى الاصبع والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم فيكمل والتكميل يرد على المعنى التام أوصافه والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لاحد فيه مساغ (النوع العشرون) الاعتراض وسماه قدامة التفاتا وهو الاتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الايهام كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها وقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك ومن وقوعه بأكثر من جملة فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فقوله نساؤكم متصل بقوله فأتوهن لانه بيان له ومابينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الادبار وقوله ياأرض ابلعى ماءك الى قوله وقيل بعدا فيه اعتراض بثلاث جمل وهى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى قال فى الاقصى القريب ونكتته افادة ان هذا الامر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به آخر الكان الظاهر تأخره فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر ثم فيه اعتراض فى اعتراض فان وقضى الامر معترض بين وغيض واستوت لان الاستواء يحصل عقب الغيض وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله متكئين على فرش فيه اعتراض بسبع جمل اذا عرب حالا منه ومن وقوع اعتراض فى اعتراض فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم اعتراض بين القسم وجوابه بقوله وإنه لقسم الآية وبين القسم وصفته بقوله لو تعلمون تعظيما للقسم به وتحقيقا لاجلاله واعلاما لهم بان له عظمة لا يعلمونها قال الطيبى فى التبيان ووجه حسن الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجىء مالا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب (النوع الحادى والعشرون) التعليل وفائدته التقرير والا بلغية فان النفوس ابعث على قبول الاحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الاولى وحروف اللام وان واذ والباء وكى ومن ولعل وقد مضت أمثلتها فى نوع الادوات ومما يقتضى التعليل لفظ الحكمة كقوله حكمة بالغة وذكر الغاية من الخلق نحو قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا

(النوع السابع والخمسون) فى الخبر والانشاء اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة

كالياقوتة التى تكون فريدة العقد وعين القلادة ودرة الشذر اذا وقع بين كلام وشحه واذا ضمن فى نظام زينه واذا اعترض فى خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه ولست أقول هذا لك فى آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لأنى قد شرحت لك أن الكلام فى حكاية القصص والاخبار وفى الشرائع والاحكام وفى الديانة والتوحيد وفى الحجج والتثبيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور الا ترى أن الشاعر المفلق اذا جاء الى الزهد قصر والأديب اذا تكلم فى بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه فى غيره ونظم القرآن لا يتفاوت فى شىء ولا يتباين فى أمره ولا يختل فى حال بل له المثل الاعلى والفضل الاسنى وفيما شرحناه لك كفاية وفيما

على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث وادعى قوم ان أقسام الكلام عشرة نداء ومسئلة وأمر وتشفع وتعجب وقسم وشرط ووضع وشك واستفهام وقيل تسعة باسقاط الاستفهام لدخوله فى المسئلة وقيل سبعة باسقاط الشك لانه من قسم الخبر وقال الأخفش هى ستة خبر واستخبار وأمر ونهى ونداء وتمن وقال بعضهم خمسة خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء وقال قوم أربعة خبر واستخبار وطلب ونداء وقال كثيرون ثلاثة خبر وطلب وانشاء قالوا لان الكلام اما ان يحتمل التصديق والتكذيب أولا الاول الخبر والثانى ان اقترن معناه بلفظه فهو الانشاء وان لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب والمحققون على دخول الطلب فى الانشاء وان معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل لا يحد لعسره وقيل لانه ضرورى لان الانسان يفرق بين الانشاء والخبر ضرورة ورجحه الامام فى المحصول والاكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب فاورد عليه خبر الله تعالى فانه لا يكون الا صادقا فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الايراد المذكور وقال أبو الحسن البصرى كلام يفيد بنفسه نسبة فاورد عليه قم فانه يدخل فى الحد لان القيام منسوب والطلب منسوب وقيل الكلام المفيد بنفسه اضافة أمر من الامور الى أمر من الامور نفيا واثباتا وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفى أو الاثبات وقال بعض المتأخرين الانشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه وقال بعض من جعل الاقسام ثلاثة الكلام ان افاد بالوضع طلبا فلا يخلوا اما ان يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها والاول الاستفهام والثانى الامر والثالث النهى وان لم يفد طلبا بالوضع فان لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وانشاء لانك نبهت به على مقصودك وانشأته اى ابتكرته من غير أن يكون موجودا فى الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كأنت طالق وان احتملهما من حيث هو فهو خبر

(فصل). القصد بالخبر افادة المخاطب وقد يرد بمعنى الامر نحو والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن وبمعنى النهى نحو لا يمسه الا المطهرون وبمعنى الدعاء نحو وإياك نستعين أى أعنا ومنه تبت يدا أبى لهب وتب فانه دعاء عليه وكذا قاتلهم الله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وجعل منه قوم حصرت صدورهم قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد ونازع ابن العربى فى قولهم ان الخبر يرد بمعنى الامر أو النهى قال فى قوله تعالى فلا رفث ليس نفيا لوجود الرفث بل نفى لمشروعيته فان الرفث يوجد مع بعض الناس واخبار الله تعالى لا يجوز ان تقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفى الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا كقوله والمطلقات يتربصن ومعناه مشروعا لا محسوسا فانا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفى الى الحكم الشرعى لا الى الوجود الحسى وكذا لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسه أحد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع قال وهذه الدقيقة التى فاتت العلماء فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهى وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فانهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعا انتهى (فرع) من أقسامه على الاصح التعجب قال ابن فارس وهو تفضيل شئ على اضرابه وقال ابن الصائغ استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره وقال الزمخشرى معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره واشكاله وقال الرمانى المطلوب فى التعجب الابهام لان من شأن الناس ان يتعجبوا مما لا يعرف سببه فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن قال واصل التعجب انما هو للمعنى الخفى سببه والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا قال ومن أجل الابهام لم تعمل نعم الا فى الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالاضمار قبل الذكر

يبلغ بلاغ ونذكر فى الاحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله (يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب) أنت تجد فى هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدلك ان شئت على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف إذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة نحو هذه الآية قوله (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)

ثم قدوضح واللتعجب صيغتان من لفظه وهى ما أفعل وافعل به وصيغ من غير لفظه نحو كبر كقوله ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم كبر مقتا عند الله كيف تكفرون بالله) (قاعدة) قال المحققون إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله فما أصبرهم على النار أى هؤلاء يجب أن يتعجب منهم وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله أى انه تعجيب من الله للمخاطبين ونظير هذا مجىء الدعاء والترجى منه تعالى إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب أى هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا ولذلك قال سيبويه فى قوله لعله يتذكر أو يخشى المعنى اذهبا على رجائكم وطمعكما وفى قوله ويل للمطففين وويل يومئذ للمكذبين لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكأنه قيل لهم ويل للمطففين أى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة فقيل هؤلاء ممن دخل فى الهلكة * (فرع) * من أقسام الخير الوعد والوعيد نحو سنريهم آياتنا فى الآفاق وسيعلم الذين ظلموا وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه انشاء . (فرع) . من أقسام الخبر النفى بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافى إن كان صادقا سمى كلامه نفيا ولا يسمى جحدا وإن كان كاذبا سمى جحدا ونفيا أيضا فكل جحد نفى وليس كل نفى جحدا ذكره ابو جعفر النحاس وابن الشجرى وغيرهما مثال النفى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ومثال الجحد نفى فرعون وقومه آيات موسى قال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وأدوات النفى لا ولات وليس وما وان ولم ولما وقد تقدمت معانيها وما افترقت فيه فى نوع الأدوات ونوردهنا فائدة زائدة قال الخوبى أصل أدوات النفى لا وما لأن النفى إما فى الماضى وإما فى المستقبل والاستقبال أكثر من الماضى أبدا ولا أخف من ما فوضعوا الأخف للاكثر ثم أن النفى فى الماضى إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة وكذلك النفى فى المستقبل فصار النفى على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات ما ولم ولن ولا وأما إن ولما فليسا باصلين فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان ولم كانه مأخوذ من لا وما لأن لم نفى للاستقبال لفظا والمضى معنى فأخذ اللام من لا التى هى لنفى المستقبل والميم من ما التى هى لنفى الماضى وجمع بينهما اشارة إلى أن فى لم إشارة إلى المستقبل والماضى وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن لا هى أصل النفى ولهذا ينفى بها فى أثناء الكلام فيقال لم يفعل زيد ولا عمرو وأما لما فتركيب بعد تركيب كانه قال لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد لما الاستمرار . (تنبيهات) . الأول زعم بعضهم أن شرط صحة النفى عن الشىء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشىء وهو مردود بقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون وما كان ربك نسيا لا تأخذه سنة ولا نوم ونظائره والصواب أن انتفاء الشىء عن الشىء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه (الثانى) نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات وقد يكون نفيا للذات أيضا من الأول وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أى بل هم جسد يأكلونه ومن الثانى لا يسئلون الناس الحافا أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم الحاف ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع أى لا شفيع لهم أصلا فما تنفعهم شفاعة الشافعين أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل فما لنا من شافعين ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشىء بايجابه وعبارة ابن رشيق فى تفسيره أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشىء وباطنه نفيه أن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن وعبارة غيره أن ينفى الشىء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيدا له ومنه ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فان اله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان (١)

وكالآية التى بعدها فى التوحيد وإثبات النبوة كالآيات الثلاث فى المواريث أى بارع بقدر على جميع أحكام الفرائض فى قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على مافيها من بديع النظم وإن جئت إلى آيات الاحتجاج كقوله تعالى (لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وكالآيات فى التوحيد كقوله (هو الحى لا إله الاهو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) وكقوله (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا) وكقوله (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير) إلى آخرها وكقوله (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن الهكم لواحد رب

(١) عبارة النسخة الكستيلية فإن إله مع الله لا يكون عن غير برهان والظاهر صحة عبارة أصل نسختنا لو قيل فيها : فإن كون إله الخ من جهة الإعراب والمعنى أيضا والله أعلم من مصححه عبد الوصيف محمد

السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) هذه من الآيات التى قال فيها الله تعالى ذكره (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) وانظر بعين عقلك وراجع جلية بصيرتك إذا تفكرت فى كلمة كلمة مما نقلناه إليك وعرضناه عليك ثم فيما ينتظم من الكلمات ثم إلى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا وسورة لابل فكر فى جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا التنزيل فلم ندع ما ادعيناه

ويقتلون النبيين بغير حق فان قتلهم لايكون إلا بغير حق ورفع السموات بغير عمد ترونها فانها لاعمد لها أصلا (الثالث) قد يراد به نفى الشىء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله فى صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيى فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون فان المعتزلة احتجوا بها على نفى الرؤية فان النظر فى قوله تعالى إلى ربها ناظرة لايستلزم الإبصار ورد بأن المعنى أنها تنظر اليه باقبالها عليه وليست تبصر شيئا ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون فانه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه آخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم قاله السكاكى (الرابع) قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة وأشكل على ذلك ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى فان المنفى فيه الحقيقة وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار فالوارد عليه النفى هنا مجاز لاحقيقة والتقدير ومارميت خلقا إذ رميت كسبا أو ما رميت انتهاء اذ رميت ابتداء (الخامس) نفى الاستطاعة قد يراد به نفى القدرة والإمكان وقد يراد نفى الامتناع وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الأول فلا يستطيعون توصية فلا يستطيعون ردها فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ومن الثانى هل يستطيع ربك على القراءتين أى هل يفعل أو هل تجيبنا إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال ومن الثالث إنك لن تستطيع معى صبرا . (قاعدة) . نفى العام يدل على نفى الخاص وثبوته لايدل على ثبوته وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ونفيه لايدل على نفيه ولاشك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به فلذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام فالأول كقوله فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم لم يقل بضوئهم بعد قوله اضاءت لأن النور أعم من الضوء اذ يقال على القليل والكثير وانما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ففى الضوء دلالة على النور فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس والقصد إزالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه وتركهم فى ظلمات ومنه ليس بى ضلالة ولم يقل ضلالة كما قالوا إنا لنراك فى ضلال لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفى الضلال وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبتة وبان نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى والثانى كقوله وجنة عرضها السموات والأرض ولم يقل طولها لأن العرض أخص إذ كل ماله عرض فله طول ولا ينعكس ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة فى الفعل لايستلزم نفى أصل الفعل وقد أشكل على هذا آيتان قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقوله وما كان ربك نسيا (وأجيب) عن الآية الأولى بأجوبة (أحدها) أن ظلاما وإن كان للكثرة لكنه جىء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه أنه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال بالجمع وقال فى آية أخرى عالم الغيب فقابل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد (الثانى) أنه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة لأن الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلان يترك القليل أولى (الثالث) أنه على النسبة أى بذى ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين (الرابع) أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه (الخامس) أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة (السادس) أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم تأكيدا للنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام (السابع) أنه ورد جوابا لمن قال ظلام والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم (الثامن) أن صيغة المبالغة وغيرها فى صفات الله سواء فى الإثبات فجرى النفى على ذلك (التاسع) أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة

و بماشر وهو مناسبة رؤس الآى * ( فائدة ) . قال صاحب الياقوتة قال ثعلب والمبرد العرب اذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارا نحو وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام(١) والمعنى انما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام واذا كان الجحد فى أول الكلام كان جحدا حقيقيا نحو ما زيد بخارج وإذا كان فى أول الكلام جحدان كان أحدهما زائدا وعليه فى ما إن مكناكم فيه فى أحد الاقوال

. ( فصل ) . من أقسام الانشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار وقيل الاستخبار ماسبق أولا ولم يفهم حق الفهم فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما حكاه ابن فارس فى فقه اللغة وأدواته الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وايان ومرت فى الأدوات قال ابن مالك فى المصباح وماعدا الهمزة نائب عنها ولكونه طلب ارتسام صورة مافى الخارج فى الذهن لزم أن لايكون حقيقة الا إذا صدر من شاك مصدق بامكان الاعلام فان غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل وإذا لم يصدق بامكان الاعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام قال بعض الائمة وما جاء فى القرآن على لفظ الاستفهام فانما يقع فى خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الاثبات أو النفى حاصل وقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازا وألف فى ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتابا سماه روض الافهام فى أقسام الاستفهام قال فيه قد توسعت العرب فاخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعانى ولا يختص التجوز فى ذلك بالهمزة خلافا للصفار ( الاول ) الانكار والمعنى فيه على النفى وما بعده منفى ولذلك تصحبه الا كقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون وهل يجازى الا الكفور وعطف عليه المنفى فى قوله فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين أى لايهدى ومنه أنؤمن لك واتبعك الارذلون أنؤمن لبشرين مثلنا أى لانؤمن أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى أى لايكون هذا أشهدوا خلقهم أى ماشهدوا ذلك وكثيرا مايصحبه التكذيب وهو فى الماضى بمعنى لم يكن وفى المستقبل بمعنى لايكون نحو أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية أى لم يفعل ذلك ألزمكموها وأنتم لها كارهون أى لايكون هذا الالزام ( الثانى ) التوبيخ وجعله بعضهم من قبيل الانكار الا أن الاول انكار ابطال وهذا انكار توبيخ والمعنى على أن مابعده واقع جدير بان ينفى فالنفى هنا غير قصدى والاثبات قصدى عكس ماتقدم ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا نحو أفعصيت أمرى أتعبدون ماتنحتون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وأكثر مايقع التوبيخ فى امر ثابت ووبخ على فعله كما ذكر ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع كقوله أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ( الثالث ) التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده قال ابن جنى ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام وقال الكندى ذهب كثير من العلماء فى قوله هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم الى أن هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير أو التوبيخ الا انى رأيت أبا على أبى ذلك وهو معذور فان ذلك من قبيل الانكار ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لايكون بهل انما يستعمل فيه الهمزة ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتى تقريرا كما فى قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب فالاول كقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل والثانى نحو أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما على ماقرره الجرجانى من جعلها مثل وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام انكار والانكار نفى وقد دخل على النفى ونفى النفى اثبات

لبعضه ولم نصف ماوصفناه إلا فى كله وإن كانت الدلالة فى البعض أبين وأظهر والآية أكشف وابهر واذا تأملت على ماهديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع هذا النور فى قلبك واشتماله على لبك وسريانه فى حسك ونفوذه فى عروقك وامتلاكه به ايقانا واحاطة واهتداءك به ايمانا وبصيرة أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه والهزة تعمل فى جوانبك من لون والاريحية تستولى عليك من باب وهل تجد الطرب يستفزك للطيف مافطنت له والسرور يحركك من عجيب ماوقفت عليه وتجد فى نفسك من المعرفة التى حدثت لك عزة وفى اعطافك ارتياحا وهزة وترى لك فى الفضل تقدما وتبريزا وفى اليقين سبقا وتحقيقا وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ومهاويهم فى ظلال القلة والدلة وأقدارهم بالعين

(١) عبارة الكستلية هنا غير محررة وتنقص معنى كلمة والمعنى إلى وإذا اه مصححه عبد الوصيف محمد

التى يجب أن تلحظ بها مراتبهم  بحيث يجب أن نرتبها هذا كله فى تأمل الكلام ونظامه وعجيب معانيه واحكامه فان

ومن أمثلته (أليس الله بكاف عبده ألست بربكم) وجعل منه الزمخشرى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) (الرابع) التعجب أو التعجيب نحو كيف تكفرون بالله مالى لا أرى الهدهد وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه فى قوله أتأمرون الناس بالبر قال الزمخشرى الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقى ما ولاهم عن قبلتهم (الخامس) العتاب كقوله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قال ابن مسعود ما كان بين اسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية الا أربع سنين (أخرجه) الحاكم ومن ألطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله عفى الله عنك لم أذنت لهم ولم يتأدب الزمخشرى بادب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء الادب (السادس) التذكير وفيه نوع اختصار كقوله ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (السابع) الافتخار نحو أليس لى ملك مصر (الثامن) التفخيم نحو مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة (التاسع) التهويل والتخويف نحو الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة (العاشر) عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو وماذا عليهم لو آمنوا (الحادى عشر) التهديد والوعيد نحو ألم نهلك الاولين (الثانى عشر) التكثير نحو وكم من قرية أهلكناها (الثالث عشر) التسوية وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (الرابع عشر) الامر نحو أأسلمتم أى اسلموا فهل أنتم منتهون أى انتهوا أتصبرون أى اصبروا (الخامس عشر) التنبيه وهو من أقسام الامر نحو ألم تر الى ربك كيف مد الظل أى انظر ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ولذلك وقع الفعل فى جوابه وجعل منه قوله فأين تذهبون للتنبيه على الضلال وكذا من يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه (السادس عشر) الترغيب نحو من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا هل أدلكم على تجارة تنجيكم (السابع عشر) النهى نحو أتخشونهم فالله احق ان تخشوه بدليل فلا تخشوا الناس واخشونى ما غرك بربك الكريم أى لا تغتر (الثامن عشر) الدعاء وهو كالنهى الا أنه من الادنى الى الاعلى نحو أتهلكنا بما فعل السفهاء أى لا تهلكنا (التاسع عشر) الاسترشاد نحو أتجعل فيها من يفسد فيها (العشرون) التمنى نحو فهل لنا من شفعاء (الحادى والعشرون) الاستبطاء نحو متى نصر الله (الثانى والعشرون) العرض ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الثالث والعشرون) التخصيص نحو ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم (الرابع والعشرون) التجاهل نحو أأنزل عليه الذكر من بيننا (الخامس والعشرون) التعظيم نحو من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه (السادس والعشرون) التحقير نحو أهذا الذى يذكر آلهتكم أهذا الذى بعث الله رسولا ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون (السابع والعشرون) الاكتفاء نحو أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين (الثامن والعشرون) (١) الاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى (التاسع والعشرون) الايناس نحو وما تلك بيمينك ياموسى (الثلاثون) التهكم والاستهزاء نحو أصلواتك تأمرك ألا تأكلون مالكم لا تنطقون (الحادى والثلاثون) التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار قال الموفق عبد اللطيف البغدادى أى من حق عليه كلمة العذاب فانك لا تنقذه فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة فى أفأنت دخلت معادة لطول الكلام وهذا نوع من أنواعها وقال الزمخشرى الهمزة الثانية هى الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد (الثانى والثلاثون) الاخبار نحو أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا هل أتى على الانسان (تنبيهات) الاول هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الاشياء موجود وانضم اليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية قال فى عروس الافراح محل

نظر

جئت الى ما يبسط فى العالم من بركته وأنواره وتمكن فى الآفاق من يمنه وأضوائه وثبت فى القلوب من إكباره واعظامه وأثر فى النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى فى الدماء من مفروض حكمه والى أنه جعل عماد الصلاة التى هى تلو الايمان فى التأكيد وثانية التوحيد فى الوجوب وفرض حفظه ووكل الصغار والكبار بتلاوته وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح امر كما امر به لافتتاحه فهل يدلك هذا على عظيم شأنه وراجح ميزانه وعالى مكانه وجملة الامر ان نقد الكلام شديد وتمييزه صعب . ومما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكرى أخبرنى أبو

(١) وقد سقط هذا النوع من النسخة الكستلية فذكر فيها بعد عنوان الثامن والعشرون الإيناس وترك عنوان التاسع والعشرون وهو نقص لا يغتفر وخلط ينتبه له محب الاطلاع على المراجع اه مصححه عبد الوصيف محمد

نظر قال والذى يظهر الأول قال ويساعده قول التنوخى فى الاقصى القريب ان لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى قال ومما يوجهه ان الاستبطاء فى قولك كم أدعوك معناه ان الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فانا أطلب أن أعلم عدده والعادة تقضى بأن الشخص انما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعلمه وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر فمن تعجب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول أى شىء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى لان معنى أين تذهب أخبرنى إلى أى مكان تذهب فانى لا أعرف ذلك وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهى وأما التقرير فان قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بان المذكور عقيب الاداة واقع أو طلب أقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أى يطلب منه أن يكون مقرا به وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين والثانى أظهر وفى الايضاح تصريح به ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لانه طلب الفهم إما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان وبهذا تنحل اشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصا (الثانى) القاعدة أن المنكر يجب أن يلى الهمزة وأشكل عليها قوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) فان الذى يليها هنا الاصفاء بالبنين وليس هو المنكر انما المنكر قولهم انه اتخذ من الملائكة اناثا (وأجيب) بان لفظ الاصفاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم أو بان المراد مجموع الجملتين وينحل منهما كلا واحد والتقدير أجمع بين الاصفاء بالبنين واتخاذ البنات وأشكل منه قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ووجه الاشكال انه لا جائز ان يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة لأن أمر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لانه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا مجموع الامرين لانه يلزم ان تكون العبادة جزء المنكر ولا نسيان النفس بشرط الامر لان النسيان منكر مطلقا ولا يكون نسيان النفس حال الامر أشد منه حال عدم الأمر لان المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة لان جمهور العلماء على أن الامر بالبر واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان ولا يأتى الخير بالشر قال فى عروس الافراح ويجاب بان فعل المعصية مع النهى عنها أفحش لأنها تجعل حال الانسان كالمتناقض وتجعل القول كالمخالف للفعل ولذلك كانت المعصية مع العلم افحش منها مع الجهل قال ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة

---

(فصل). من أقسام الانشاء وهو طلب فعل غير كف وصيغة أفعل وليفعل وهى حقيقة فى الايجاب نحو وأقيموا الصلاة فليصلوا معك وترد مجازا لمعان أخر منها الندب نحو وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والاباحة نحو فكاتبوهم نص الشافعى على أن الامر فيه للاباحة ومنه إذا حللتم فاصطادوا والدعاء من السافل للعالى نحو رب اغفر لى والتهديد نحو اعملوا ما شئتم إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا والإهانة نحو ذق إنك أنت العزيز الكريم والتسخير اى التذليل نحو كونوا قردة عبر به عن نقلهم من حاله إلى حالة إذلالا لهم فهو أخص من الاهانة والتعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم والامتنان نحو كلوا من ثمره إذا أثمر والعجب نحو انظر كيف ضربوا لك الأمثال والتسوية نحو فاصبروا أو لا تصبروا والارشاد نحو وأشهدوا إذا تبايعتم والاحتقار نحو ألقوا ما أنتم ملقون والانذار نحو قل تمتعوا والاكرام نحو ادخلوها بسلام والتكوين وهو أعم من التسخير نحو كن فيكون

بكر بن دريد قال سمعت ابا حاتم يقول سمعت الاصمعى يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون إلى كثير من قبيحه بعين الحسن وكثير من حسنه بعين القبيح ثم يختلفون فى الاحسن منه اختلافا كثيرا وتتباين آراؤهم فى تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ولا يأتى فى مقدورهم ولا يمر بخواطرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولهت عقولهم ولم يكن عقدهم فيه جواب غير ضرب الامثال والتحريض عليه والتوهم فيه وتقسيمه اقساما وجعله

والانعام أى تذكير النعمة نحو كلوا مما رزقكم الله والتكذيب نحو قل فأتوا بالتوراة فاتلوها قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا والمشورة نحو فانظر ماترى والاعتبار نحو فانظروا إلى ثمره والتعجب نحو أسمع بهم وابصر ذكره السكاكى فى استعمال الانشاء بمعنى الخبر

* (فصل) * ومن أقسامه النهى وهو طلب الكف عن فعل وصيغة لاتفعل وهى حقيقة فى التحريم وترد مجاز المهان منها الكراهة نحو ولا تمش فى الأرض مرحا والدعاء نحو ربنا لاتزغ قلوبنا والارشاد نحو لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم والتسوية نحو أولا تصبروا والاحتقار والتقليل نحو ولا تمدن عينيك الآية أى فهو قليل حقير وبيان العاقبة نحو ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت واليأس نحو لاتعتذروا والاهانة نحو اخسئوا فيها ولا تكلمون

. (فصل) . ومن أقسامه التمنى وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة ولا يشترط امكان المتمنى بخلاف المترجى لكن نوزع فى تسمية تمنى المحال طلبا بأن مالا يتوقع كيف يطلب قال فى عروس الافراح فالاحسن ماذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء والقسم ليس فيها طلب بل هو تنبيه ولا بدع فى تسميه انشاء اه وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من قسم الخبر وان معناه النفى والزمخشرى ممن جزم بخلافه ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله ياليتنا نرد ولا نكذب إلى قوله وانهم لكاذبون وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب وقال غيره التمنى لا يصح فيه الكذب وانما الكذب فى المتمنى الذى يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذى هو ظن وهو خبر صحيح قال وليس المعنى فى قوله وانهم لكاذبون ان ماتمنوا ليس بواقع لأنه ورد فى معرض الذم لهم وليس فى ذلك المتمنى ذم بل التكذيب ورد على أخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وانهم يؤمنون وحرف التمنى الموضوع له ليت نحو ياليتنا نرد ياليت قومى يعلمون ياليتنى كنت معهم فافوز وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وبلو نحو فلوان لنا كرة فنكون ولذا نصب الفعل فى جوابها وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حكم ليت فى نصب الجواب نحو لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع

. (فصل) . ومن أقسامه الترجى نقل القرافى فى الفروق الاجماع على أنه انشاء وفرق بينه وبين التمنى بانه فى الممكن والتمنى فيه وفى المستحيل وبان الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره وبان التمنى فى المشفوق للنفس والترجى فى غيره وسمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول الفرق بين التمنى وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجى وحرف الترجى لعل وعسى وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الاشفاق نحو لعل الساعة قريب

*(فصل)* ومن أقسامه النداء وهو طلب اقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب أدعو ويصحب فى الاكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو ياأيها الناس اعبدوا ربكم ياعبادى فاتقون ياأيها المزمل قم الليل ياقوم استغفروا ربكم ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا وقد يتأخر نحو وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو ياأيها الناس ضرب المثل فاستمعوا له ياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها وقد لا يعقبها نحو ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ياأبت هذا تأويل رؤياى وقد تصحبه الاستفهاميه نحو ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ياأيها النبى لم تحرم ياقوم مالى أدعوكم وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالاغراء والتحذير وقد اجتمع فى قوله تعالى ناقة الله وسقياها والاختصاص كقوله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت والتنبيه كقوله ألا يسجدوا والتعجب

عضين وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فماله من هاد) استغنم فهم هذه الآية وكفاك استفد على هذه الكلمات وقد أغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله ولا تعرف براعته بكثرة فصوله ان القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد ثم الله سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها وذهابها على أقوام ذكر فى آخر هذه الآية ماذكر وبين مابين فقال (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) فلا يعلم ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد وقال (من يضلل الله فماله من هادا وقال (يضل به كثير) ويهدى به كثيرا) وقد بسطنا لك

كقوله ياحسرة على العباد والتحسر كقوله ياليتنى كنت ترابا (قاعدة) أصل النداء بيان أن تكون للبعيد حقيقة أو حكما وقد ينادى بها القريب لنكت منها اظهار الحرص فى وقوعه على اقبال المدعو نحو ياموسى أقبل ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ياأيها الناس اعبدوا ربكم ومنها قصد تعظيم شأن المدعو نحو يارب وقد قال تعالى إنى قريب ومنها قصد انحطاطه كقول فرعون وانى لاظنك ياموسى مسحورا (فائدة) قال الزمخشرى وغيره كثر فى القرآن النداء بيا أيها دون غيره لان فيها أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها ما فى يا من التأكيد والتنبيه وما فى ها من التنبيه وما فى التدرج من الابهام فى أى الى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لان كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الامم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم غافلون فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ

*( فصل ) . ومن أقسامه القسم نقل القرافى الاجماع على انه انشاء وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع وسيأتى بسط الكلام فيه فى النوع السابع والستين

. ( فصل ) . ومن أقسامه الشرط

*( النوع الثامن والخمسون ) *فى بدائع القرآن أفرده بالتصنيف ابن أبى الأصبع فأورد فيه نحو مائة نوع وهى المجاز والاستعارة والكناية والارداف والتمثيل والتشبيه والايجاز والاتساع والاشارة والمساواة والبسط والايغال والتشريع والتتميم والاتضاح ونفى الشىء بايجابه والتكميل والاحتراس والاستقصاء والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والمذهب الكلامى والقول بالموجب والمناقضة والانتقال والاسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهيم ورد العجز على الصدر وتشابه الاطراف ولزوم ما لا يلزم والتخيير والابهام وهو التورية والاستخدام والالتفات والاستطراد والاطراد والانسجام والادماج والافتنان والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف اللفظ مع المعنى والاستدراك والاستثناء والاقتصاص والابدال وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتخويف والتغاير والتقسيم والتدبيج والتنكيت والتجريد والتعديد والترتيب والترقى والتدلى والتضمين والجناس والجمع والتفريق والجمع والتقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم وجمع المؤتلف والمختلف وحسن النسق وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم واللف والنشر والمشاكلة والمزاوجة والموازبة والمراجعة والنزاهة والابداع والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختام وحسن التخلص والاستطراد فاما المجاز وما بعده الى الايضاح فقد تقدم بعضها فى أنواع مفردة وبعضها فى نوع الايجاز والاطناب مع أنواع أخر كالتعريض والاحتباك والاكتفاء والطرد والعكس وأما نفى الشىء بايجابه فقد تقدم فى النوع الذى قبل هذا وأما المذهب الكلامى والخمسة بعده فستأتى فى نوع الجدل مع أنواع أخر مزيدة وأما التمكين والثمانية بعده فستأتى فى أنواع الفواصل وأما حسن التخلص والاستطراد فستأتيان فى نوع المناسبات وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان فى نوعى الفواتح والخواتم وها أنا أورد الباقى مع زوائد ونفائس لا توجد مجموعة فى غير هذا الكتاب (الابهام) ويدعى التورية أن يذكر لفظ له معنيان اما بالاشتراك أو التواطىء أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة قال الزمخشرى لا ترى بابا فى البيان أدق ولا الطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله قال ومن أمثلتها الرحمن على العرش استوى فان الاستواء على

القول رجاء افهامك وهذا المنهاج الذى رأيته ان سلكته يأخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك واعلم انا لم نقصد فيما سطرناه من الآيات وسميناه من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشف والأظهر لانا نعتقد فى كل سورة ذكرناها أو أضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا فى الدلالة على الاعجاز والكفاية فى التمتع والبرهان ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ما تيسر وقلنا فيما اتجه فى الحال وخطر وان كنا نعتقد ان الاعجاز فى بعض القرآن أظهر وفى بعض أدق وأغمض والكلام فى هذا الفصل يجىء بعد هذا فاحفظ عنا فى الجملة ما كررنا والسير بعد ذلك فى التفصيل اليك وحصل ما أعطيناك من العلامة ثم النظر عليك قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم الى قسمين أحدهما ما يتم

معنيين الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى به عنه بالقريب المذكور انتهى وهذه التورية تسمى مجردة لانها لم يذكر فيها شىء من لوازم المورى به ولا المورى عنه ومنها مايسمى مرشحة وهى التى ذكر فيها شىء من لوازم هذا أوهذا كقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود قال ابن أبى الاصبع فى كتابه الاعجاز ومنها قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى فاستعمل أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب فاليوم ننجيك ببدنك على تفسيره بالدرع فان البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد قال ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وماأنت بتابع قبلتهم) ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى وتوجهت اليه اليهود وتوجهت النصارى الى المشرق كانت قبلة الاسلام وسطا بين القبلتين قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع مايعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظه وسط هاهنا أن يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين ولما كان المراد أبعدهما وهو الخيار صلحت أن تكون من أمثلة التورية قلت وهى مرشحة تلازم المورى عنه وهو قوله لتكونوا شهداء على الناس فانه من لوازم كونهم خيارا أى عدولا والاتيان قبلها من قسم المجردة ومن ذلك قوله والنجم والشجر يسجدان فان النجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر وعلى مالاساق له من النبات وهو المعنى البعيد له وهو المقصود فى الآية ونقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر ان من التورية فى القرآن قوله تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس) فان كافة بمعنى مانع أى تكفهم عن الكفر والمعصية والهاء للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر ان المراد جامعة بمعنى جميعا لكن منع من حمله على ذلك ان التأكيد يتراخى عن المؤكد فكما لاتقول رأيت جميعا الناس لاتقول رأيت كافة الناس (الاستخدام) هو والتورية أشرف أنواع البديع وهما سيان بل فضله بعضهم عليها ولهم فيه عبارتان احداهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره مرادا به المعنى الآخر هذه طريقة السكاكى واتباعه والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر وهذه طريقة بدر الدين بن جماعة فى المصباح ومشى عليها ابن أبى الاصبع ومثله بقوله تعالى لكل أجل كتاب الآية فلفظ كتاب يحتمل الامد المحتوم والكتاب المكتوب فلفظ أجل يخدم المعنى الاول ويمحو يخدم الثانى ومثل غيره بقوله تعالى (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية فالصلاة يحتمل أن يراد فعلها وموضعها وقوله حتى تعلموا ماتقولون يخدم الاول والاعابرى سبيل يخدم الثانى قيل ولم يقع فى القرآن على طريقة السكاكى قلت وقد استخرجت بفكرى آيات على طريقته منها قوله تعالى (أتى أمر الله فأمر) الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أريد بلفظه الاخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى أتى أمر الله قال محمد وأعيد الضمير عليه فى تستعجلوه مرادا به قيام الساعة والعذاب ومنها وهى أظهرها قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من طين فان المراد به آدم ثم أعاد عليه الضمير مرادا به ولده ثم قال ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ومنها قوله تعالى لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ثم قال قد سألها قوم من قبلكم أى أشياء اخر لان الأولين لم يسألوا عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها

بنفسه أو بنفسه وفاصلته فينير فى الكلام انارة النجم فى الظلام والثانى مايشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملتها وجدت كل كلمة منها فى نهاية البراعة وغاية البلاغة وانما يبين ذلك بان تتصور هذه الكلمة مضمنة بين أضعاف كلام كثير أو خطاب طويل فتراها ما بينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها لعلو جنسها فاذا ضمت الى أخواتها وجاءت فى ذواتها أرتك القلائد منظومة كما كانت تريك عند تأمل الإفراد منها اليواقيت منثورة والجواهر مبثوثة ولولا ما أكره من تضمين القرآن فى الشعر لانشدتك ألفاظا وقعت مضمنة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها فى أثنائه وكيف تمتاز منه حتى أنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبى من الكلام الذى تضمنه والباب الذى توسطه وأنكر مكانه واستكبر موضعه ثم

(الالتفات) نقل الكلام من أسلوب الى آخر أعنى من التكلم أو الخطاب أو الغيبة الى آخر منها بعد التعبير بالاول هذا هو المشهور وقال السكاكى أما ذاك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسلامة من الاستمرار على منوال واحد هذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه مثاله من التكلم الى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية تختص بالمواجهة قوله تعالى (ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) الاصل واليه أرجع فالتفت من التكلم الى الخطاب ونكتته أنه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت اليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم الى الله تعالى كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر لانه انما يكون منه اذا قصد الاخبار عن نفسه فى كلا الجملتين وهنا ليس كذلك لجواز أن يريد بقوله ترجعون المخاطبين لا نفسه (وأجيب) بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الانكارى لان رجوع العبد الى مولاه ليس بمستلزم أن يعبده غير ذلك الراجع فالمعنى كيف لا أعبد من اليه رجوعى وإنما عدل عن واليه أرجع الى واليه ترجعون لانه داخل فيهم ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهى تنبيههم على أنه مثلهم فى وجوب عبادة من اليه الرجوع ومن أمثلته أيضا قوله تعالى (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة) ومثاله من التكلم الى الغيبة ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب وأنه ليس فى كلامه ممن يتلون ويتوجه ويبدى فى الغيبة خلاف ما يبديه فى الحضور قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله) والاصل لنغفر لك انا أعطيناك الكوثر فصل لربك والاصل لنا أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك والاصل منا انى رسول الله اليكم جميعا الى قوله فآمنوا بالله ورسوله والاصل وبى وعدل عنه لنكتتين أحدهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها والاخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة ومثاله من الخطاب الى التكلم لم يقع فى القرآن ومثل له بعضهم بقوله فاقض ما أنت قاض ثم قال انا آمنا بربنا وهذا المثال لا يصح لان شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا ومثاله من الخطاب الى الغيبة حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والاصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم الى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم اذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة وقيل لان الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) فلو وجرين بكم للزم الذم للجميع فالتفت عن الاول للاشارة الى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم فى آخر الآية عدولا من الخطاب العام الى الخاص قلت ورأيت عن بعض السلف فى توجيهه عكس ذلك وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام فاخرج ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال فى قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم قال ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم ولم يقل وجرين بكم لانه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق هذه عبارته فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعانى اللطيفة التى يدأب المتأخرون فيها زمانا طويلا ويفنون فيها أعمارهم ثم غايته أن يحوموا حول الحمى ومما ذكر فى توجيهه أيضا أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الانسان انه إذا أمن غاب قلبه عن ربه فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة وهذه اشارة صوفية ومن أمثلته أيضا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم

تناسبها فى البلاغة والابداع وتماثلها فى السلامة والاغراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب ثم سائر ما قدمنا ذكره مما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب فى مجاريه ويختل تصرفه فى معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير فى طرقه ويضيق به النطاق فى مذاهبه ويرتبك فى أطرافه وجوانبه ويسلمه للتكلف الوحش كثرة تصرفه ويحله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه ونظم القرآن فى مؤتلفه ومختلفه وفى فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفى كل نهج يسلكه وطريق يأخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال (قرآنا عربيا غير ذى عوج وكما قال كتابا متشابها)

المضعفون وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم والاصل عليكم ثم قال وأنتم فيها خالدون فكرر الالتفات ومثاله من الغيبة الى التكلم الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وأوحى فى كل سماء أمرها وزينها سبحان الذى أسرى بعبده الى قوله باركنا حوله لنريه من آياتنا ثم التفت ثانيا الى الغيبة فقال إنه هو السميع البصير وعلى قراءة الحسن ليريه بالغيبة يكون التفاتا ثانيا من باركنا وفى آياتنا التفات ثالث وفى أنه التفات رابع قال الزمخشرى وفائدته فى هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة وأنه لايدخل تحت قدرة أحد ومثاله من الغيبة الى الخطاب (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء) أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك ومن محاسنه ماوقع فى سورة الفاتحة فان العبد اذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الاقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه مالك الامر كله فى يوم الجزاء يجد من نفسه حاملا لايقدر على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات وقيل انما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة الى أن الحمد دون العبادة فى الرتبة لانك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة مع ليُنسب الى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ماهو أعلى رتبة وذلك على طريقة التأدب وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال الذين أنعمت عليهم مصرحا بذكر المنعم واسناد الانعام اليه لفظا ولم يقل صراط المنعم عليهم فلما صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه لفظا وجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فلم يقل غير الذين غضبت عليهم تفاديا عن نسبة الغضب اليه فى اللفظ حال المواجهة وقيل لانه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيما ومالكا ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبودا دون غيره مستعانا به فخوطب بذلك لتميزه بالصفات المذكورة تعظيما لشأنه حتى كأنه قيل اياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لاغيرك قيل ومن لطائفه التنبيه على أن مبتدأ الخلق للغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليهم فاذا عرفوه بماهو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقروا بالمحامد له تعبدوا له بما يليق بهم وتأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا اياك نعبدوا ياك نستعين * (تنبيهات) * الاول شرط الالتفات ان يكون الضمير فى المنتقل اليه عائدا فى نفس الامر الى المنتقل عنه ولا يلزم عليه أن يكون فى أنت صديقى التفات (الثانى) شرطه أيضا أن يكون فى جملتين صرح به صاحب الكشاف وغيره والا يلزم عليه أن يكون نوعا غريبا (الثالث) ذكر التنوخى فى الاقصى القريب وابن الاثير وغيرهما نوعا غريبا من الالتفات وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه كقوله غير المغضوب عليهم بعد أنعمت فإن المعنى غير الذين غضبت عليهم وتوقف فيه صاحب عروس الافراح (الرابع) قال ابن أبى الاصبع جاء فى القرآن من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر فى الشعر بمثاله وهو أن يقدم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتبين ثم يخبر عن الاول منهما وينصرف عن الاخبار عنه الى الاخبار عن الثانى ثم يعود الى الاخبار عن الاول كقوله ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد انصرف عن الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى ثم قال منصرفا عن الاخبار عن ربه تعالى الى الاخبار عن الانسان وانه لحب الخير لشديد قال وهذا يحسن ان يسمى التفات الضمائر (الخامس) يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع لخطاب الآخر ذكره التنوخى وابن الاثير وهو ستة

ولا يخرج عن ابانته كما قال بلسان عربى مبين وغيره من الكلام كثير التلون دائم التغير يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه قبيح مستهجن ويطلع عليك بوجه الحسناء ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التى هى كاللآلىء الزهر وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع اليك منه الكلام المنبج والنظم المشوش والحديث المشوه وقد تجد منه مالا يتناسب ولا يتشابه ولا يتألف ولا يتماثل لقد قيل فى وصف ماجرى هذا المجرى

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعى فى القريض دخيل

وقال آخر

وبعض قريض القوم اولاد علة
يكد لسان الناطق المتحفظ

فان قال قائل فقد نجد فى آيات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ماوصفت

أقسام أيضا مثاله من الواحد إلى الإثنين (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض) وإلى الجمع يا أيها النبي إذا طلقتم النساء. ومن الإثنين إلى الواحد فمن ربكما ياموسى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وإلى الجمع وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومن الجمع إلى الواحد وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وإلى الإثنين يامعشر الجن والإنس إن استطعتم إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان (السادس) ويقرب منه أيضا الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر مثاله من الماضي إلى المضارع ارسل الرياح فتثير خر من السماء فتخطفه الطير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وإلى الأمر قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا ومن المضارع إلى الماضي ويوم ينفخ في الصور فصعق ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم وإلى الأمر قال إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء. ومن الأمر إلى الماضي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا وإلى المضارع وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون (الاطراد) هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة قال ابن أبي الأصبع ومنه في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) قال وانما لم يأت به على الترتيب المألوف فان العادة الابتداء بالأب ثم الجد ثم الجد الأعلى لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب ومثله قول أولاد يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق (الانسجام) هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة والقرآن كله كذلك قال أهل البديع وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ومن ذلك ماوقع في القرآن موزونا فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا ومن البسيط فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم ومن الوافر ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومن الكامل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ومن الهزج فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ومن الرجز ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ومن الرمل وجفان كالجوابي وقدور راسيات ومن السريع أو كالذي مر على قرية ومن المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة ومن الخفيف لايكادون يفقهون حديثا ومن المضارع يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن المقتضب في قلوبهم مرض ومن المجتث نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ومن المتقارب وأملي لهم إن كيدي متين (الادماج) قال ابن أبي الأصبع هو أن يدمج المتكلم غرضا في غرض أو بديعا في بديع بحيث لايظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين كقوله تعالى وله الحمد في الأولى والآخرة أدمجت المبالغة في المطابقة لأن انفراده تعالى بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لايحمد فيه سواه مبالغة في الوقت بالانفراد بالحمد وهو وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيه حقيقة في الباطن فانه رب الحمد والمنفرد به في الدارين اه (قلت) والأولى أن يقال في هذه الآية انها من ادماج غرض في غرض فان الغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء (الافتنان) هو الاتيان في كلام بفنين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فانه تعالى عزى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ماهو قابل للحياة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى ومنه ثم ننجي الذين اتقوا الآية جمع فيها بين هناء وعزاء (الاقتدار) هو أن

ولاتتميز الكلمات بوجه البراعة وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة وحد يتجاوز حد الألفاظ المستبدة وإن كان الأكثر على ماوصفته به قيل له نحن نعلم أن قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) وعماتكم وخالاتكم إلى آخر الآية ليس من القبيل الذي يمكن إظهار البراعة فيه وإبانة الفصاحة وذاك يجري عندنا مجرى مايحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب فلايمكن إظهار البلاغة فيه فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى وذلك حاصل في هذه الآية ان تأملت الاترى أنه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها وإدلائها بنفسها ومكان بعضيتها فهي أصل لكل من يدلي بنفسه منهن لأنه ليس في ذوات الأنساب أقرب

يبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه على صياغة قوالب المعانى والأغراض فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة وتارة فى صورة الإرداف وحينا فى مخرج الإيجاز ومرة فى قالب الحقيقة قال ابن أبى الأصبع وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن فانك ترى القصة الواحدة التى لا تختلف معانيها تأتى فى صور مختلفة وقوالب من ألفاظ متعددة حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرا (ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى) الأول أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة والثانى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد وإن كان فخما كانت ألفاظه مفخمة أو جزلا فجزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك فالأول كقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أتى بأغرب ألفاظ القسم وهى التاء فانها أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو وبأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار فان تزال أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالا منها وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة توخيا لحسن الجوار ورعاية فى ائتلاف المعانى بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ فى الوضع وتتناسب فى النظم ولما أراد غير ذلك قال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها ومن الثانى قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل اليه والاعتماد عليه دون مشاركته فى الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم فأتى بلفظ المس الذى هو دون الإحراق والاصطلاء وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لثقلها وكذا قوله فكبكبوا فيها فانه ابلغ من كبوا للاشارة إلى أنهم مكبون كبا عنيفا فظيعا وهم يصطرخون فانه أبلغ من يصرخون للاشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد وأخذ عزيز مقتدر فانه أبلغ من قادر للاشارة إلى زيادة التمكن فى القدرة وأنه لا راد له ولا معقب ومثل ذلك واصطبر فانه أبلغ من أصبر والرحمن فانه أبلغ من الرحيم فانه يشعر باللطف والرفق كما أن الرحمن يشعر بالفخامة والعظمة ومنه الفرق بين سقى واسقى فان سقى لما لا كلفة معه فى السقيا ولهذا أورده تعالى فى شراب الجنة فقال (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وأسقى لما فيه كلفة ولهذا أورده فى شراب الدنيا فقال وأسقيناكم ماء فراتا لأسقيناهم ماء غدقا لأن السقيا فى الدنيا لا تخلو من الكلفة أبدا (الاستدراك) والاستثناء شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضربا من المحاسن زائدا على مايدل عليه المعنى اللغوى مثال الاستدراك (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فانه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا لكان منفرا لهم لأنهم ظنوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيمانا فاوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ليعلم أن الإيمان موافقة القلب اللسان وان انفرد اللسان بذلك يسمى اسلاما ولا يسمى إيمانا وزاد ذلك أيضاحا بقوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم فلما تضمن الاستدراك ايضاح ما عليه ظاهر الكلام من الاشكال عد من المحاسن ومثال الاستثناء فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح فى دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم إذ لو قيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما لم يكن فيه من التهويل ما فى الأول لأن لفظ الألف فى الأول أول مايطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ماتقدمه وقع يزيل ماحصل عنده من ذكر الألف (الاقتصاص) ذكره ابن فارس وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى تلك السورة كقوله تعالى وآتيناه

منها ولما جاء إلى ذوات الأسباب ألحق لها حكم الأم من الرضاع لأن اللحم ينشره اللبن بما يغذو فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية فنشر الحرمة بهذا المعنى وألحقها بالوالدة وذكر الأخوات من الرضاعة فنبه على كل من يدلى بغيرها وجعلها تلو الام من الرضاع والكلام فى إظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ولم نضع كتابنا لهذا وسبيل هذا أن نذكره فى كتاب معانى القرآن إن سهل الله لنا أملاءه وجمعه فلم تنفك هذه الآية من الحكم التى تخاف حكمة الإعجاز فى النظم والتأليف والفائدة التى تنوب مناب العدول عن البراعة فى وجه الترصيف فقد علم السائل أنه لم يأت بشىء ولم يهتد للاغراض فى دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق فى الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه كقول أبى داود الأسدى

اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين والآخرة دار ثواب لا عمل فيها وهذا مقتبس من قوله تعالى (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) ومنه ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين مأخوذ من قولهم فأولئك فى العذاب محضرون وقوله ويوم يقوم الاشهاد مقتبس من أربع آيات لأن الاشهاد أربعة الملائكة فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والأنبياء فى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وأمة محمد فى قوله لتكونوا شهداء على الناس والأعضاء فى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية وقوله ويوم التناد قرىء مخففا ومشددا فالأول مأخوذ من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار والثانى من قوله يوم يفر المرء من أخيه (الابدال) هو إقامه بعض الحروف مقام بعض وجعل منه ابن فارس فانفلق أى انفرق ولهذا قال فكان كل فرق فالراء واللام متعاقبان وعن الخليل فى قوله تعالى فجاسوا خلال الديار انه أريد فحاسوا فجاءت الجيم مقام الحاء وقد قرىء بالحاء أيضا وجعل منه الفارسى انى أحببت حب الخير أى الخيل وجعل منه أبو عبيدة الامكاء وتصدية (تأكيد المدح) بما يشبه الذم قال ابن أبى الأصبع هو فى غاية العزة فى القرآن قال ولم أجد منه فى القرآن إلا آية واحدة وهى قوله (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) الآية فان الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم ان ما يأتى بعده مما يوجب أن ينتقم على فاعله مما يذم فلما اتى بعد الاستثناء بما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم (قلت) ونظيرها قوله (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وقوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) فان ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضى الاخراج فلما كان صفة مدح يقتضى الاكرام لا الاخراج كان تأكيد للمدح بما يشبه الذم وجعل منه التنوخى فى الأقصى القريب لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما استثنى سلاما سلاما الذى هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكدا لانتفاء اللغو والتأثيم انتهى (التفويت) هو اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغير ذلك من الفنون كل فن فى جملة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الزنة وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمن الطويلة (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين) ومن المبسوطة (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن أبى الأصبع ولم يأت المركب من القصيرة فى القرآن (التقسيم) هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة إلا الممكنة عقلا نحو هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين وقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فان العالم لا يخلو من هذا الأقسام الثلاثة إما عاص ظالم لنفسه وإما سابق مبادر للخيرات وإما متوسط بينهما مقتصد فيها ونظيرها كنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وكذا قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك استوفى أقسام الزمان ولا رابع لها وقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على أربع استوفى أقسام الخلق فى المشى وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم استوفى جميع هيآت الذاكر وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما استوفى جميع أحوال المتزوجين ولا خامس لها (التدبيج) هو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية قال ابن أبى الأصبع كقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأشدهم كلبا على أعدائه
وأعزهم فقدا على الأصحاب وقد يتفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التى لابد فيها من أمر البلاغة يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر فى غيرها وقد يمكن فيها وكل موضع أمكن ذلك فقد، وجد فى القرآن فى بابه ماليس عليه مزيد فى البلاغة وعجيب النظم ثم فى جملة الآيات ما ان لم تواع البديع البليغ فى الكلمات الأفراد والألفاظ الآحاد فقد تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ويطرد ذلك فى الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو فى بعض ذلك ما يخالف الابداع فى أفراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه

ألوانها وغرابيب سود وقال المراد بذلك والله أعلم الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جدا وهي أوضح الطرق وأبينها ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة فالطرف الأعلى في الظهور البياض والطرف الأدنى في الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك تحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم (التنكيت) هو ان يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لأن العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا إلى عبادتها فانزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية (التجريد) هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها فيه نحو لي من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة نحو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جرد من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة وعطفه عليه كأنه غيره وهو هو ومن أمثلته في القرآن لهم فيها دار الخلد ليس المعنى ان الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد بل هي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا ذكره في المحتسب وجعل منه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي على أن المراد بالميت النطفة قال الزمخشري وقرأ عبيد بن عمير فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى حصلت منها وردة قال وهو من التجريد وقرئ أيضا يرثني وارث من آل يعقوب قال ابن جني هذا هو التجريد وذلك أنه يريد وهب لي من لدنك وليا يرثني وارث من آل يعقوب وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثا (التعديد) هو ايقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد وأكثر ما يوجد في الصفات كقوله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وقوله التائبون العابدون الحامدون الآية وقوله مسلمات مؤمنات الآية (الترتيب) هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل فيها وصفا زائدا ومثله عبد الباقي اليمني بقوله (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) وبقوله فكذبوه فعقروها الآية (الترقي والتدلي) تقدما في نوع التقديم والتأخير (التضمين) يطلق على أشياء أحدها إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز تقدم فيه الثاني حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه وهذا نوع من الايجاز تقدم أيضا (الثالث) تعلق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل (الرابع) إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم وهذا هو النوع البديعي قال ابن أبي الأصبع ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضعين تضمنا فصلين من التوراة والانجيل قوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية وقوله محمد رسول الله الآية ومثله ابن النقيب وغيره بايداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وعن المنافقين أنؤمن كما آمن السفهاء وقالت اليهود وقالت النصارى قال وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية (الجناس) هو تشابه اللفظين في اللفظ قال في كنز البراعة وفائدته الميل إلى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق اليه وأنواع الجناس كثيرة منها التام بأن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها

وإذا عرف ما يجري اليه الكلام وينتهي اليه الخطاب ويقف عليه الأسلوب ويختص به القبيل بأن عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ولم يشك البليغ في انتمائه إلى الجهة التي ينتمي اليها ولم يرتب الاديب البارع في انتسابه إلى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسل في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجاري حركاته وأنفاسه وكذلك في الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها وتقصيها يطول وعجائبها لا تنقضي فمنها الكلام (٣) والإشارات وإذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغا ربما زاد الافهام به على الإيضاح أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كأن النهاية

كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة) قيل ولم يقع منه فى القرآن سواه واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعا آخر وهو (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الأبصار) وأنكر بعضهم كون الآية الاولى من الجناس وقال الساعة فى الموضعين بمعنى واحد (والتجنيس) أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين وزمان القيامة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخرة حقيقة وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا تعنى بليدا ومنها المصحف ويسمى جناس الخط بأن تختلف الحروف فى النقط كقوله والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ومنها المحرف بان يقع الاختلاف فى الحركات كقوله ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقد اجتمع التصحيف والتحريف فى قوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنها الناقص بان يختلف فى عدد الحروف سواء كان الحرف المزيد أولا اووسطا أوآخرا كقوله (والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلى من كل الثمرات) ومنها المذيل بأن نزيد أحدهما أكثر من حرف فى الآخر أو الاول وسمى بعضهم بالمتوج كقوله وانظر الى الهك ولكنا كنا مرسلين من آمن بالله ان ربهم بهم مذبذبين بين ذلك ومنها المضارع وهو أن يختلفا بحرف مقارب فى المخرج سواء كان فى الاول أو الوسط أو الآخر كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنها اللاحق بان يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك كقوله ويل لكل همزة لمزة وانه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير حق وبما كنتم تمرحون وإذا جاءهم أمر من الامن ومنها المرفق وهو ماتركب من كلمة وبعض أخرى كقوله جرف هار فانهار ومنها اللفظى بان يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها تجنيس القلب بان يختلفا فى ترتيب الحروف نحو فرقت بين بنى اسرائيل ومنها تجنيس الاشتقاق بان يجتمعا فى أصل الاشتقاق ويسمى المقتضب نحو فروح وريحان فأقم وجهك للدين القيم وجهت وجهى ومنها تجنيس الاطلاق بان يجتمعا فى المشابهة فقط كقوله وجنى الجنتين قال انى لعملكم من القالين ليريه كيف يوارى وان يردك بخير فلا راد اثاقلتم الى الارض أرضيتم واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض (تنبيه) لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى كقوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين قيل ما الحكمة فى كونه لم يقل وما أنت بمصدق فانه يؤدى معناه مع رعاية التجنيس (وأجيب) بان فى مؤمن لنا من المعنى ما ليس فى مصدق لان معنى قولك فلان مصدق لى قال لى صدقت وأما مؤمن فمعناه مع رعاية التصديق اعطاء الامن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الامن فلذلك عبر به وقد زل بعض الادباء فقال فى قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين لوقال وتدعون لكان فيه مراعاة التجنيس (وأجاب) الامام فخر الدين بان فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكليفات بل لاجل قوة المعانى وجزالة الالفاظ وأجاب غيره بان مراعاة المعانى أولى من مراعاة الالفاظ ولو قال أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القارىء فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفا وهذا الجواب غير ناضج وأجاب ابن الزملكانى بان التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد والاحسان لا فى مقام التهويل وأجاب الخويى بان تدع أخص من تذر بمعنى ترك الشىء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق نحو الايداع فانه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة وأما تذر فمعناه الترك مطلقا أو الترك مع الاعراض

فى معناه وذلك كقوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) فصول هذه الآية وكلماتها على ماشرحناه من قبل البلاغة واللطف فى التقديم وفى تضمن هذا الامر العظيم والمقام الكريم ويتلو هذه قوله (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) هذا خروج لو كان فى غير هذا الكلام لتصور فى صورة المنقطع وقد تمثل فى هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع مالا ينفك منه القول وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض ويظهر عليه التثبيج والتباين للخلل الواقع فى النظم وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا ولم يبن عليه تميز الخروج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر نوح وكيف أثنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها مع

والرفض الكلى قال الراغب يقال فلان يذر الشيء أى يقذفه لقلة الاعتداد به ومنه الوزرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد به ولا شك أن السياق انما يناسب هذا دون الاول فاريد هنا تبشيع حالهم فى الاعراض عن ربهم وانهم بلغوا الغاية فى الاعراض انتهى (الجمع) هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة فى حكم كقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) جمع المال والبنون فى الزينة وكذا قوله (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) (الجمع والتفريق) هو أن تدخل شيئين فى معنى وتفرق بين جهتى الادخال وجعل منه الطيبى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية جمع النفسين فى حكم التوفى ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالامساك والارسال أى الله يتوفى الانفس التى تقبض والتى لم تقبض فيمسك الاولى ويرسل الاخرى (الجمع والتقسيم) وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات (الجمع مع التفريق والتقسيم) كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه الآيات فالجمع فى قوله لا تكلم نفس الا باذنه لانها متعددة معنى اذ النكرة فى سياق النفى تعم والتفريق قوله فمنهم شقى وسعيد والتقسيم قوله فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا (جمع المؤتلف والمختلف) هو أن تريد التسوية بين الزوجين فتأتى بمعان مؤتلفة فى مدحها وتروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا تنقص الآخر فتأتى لاجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان الآية سوى فى الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم (حسن النسق) هو أن يأتى المتكلم بكلمات متتالية معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا بحيث اذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها ومنه قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآية فان جملة معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاسم الذى هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الاطلاق من سجنها ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنه اختلاف ما كان بالارض ثم الاخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذى هو متأخر عنه قطعا ثم بقضاء الامر الذى هو هلاك من قدر هلاكه ونجاة من سبق نجاته وأخر عما قبله لان علم ذلك لاهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الامن من الاضطراب ثم ختم بالدعاء على الظالمين لافادة ان الغرق وان عم الارض لم يشمل الامن استحق العذاب لظلمه (عتاب المرء نفسه) منه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى الآيات وقوله أن تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله الآيات (العكس) هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقد سئل عن الحكمة فى عكس هذا اللفظ (فاجاب) ابن المنير فائدته الاشارة الى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب الحق ان كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفى عنه الحل أما فعل المؤمنة فيحرم لانها مخاطبة وأما فعل الكافر فنفى عنه الحل باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة فليس الكفار مورد الخطاب بل الائمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك لان الشرع أمر باخلاء الوجود من المفاسدة فاتضح ان المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار والكافر نفى عنه الحل باعتبار قال ابن أبى الاصبع ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر

خروجها مخرج البروز من الكلام الاول الى ذكره واجرائه الى مدحه بشكره وكونهم من ذريته يوجب عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنته فى أن يشكروا كشكره ولا يتخذوا من دون الله وكيلا وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه اياهم من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين أهلك من عداهم به وقد عرفهم انه انما يؤاخذكم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالافضال والاحسان حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذى ولدهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم وتمردوا فى طغيانهم عاد عليهم بالتعذيب ثم ذكر الله عز وجل فى ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التى كانت لهم بكلمات قليلة فى العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل

أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فان نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى لتقديم العمل فى الأولى على الايمان وتأخيره فى الثانية عن الاسلام ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوى ومالا يستحيل بالانعكاس وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها كما تقرأ من أولها إلى آخرها كقوله تعالى كل فى فلك وربك فكبر ولا ثالث لهما فى القرآن (العنوان) قال ابن ابى الأصبع هو أن يأخذ المتكلم فى عرض فيأتى لقصد تكميله وتأكيده بامثلة فى ألفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة ومنه نوع عظيم جدا وهو عنوان العلوم بأن يذكر فى الكلام ألفاظا تكون مفاتيح العلوم ومداخل لها فمن الاول قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية فانه عنوان قصة بلعام ومن الثانى قوله تعالى انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب الآية فيها عنوان علم الهندسة فان الشكل المثلث أول الأشكال وإذا نصب فى الشمس على أى ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رءوس زواياه فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكما بهم وقوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والأرض الآيات فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة (الفرائد) هو مختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد وهى الجوهرة التى لا نظير لها تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء ومنه لفظ حصحص فى قوله الآن حصحص الحق والرفث فى قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ولفظة فزع فى قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم وخائنة الأعين فى قوله يعلم خائنة الأعين وألفاظ كقوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وقوله فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (القسم) هو أن يريد المتكلم الحلف على شىء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جار يامجرى الغزل الرقيق أو خارجا مخرج الموعظة والزهد كقوله فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون أقسم سبحانه وتعالى بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة وأجل عظمة لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيه ﷺ تعظيما لشأنه وتنويها بقدره وسيأتى فى نوع الأقسام أشياء تتعلق بذلك (اللف والنشر) هو أن يذكر شيئا أو أشياء ما تفصيلا بالنص على كل واحد أو اجمالا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به فالاجمالى كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى وإنما سوغ الإجمال فى اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل فى أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران (قلت) وقد يكون الإجمال فى النشر لافى اللف بان يؤتى بمتعدد ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما نحو حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر على قول أبى عبيدة أن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل وقد بينته فى أسرار التنزيل والتفصيلى قسمان أحدهما أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فاللوم راجع إلى البخل ومحسورا راجع إلى الإسراف لأن معناه منقطعا لاشىء عندك وقوله ألم يجدك يتيما الآيات فان قوله فاما اليتيم فلا تقهر راجع إلى

---

الكثير والكلام الطويل ثم لم يخل تضاعف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبدع تاريخ بقوله (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) ولم ينقطع بذلك الكلام وأنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه فكيف بالقاء ماليس منه فى أثنائه وطرح ما بعده فى ادراجه إلى أن خرج إلى قوله (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا) يعنى ان عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو خرج خروجا آخر إلى ذكر القرآن وعلى هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وماله من علو الشأن لا يطلب مطلبا إلا انفتح ولا يسلك قلبا إلا انشرح ولا يذهب مذهبا إلا استنار وأضاء ولا يضرب مضربا إلا بلغ فيه السماء لا تقع منه على فائـدة فقدرت أنها أقصى فرائدها إلا انصرت ولا تظفر بحكمة فظننت أنها

قوله ألم يجدك يتيما فآوى وأما السائل فلا تنهر رجع إلى قوله ووجدك ضالا فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره وأما بنعمة ربك فحدث راجع إلى قوله ووجدك عائلا فأغنى رأيت هذا المثال في شرح الوسيط للنووي المسمى بالتنقيح والثاني أن يكون على عكس ترتيبه كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الخ وجعل منه جماعة قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قالوا متى نصر الله قول الذين آمنوا ألا ان نصر الله قريب قول الرسول وذكر الزمخشري له قسما آخر كقوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله قال هذا من باب اللف وتقديره ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد من اقامة اللف على الاتحاد (المشاكلة) ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا فالأول كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ومكروا ومكر الله فإن اطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى لمشاكلة ما معه وكذا قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم سخر الله منهم إنما نحن مستهزؤون الله يستهزىء بهم ومثال التقديري قوله تعالى صبغة الله أي تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهر لهم فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة (المزاوجة) أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء أو ما جرى مجراهما كقوله

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى * أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

ومنه في القرآن آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (المبالغة) أن يذكر المتكلم وصفا فنزيد فيه حتى يكون أبلغ المعنى الذي قصده وهي ضربان مبالغة بالوصف بأن يخرج الى حد الاستحالة ومنها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ومبالغة بالصيغة وصيغ المبالغة فعلان كالرحمن وفعيل كالرحيم وفعال كالتواب والغفار والقهار وفعول كغفور وشكور وودود وفعل كحذر واشر وفرح وفعال بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار وفعل كلبد وكبر وفعلى كالعليا والحسنى وشورى والسوأى (فائدة) الأكثر على أن فعلان أبلغ من فعيل ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من الرحيم ونصره السهيلي بأنه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف فكأن البناء تضاعفت فيه الصفة وذهب ابن الأنباري إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن ورجحه ابن عسكر بتقديم الرحمن عليه وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية وذهب قطرب إلى أنهما سواء (فائدة) ذكر البرهان الرشيدي أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة ان تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها وأيضا فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي وقال الزركشي في البرهان التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع وقال في الكشاف المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وقد أورد بعض

زبدة حكمهما الا وقد أخللت ان الذي عارض القرآن بشعر امرىء القيس لأضل من حمار أهله وأحمق من هبنقة لو كان شعره كله كالأبيات المختارة التي قدمناها لأوجب البراءة من قوله

وسن كسنيق سناء وسنما ... ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

قال الأصمعي لا أدري ما السن ولا السنيق ولا التسنم وقال بعضهم السنيق أكمة وقال فيها

له قصر باعير وساقا نعامة ... كفحل الهجان القيصري العضوض

وقوله

عصافير وذبان ودود ... واجرأ من مجاجلة الذباب

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في أبيات فيها

فقد طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

وكل مكارم الأخلاق صارت ... اليه همتي وبها اكتسابي

وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط

ازمان فوها كلما نهتها ... كالمسك فاح وظل في

الفضلاء سؤالا على قوله والله على كل شيء قدير وهو أن قديرا من صيغ المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر والزيادة على معنى قادر محال اذ الايجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد (وأجيب) بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف (المطابقة) وتسمى الطباق الجمع بين متضادين في الجملة وهو قسمان حقيقي ومجازي والثاني يسمى التكافؤ وكل منهما اما لفظي أو معنوي واما طباق ايجاب أو سلب فمن أمثلة ذلك فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وانه هو اضحك وابكى وانه هو أمات وأحيى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ومن أمثلة المجازي أو من كان ميتا فأحييناه أي ضالا فهديناه ومن أمثلة طباق السلب تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فلا تخشوا الناس واخشوني ومن أمثلة المعنوي ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون معناه ربنا يعلم انا لصادقون جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء قال أبو علي الفارسي لما كان البناء رفعا للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء ومنه نوع يسمى الطباق الخفي كقوله مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا لان الغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار قال ابن منقذ وهي أخفى مطابقة في القرآن وقال ابن المعتز من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى ولكم في القصاص حياة لان معنى القصاص القتل فصار القتل سبب الحياة ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أتى بالجوع مع العري وبابه أن يكون مع الظمأ وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العري لكن الجوع والعري اشتركا في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من اللباس والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس ومنه نوع يسمى المقابلة وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب قال ابن أبي الاصبع والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين أحدهما أن الطباق لا يكون الا من ضدين فقط والمقابلة لا تكون الا بما زاد من الاربعة الى العشرة والثاني ان الطباق لا يكون الا بالأضداد والمقابلة بالاضداد وبغيرها قال السكاكي ومن خواص المقابلة انه اذا شرط في الاول أمر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى الآيتين قابل بين الاعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ولما جعل التيسير في الاول مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضدادها وقال بعضهم المقابلة اما لواحد بواحد وذلك قليل جدا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو اثنين باثنين كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا أو ثلاثة بثلاثة كقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث واشكروا لي ولا تكفرون أو أربعة بأربعة كقوله فأما من أعطى الآيتين أو خمسة بخمسة كقوله ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما الآيات قابل بين بعوضة فما فوقها وبين فأما الذين وأما الذين كفروا وبين يضل ويهدي وبين ينقضون وميثاقه وبين يقطعون وأن يوصل أو ستة بستة كقوله زين للناس حب الشهوات الآية ثم قال قل أؤنبئكم الآية قابل الجنات والانهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان بازاء النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقسم آخر المقابلة الى ثلاثة أنواع نظيري ونقيضي وخلافي مثال الأول مقابلة السنة بالنوم في الآية الأولى فانهما جميعا من باب الرقاد المقابل باليقظة في آية وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وهذا مثال الثاني فانهما نقيضان ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد في قوله (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) فانهما خلافان لا نقيضان فان نقيض

القدام
أفلا ترى أظعانهم بواكرا
كالنخل من شوكان حين صرام
وكأن شاربها أصاب لسانه
موم يخالط جسمه بسقام
وكقوله لم يفعلوا فعل آل حنظلة
أنهم جير بئسما ائتمروا
لا حميري وفى ولا عدس
ولا أست عير يحكها الثفر
ان بني عوف ابتنوا حسبا
ضيعه الداخلون اذ غدروا
وكقوله أبلغ شهابا وأبلغ
هل أتاك الخبر مال
انا تركنا منكم قتلى
بخوعى وسبيا كالسعالى
يمشين بين رحالنا
معترفات بجوع وهزال
ولم يقع مثل ذلك له وحده
فقد قال الاعشى
فأدخلك الله برد الجنان
جذلان في مدخل طيب
وقال أيضا فرميت غفلة
عينه عن شأنه
فأصبت حبة قلبها وطحالها
وقال في فرسه
ويأمر لليحموم كل عشية
بقت وتعليق فقد كاد
يسنق وقال
شأ ومشل شلو
ل شلشل شول

الشر الخير والرشد الغى (المواربة) براء مهملة وباء موحدة أن يقول المتكلم قولا يتضمن ماينكر عليه فاذا حصل الانكار استحضر بحذقه وجها من الوجوه يتخلص به امابتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص قال ابن أبى الاصبع ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق فانه قرىء ان ابنك سرق ولم يسرق فأتى بالكلام على الصحة بابدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها (المراجعة) قال ابن ابى الاصبع هى أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول جرت بينه وبين محاوره باوجز عبارة وأعدل سبك وأعذب ألفاظ ومنه قوله تعالى قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين جمعت هذه القطعة وهى بعض آية ثلاث مراجعات فيها معانى الكلام من الخبر والاستخبار والامر والنهى والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم قلت أحسن من هذا أن يقال جمعت الخبر والطلب والاثبات والنفى والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد (النزاهة) هى خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء هو الذى اذا أنشدته العذراء فى خدرها لا يقبح عليها ومنه قوله تعالى (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) ثم قال أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقبح فى الهجاء من الفحش وسائر هجاء القرآن كذلك (الابداع) بالباء الموحدة ان يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع قال ابن أبى الاصبع ولم أر فى الكلام مثل قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك فان فيها عشرين ضربا من البديع وهى سبع عشرة لفظة وذلك المناسبة التامة فى ابلعى واقلعى والاستعارة فيهما والطباق بين الأرض والسماء والمجاز فى قوله ياسماء فان الحقيقة يامطر السماء والاشارة فى وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض مايخرج منها من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الارض من الماء (والارداف) فى واستوت (والتمثيل) فى وقضى الامر (والتعليل) فان غيض الماء علة الاستواء (وصحة التقسيم) فانه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذى على ظهرها (والاحتراس) فى الدعاء لئلا يتوهم ان الغرق لعمومه يشمل من لا يستحق الهلاك فان عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق (وحسن النسق) وائتلاف اللفظ مع المعنى والايجاز فانه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة (والتسهيم) فان أول الآية يدل على آخرها (والتهذيب) لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب (وحسن البيان) من جهة ان السامع لا يتوقف فى فهم المعنى الكلام ولا يشكل عليه شىء منه (والتمكين) لان الفاصلة مستقرة فى محلها مطمئنة فى مكانها غير قلقة ولا مستدعاة (والانسجام) هذا ماذكره ابن أبى الاصبع قلت وفيها أيضا الاعتراض

* (النوع التاسع والخمسون) . فى فواصل الآى الفاصلة كلمة آخر الاية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الدانى كلمة آخر الجملة قال الجعبرى وهو خلاف المصطلح ولا دليل له فى تمثيل سيبويه بيوم يأتى وماكنا نبغ وليسا رأس آية لان مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية وقال القاضى أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفرق الدانى بين الفواصل ورءوس الآى فقال الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رءوس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة

وهذه الألفاظ فى معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه كقوله
فاقسمت جهدا بالمنازل من منى
وما سفحت فيه المقادم والقمل
كيف يقال هذا فى قصيدة يقول فيها
وهل ينبت الخطى الا وشيجة
وتغرس الافى منابتها النخل
وكقول الطرماح
سوف تدنيك من لميس سبنتاة
مارت بالبول ماء الكراض
السبنتاة الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل أسالت ماء الفحل مع البول فلم تعقد عليه ولم تحمل فتضعف والمائر السائل فان قال قائل أجدك تحاملت على امرىء القيس ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستئناس والتقارب والتباعد ورأيت الكلام الاعدل أفضل والنظام المستوثق أكمل وأنت تجد البحترى يسبق فى

رأس

رأس آية قال ولاجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى يوم يأت وما كنانبغ وليسا رأس آية باجماع مع اذايسر وهو رأس آية باتفاق وقال الجعبرى لمعرفة الفواصل طريقان توقيفى وقياسى أما التوقيفى فما ثبت أنه ﷺ وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وأما القياسى فهو ماالحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور فى ذلك لازيادة فيه ولا نقصان وانما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس الى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر وقافية البيت فى الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والاشباع والتوجيه فليس بعيب فى الفاصلة وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الارجوزة من نوع الى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى ترجعون مع عليم والميعاد مع الثواب والطارق مع الثاقب والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ومن ثم اجمع العادون على ترك عد آيات بآخرين ولا الملائكة المقربون فى النساء وكذب بها الاولون بسبحان ولتبشر به المتقين بمريم ولعلهم يتقون به ومن الظلمات الى النور وأن الله على كل شىء قدير بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه وعلى ترك عد أفغير دين الله يبغون أفحكم الجاهلية يبغون وعدوا انظائرها للمناسبة نحو بأولى الالباب بال عمران وعلى الله كذبا بالكهف والسلوى بطه وقال غيره تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لانه ينفصل عنده الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها وأخذ من قوله تعالى كتاب فصلت آياته ولا يجوز تسميتها قوافى اجماعا لان الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لانها منه وخاصة به فى الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر لانها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه وهل يجوز استعمال السجع فى القرآن خلاف الجمهور على المنع لان أصله من سجع الطير فشرف القرآن ان يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ولاجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ولان القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها قال الرمانى فى اعجاز القرآن ذهب الاشعرية الى امتناع أن يقال فى القرآن سجع وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التى تتبع المعانى ولا تكون مقصودة فى نفسها قال ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا وتبعه على ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى ونقله عن نص أبى الحسن الاشعرى وأصحابنا كلهم قال وذهب كثير من غير الاشاعرة الى اثبات السجع فى القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فصل الكلام وأنه من الاجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال وأقوى مااستدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هرون لمكان السجع قيل فى موضع هرون وموسى لما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون قالوا وهذا يفارق أمر الشعر لانه لا يجوز أن يقع فى الخطاب الا مقصودا اليه واذا وقع غير مقصود كان دون القدر الذى نسميه شعرا وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما ماجاء فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود اليه وبنوا الامر فى ذلك على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة هو موالاة الكلام على حد واحد وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه رددت صوتها قال القاضى

هـذا الميدان ويفوت الغاية فى هـذا الشأن وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه فى البلاغة على كل رأى وكذلك تجد لابى نواس من بهجة اللفظ ودقيق المعنى مايتحير فيه أهل اللفظ ويقدمه الشطار والظراف على كل شاعر ويرون لنظمه روعة لايرونها لنظم غيره وزبرجا لايتفق اسواه فكيف يعرف فضل ماسواه عليه فالجواب أن الكلام فى أن الشعر لايجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم واذ كنا قد بينا ان شعر امرىء القيس وهو كبيرهم الذى يقرون بتقدمه وشيخهم الذى يعترفون بفضله وقائدهم الذى يأتمون به وإمامهم الذى يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق منزلته عن منزلة نظم القرآن وأنه لايخلط بشعره غبار ذلك النظم وهو اذا لحظ ذلك كان كما قال

وهذا غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لان الكهانة تنافى النبوات بخلاف الشعر وقد قال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الكهان فجعله مذموما قال وما توهموا أنه سجع باطل لان مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو لان السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن من لان اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من أخل به وقع الخلل فى كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متدانى المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود قال وأما ما ذكر من تقديم موسى على هرون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح بل القاعدة فيه اعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا وذلك الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة ولهذا اعيد كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومتكررا ولو امكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لم تؤد الى تلك المعانى ونحوها فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها اظهار الاعجاز دون السجع الى أن قال فبان بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الاسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخلها فى باب السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع فقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن اه كلام القاضى فى كتاب الاعجاز ونقل صاحب عروس الافراح عنه أنه ذهب فى الانتصار الى جواز تسمية الفواصل سجعا وقال الخفاجى فى سر الفصاحة قول الرمانى إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط فانه ان أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود بتكلف فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن أراد به ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود بتكلف فذلك عيب والفواصل مثله وأظن الذى دعاهم الى تسمية جل ما فى القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض فى التسمية قريب والحقيقة ما قلناه قال والتحرير أن الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل فان قيل اذا كان عندكم ان السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعا وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع (قلنا) إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لا سيما مع طول الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منه على عرفهم فى اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لانه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة وقال ابن النفيس يكفى فى حسن السجع ورود القرآن قال ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات لان الحسن قد يقتضى المقام الانتقال الى أحسن منه وقال حازم من الناس من يكره

فاصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعجاز نجم مغرب

وكما قاله أيضا

راحت مشرقة ورحت مغربا فمتى التقاء مشرق ومغرب

واذا كنا قد أبنا فى القاعدة ما علمت وفصلنا لك فى شعره ما عرفت لم نحتج الى أن نتكلم على شعر شاعر وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا فى الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الاساليب ومزيته عليها فى النظم والترتيب وتقدمه عليها فى كل حكمة وبراعة ثم تكلمنا على التفضيل على ما شوهدت ولا يبقى علينا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت تعلم أن من يقول بتقدم البحترى فى الصنعة به من الشغل فى تفضيله على ابن الرومى أو تسوية ما بينهما مالا يطمع معه فى تقديمه على امرىء القيس ومن فى طبقته وكذلك أبو نواس انما يعدل شعره بشعر اشكاله ويقابل

تقطيع الكلام الى مقادير متناسبة الاطراف غير متقاربة فى الطول والقصر لما فيه من التكلف الا مايقع المسام به فى النادر من الكلام ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بافراغ الكلام فى قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدا ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وان كان زينة للكلام فقد يدعو الى التكلف فرأى أن لا يستعمل فى جملة الكلام وان لا يخلى الكلام منه جملة وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف قال وكيف يعاب السجع على الاطلاق وانما نزل القرآن على اساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بازاء ورود الاسجاع فى كلامهم وانما لم يجىء على اسلوب واحد لأنه لا يحسن فى الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما فى الطبع من الملال ولأن الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثلة

* ( فصل ) * الف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى كتابا سماه إحكام الرأى فى أحكام الآى قال فيه اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال وقد تتبعت الاحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الاربعين حكما أحدها تقديم المعمول إما على العامل نحو أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قيل ومنه واياك نستعين أو على معمول آخر أصله التقديم نحو لنريك من آياتنا الكبرى اذا أعربنا الكبرى مفعول نرى أو على الفاعل نحو ولقد جاء آل فرعون النذر ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ولم يكن له كفوا أحد ( الثانى ) تقديم ماهو متأخر فى الزمان نحو فلله الآخرة والاولى ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الاولى كقوله له الحمد فى الأولى والآخرة ( الثالث ) تقديم الفاضل على الافضل نحو برب هارون وموسى وتقدم مافيه ( الرابع ) تقديم الضمير على ما يفسره نحو فأوجس فى نفسه خيفة موسى ( الخامس ) تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (السادس) حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال يوم التناد (السابع) حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو والليل اذا يسر (الثامن) حذف ياء الاضافة نحو فكيف كان عذابى ونذر فكيف كان عقاب (التاسع) زيادة حرف المد نحو الظنونا والرسولا والسبيلا ومنه ابقاؤه مع الجازم نحو لاتخاف دركا ولا تخشى سنقرؤك فلا تنسى على القول بأنه نهى (العاشر) صرف مالا ينصرف نحو قواريرا قواريرا (الحادى عشر) ايثار تذكير اسم الجنس كقوله اعجاز نخل منقعر ( الثانى عشر ) ايثار تأنيثه نحو اعجاز نخل خاوية ونظير هذين قوله فى القمر وكل صغير وكبير مستطر وفى الكهف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (الثالث عشر) الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما فى السبع فى غير ذلك كقوله تعالى فأولئك تحروا رشدا ولم يجىء رشدا فى السبع وكذا وهىء لنا من أمرنا رشدا لأن الفواصل فى السورتين بحركة الوسط وقد جاء فى وان يروا سبيل الرشد وبهذا يبطل ترجيح الفارسى قراءة التحريك بالاجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة تبت يدا أبى لهب بفتح الهاء وسكونها ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهب الا بالفتح لمراعاة الفاصلة (الرابع عشر) ايراد الجملة التى ردبها ماقبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين لم يطابق بين قولهم آمنا وبين مارد به فيقول ولم يؤمنوا أو وما آمنوا لذلك (الخامس عشر) ايراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولم يقل كذبوا ( السادس عشر ) ايراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

كلامه بكلام اضرأ به من أهل عصره وانما يقع بينهم التباين اليسير والتفاوت القليل فاما ان يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض لنظم القرآن فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وانما هى خواطر يغير بعضها على بعض ويقتدى فيها بعض ببعض والغرض الذى يرمى اليه ويصح التوافى عليه فى الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع وشريعة موروردة وطريقة مسلوكة الا ترى إلى ماروى عن الحسين بن الضحاك قال أنشدت أبا نواس قصيدتى التى فيها

وشاطرى اللسان مختلق التكر يه * زان المجون بالنسك

كأنه نصب كأنه قمر * يكرع فى بعض أنجم الفلك

قال فأنشدنى أبو نواس بعد أيام قصيدته التى يقول فيها

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا * وأعربت عما فى الضمير واعربا

( السابع عشر ) ايثار أغرب اللفظين نحو قسمة ضيزى ولم يقل جائرة لينبذن فى الحطمة ولم يقل جهنم أو النار وقال فى المدثر سأصليه سقر وفى سأل انها لظى وفى القارعة فأمه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة (الثامن عشر) اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو وليذكر أولو الالباب وفى سورة طه ان فى ذلك لآيات لأولى النهى (التاسع عشر) حذف المفعول نحو فاما من أعطى واتقى ماودعك ربك وماقلى ومنه حذف متعلق افعل التفضيل نحو يعلم السر وأخفى خير وأبقى ( العشرون ) الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (الحادى والعشرون) الاستغناء به عن الجمع نحو واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل ائمة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون إن المتقين فى جنات ونهر أى أنهار ( الثانى والعشرون ) الاستغناء بالتثنية عن الافراد نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الفراء أراد جنة كقوله فان الجنة هى المأوى فثنى لأجل الفاصلة قال والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام ونظير ذلك قول الفراء أيضا فى قوله تعالى اذا انبعث أشقاها فانهما رجلان قدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال انما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف فاما أن يكون الله وعد بجنتين فتجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآى معاذ الله وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ذواتا أفنان ثم قال فيهما وأما ابن الصائغ فانه نقل عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لاجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد قال وانما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون (الرابع والعشرون) الاستغناء بالجمع عن الافراد نحو لا بيع فيه ولا خلال أى ولا خلة كما فى الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة (الخامس والعشرون) اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رأيتهم لى ساجدين كل فى فلك يسبحون ( السادس والعشرون ) إمالة مالا يمال كآى طه والنجم (السابع والعشرون) الاتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو هو القادر وعالم الغيب ومنه وما كان ربك نسيا ( الثامن والعشرون ) ايثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو ان هذا شىء عجاب أوثر على عجيب لذلك (التاسع والعشرون) الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) (الثلاثون) ايقاع الظاهر موقع المضمر نحو (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) وكذا آية الكهف (الحادى والثلاثون) وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا كان وعده مأتيا أى ساترا وآتيا ( الثانى والثلاثون) وقوع فاعل موقع مفعول نحو عيشة راضية ماء دافق ( الثالث والثلاثون ) الفصل بين الموصوف والصفة نحو أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ان أعرب أحوى صفة لمرعى أى حالا (الرابع والثلاثون) ايقاع حرف مكان غيره نحو بأن ربك أوحى لها والاصل اليها (الخامس والثلاثون) تأخير الوصف غير الابلغ عن الابلغ ومنه الرحمن الرحيم رءوف رحيم لأن الرأفة أبلغ من الرحمة (السادس والثلاثون) حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو وما لاحد عنده من نعمة تجزى ( السابع والثلاثون ) اثبات هاء السكت نحو ماليه سلطانيه ما هيه ( الثامن والثلاثون ) الجمع بين المجرورات نحو ثم لاتجد لك به علينا تبيعا فان الاحسن الفصل بينها لا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا (التاسع والثلاثون) العدول عن صيغة المضى الى صيغة الاستقبال نحو ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون والاصل قتلتم ( الاربعون ) تغيير بنية الكلمة نحو طور سينين والأصل سينا * (تنبيه) ه قال ابن الصائغ لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الاصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فان القرآن العظيم كما جاء فى الاثر لاتنقضى عجائبه

وقلت لساقيها اجزها فلم أكد
ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عنى عقارا ترى لها
الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا
اذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل فى داج من الليل كوكبا

قال فقلت له يا أبا على هذه مقالتى فقال أتظن أنه يروى لك معنى وأنا حى فتامل هذا الاخذ وهذا الوضع وهذا الاتباع أما الخليع فقد رأى الابداع فى المعنى فاما العبارات فانها ليست على ما ظنه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه احالة لأن القمر لا يصح تصورا ان يكرع فى نجم وأما قول أبى نواس اذا عب فيها فكلمة قد قصد فيها المتانة وكان سبيله أن يختار سواه من ألفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان أملح وقوله شارب القوم فيه ضرب من التكلف الذى لا بدله

﴿ فصل ﴾ قال ابن أبي الاصبع لاتخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء التمكين والتصدير والتوشيح والايغال فالتمكين ويسمى ائتلاف القافية أن يمهد الناثر للقرينة او الشاعر للقافية تمهيدا تأتى به القافية أو القرينة متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مواضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه ومن أمثلة ذلك ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك الآية فانه لما تقدم فى الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف فى الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لان الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الاموال وقوله أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى قوله أفلا تبصرون فأتى فى الآية الأولى بيهد لهم وختمها بيسمعون لان الموعظة فيها مسموعة وهى أخبار القرون وفى الثانية بيروا وختمها بيبصرون لانها مرئية وقوله لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فان اللطيف يناسب مالايدرك بالبصر والخبير يناسب مايدركه وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين فان فى هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها قبل أن يسمع آخرها فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال أملى على رسول الله ﷺ هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله خلقا آخر قال معاذ بن جبل فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ مم ضحكت يارسول الله قال بها ختمت وحكى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يكن يقرأ القرآن فقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه ﴿ تنبيهات ﴾ الأول قد تجتمع فواصل فى موضع واحد ويخالف بينها كأوائل النحل فانه تعالى بدأ بذكر الافلاك فقال خلق السموات والأرض بالحق ثم ذكر خلق الانسان من نطفة ثم خلق الانعام ثم عجائب النبات فقال هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون فجعل مقطع هذه الآية التفكر فانه استدلال بحدوث الانواع المختلفة من النبات على وجود الاله القادر المختار ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه لم لايجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لايتم الا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا فاجاب تعالى عنه من وجهين أحدهما أن تغيرات العالم السفلى مربوطة بأحوال حركات الافلاك فتلك الحركات كيف حصلت فان كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل وان كان من الخالق الحكيم فذاك اقرار بوجود الاله تعالى وهذا هو المراد بقوله (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون فجعل مقطع هذه الآية العقل وكأنه قيل ان كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الاله القادر المختار والثانى أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة ثم انا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها فى غاية الحمرة والاخر فى غاية السواد فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى الآثار فعلمنا ان المؤثر قادر مختار وهذا هو المراد من قوله (وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) كانه قيل اذكر ماترسخ فى عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره فاذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل

منه او من مثله لاقامة الوزن ثم قوله خلته يقبل فى دج من الليل كوكبا تشبيه بحالة واحدة من أحواله وهى ان يشرب حيث لاضوء هناك وانما يتناوله ليلا فليس بتشبيه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحة وقد قال ابن الرومى ما هو أوقع منه وأملح وأبدع

ومهفهف تمت محاسنه ... حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكئوس إلى مراشفه ... ونحن فى بدم إلى الحبس
أبصرته والكأس بين فم ... منه وبين أنامل خمس
وكأنها وكأن شاربها ... قمر يقبل عارض الشمس

ولا شك فى أن تشبيه ابن الرومى أحسن وأعجب إلا أنه تمكن من ايراده فى بيتين وهما مع سبقهما إلى المعنى أتيا به فى بيت واحد وانما أردت بهذا ان اعرفك أن هذه أمور متقاربة يقع فيها التنافس والتعارض والاطماع متعلقة بها والهمم تسمو اليها وهى ألف طباعنا وطوع مداركنا ومجانس

المختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكر ومن ذلك قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات فان الأولى ختمت بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم تتقون لأن الوصايا التى فى الآية الاولى انما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى لأن الاشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق احسانهما إلى الولد بكل طريق وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الاملاق مع وجود الرازق الحى الكريم وكذلك اتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب فى القاتل فحسن بعد ذلك يعقلون وأما الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية فان من علم أن له ايتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره الا بما يحب أن يعامل به أيتامه ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا بخس وكذا من وعد لو وعد لم يحب أن يخلف ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله فترك ذلك انما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله فلذلك ناسب الختم بقوله لعلكم تذكرون وأما الثالثة فلان ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد إلى غضبه وإلى عقابه فحسن لعلكم تتقون أى عقاب الله بسببه ومن ذلك قوله فى الانعام أيضا وهو الذى جعل لكم النجوم الآيات فانه ختم الأولى بقوله لقوم يعلمون والثانية بقوله لقوم يفقهون والثالثة بقوله لقوم يؤمنون وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه بيعلمون وانشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم حياة وموت والنظر فى ذلك والفكر فيه أدق فناسب ختمه بيفقهون لأن الفقه فهم الاشياء الدقيقة ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الارزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالايمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه ومن ذلك قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون حيث ختم الأولى بتؤمنون والثانية بتذكرون ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله قليلا ما تؤمنون وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فيحتاج إلى تذكر وتدبر لأن كلا منهما نثر فليست مخالفته له فى وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر وانما تظهر بتدبر ما فى القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعانى الانيقة فحسن ختمه بقوله قليلا ما تذكرون ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى فى سورة ابراهيم (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ثم قال فى سورة (النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) قال ابن المنير كانه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونه ظلوما وكونك كفارا يعنى لعدم وفائك بشكرها ولى عند اعطائها وصفان وهما انى غفور رحيم أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا أجازى جفاك إلا بالوفاء وقال غيره انما خص سورة ابراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لانه فى سورة ابراهيم فى مساق وصف الانسان وفى سورة النحل فى مساق صفات الله واثبات الوهيته ونظيره قوله تعالى فى سورة الجاثية (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) وفى فصلت ختم بقوله وما ربك بظلام للعبيد ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون فناسب الختام بفاصلة البعث لأن قبله وصفهم بانكاره وأما الثانية فالختام بما فيها مناسب لانه لا يضيع عملا صالحا ولا يزيد على من عمل سيئا وقال فى سورة النساء (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ثم أعادها وختم بقوله ومن يشرك بالله فقد

لكلامنا واعجاب قوم بنحو هذ وما يجرى مجراه وايثار أقوام لشعر البحترى على أبى تمام وعبد الصمد وابن الرومى وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن التفرقة ليس بأمر يضر بنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحترى فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرىء القيس ليزداد الناظر فى كتابنا بصيرة ويستخلص من سر المعرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقاربة ونجعل تلك القصيدة التى نذكرها أجود شعره سمعت الصاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا الفضل بن العميد يقول سمعت أبا مسلم الرستمى يقول سمعت البحترى يذكر أن أجود شعر قاله (أهلا بذلكم الخيال المقبل) قال وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول أجود شعره هو قوله فى

ضل ضلالا بعيدا ونكتة ذلك أن الأولى نزلت فى اليهود وهم الذين افتروا على الله ماليس فى كتابه والثانية نزلت فى المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد ونظيره قوله فى المائدة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ثم أعادها فقال فأولئك هم الظالمون ثم قال فى الثالثة فأولئك هم الفاسقون ونكتته أن الأولى نزلت فى أحكام المسلمين والثانية فى اليهود والثالثة فى النصارى وقيل الأولى فيمن جحد ما أنزل الله والثانية فيمن خالف مع علمه ولم ينكره والثالثة فيمن خالفه جاهلا وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف كقوله فى سورة النور ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم

(التنبيه الثانى) من مشكلات الفواصل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فإن قوله وان تغفر لهم يقتضى أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم وكذا نقلت عن مصحف أبى وبها قرأ ابن شنبوذ وذكر فى حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أى الغالب الحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن أى وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته ونظير ذلك قوله فى سورة التوبة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وفى سورة الممتحنة واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم وفى غافر ربنا وأدخلهم جنات عدن إلى قوله إنك أنت العزيز الحكيم وفى النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فإن بادىء الرأى يقتضى تواب رحيم لأن الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ومن خفى ذلك أيضا قوله فى سورة البقرة هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم وفى آل عمران (قل إن تخفوا مافى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموات ومافى الأرض والله على كل شىء قدير) فان المتبادر إلى الذهن فى آية البقرة الختم بالقدرة وفى آية آل عمران الختم بالعلم والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض ومافيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم وآية آل عمران لما كانت فى سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها بصفة القدرة ومن ذلك قوله وان من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر فى بادىء الرأى وذكر فى حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان فى حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر فى الآية وهو العصيان كما جاء فى الحديث لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا ولرص رصا وقيل التقدير حليما عن تفريط المسبحين غفورا لذنوبهم وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح باهمالهم النظر فى الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع فى مخلوقاته مما يوجب تنزيهه (التنبيه الثالث) فى الفواصل مالا نظير له فى القرآن كقوله عقب الأمر بالغض فى سورة النور إن الله خبير بما يصنعون وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة لعلهم يرشدون وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان أى لعلهم

---

الشيب زجر له لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت البحترى أعرف بشعر نفسه من غيره فنحن الآن نقول فى هذه القصيدة مايصلح فى مثل هذا قوله

أهلا بذلكم الخيال المقبل
فعل الذى نهواه أو لم يفعل
برق سرى فى بطن وجرة فاهتدت
بسناه اعناق الركاب الضلل

البيت الأول فى قبوله ذلكم الخيال ثقل روح وتطويل وحشو وغيره اصلح له وأخف منه قول الصنوبرى

أهلا بذاك الزور من زور
شمس بدت فى فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكزازة وتعود ملاحته بذلك ملوحة وفصاحته عيا وبراعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويا وتعقدا فهذا فصيل وفيه شىء آخر وهو أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال

يرشدون إلى معرفتها وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت فى أول الآية وتسمى أيضا رد العجز على الصدر وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام الأول توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة فى الصدر نحو أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والثانى أن يوافق أول كلمة منه نحو وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب قال إنى لعملكم من القالين الثالث أن يوافق بعض كلماته نحو (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا إلى قوله وقد خاب من افترى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا) وأما التوشيح فهو أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى إن الله اصطفى آدم الآية فان اصطفى لا يدل على أن الفاصلة العالمين باللفظ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لأنه يعلم أن من لوازم اصطفى شىء أن يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون وكقوله وآية لهم الليل نسلخ الاية قال ابن أبى الأصبع فان من كان حافظا لهذه السورة متفطنا إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع فى صدور الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة مظلمون لأن من أسلخ النهار عن ليلة أظلم أى دخل فى الظلمة ولذلك سمى توشيحا لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين تحوط عليهما الوشاح (وأما الإيغال) فتقدم فى نوع الإطناب

﴿(فصل)﴾ قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام مطرف ومتوازى ومرصع ومتوازن ومتماثل فالمطرف أن يختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقا فى حروف السجع نحو (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا) والمتوازى أن يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية نحو فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة والمتوازن ان يتفقا فى الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة والمرصع ان يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية كذلك نحو (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) والمتماثل ان يتساويا فى الوزن دون التقفية وتكون افراد الأولى مقابلة لما فى الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازى نحو (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا فى الحرف الأخير

﴿(فصل)﴾ بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل احدهما التشريع وسماه ابن أبى الاصبع التوأم واصله أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فاذا أسقط منها جزأ أو جزئين صار الباقى بيتا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون فى النثر بان يكون مبنيا على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاما مفيدا وان ألحقت به السجعة الثانية كان فى التمام والافادة على حاله مع زيادة معنى مازاد من اللفظ قال ابن أبى الاصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فان آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون فبأى آلاء ربكما تكذبان لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فافاد معنى زائدا من التقرير والتوبيخ قلت التمثيل غير مطابق والأولى أن يمثل بالآيات التى فى اثباتها ما يصح أن يكون فاصلة كقوله لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما وأشباه ذلك الثانى الاستلزام ويسمى لزوم مالا يلزم وهو أن يلتزم فى الشعر أو النثر حرفا اوحرفين فصاعدا قبل الروى بشرط عدم الكلفة مثال التزام حرف فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر التزم الهاء قبل الراء ومثله ألم نشرح لك صدرك الايات التزم فيها الراء

حال اقباله فأما ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه العيادة ففيه عهدة وفى تركيب الكلام عن هـــذا المعنى عقدة وهو لبراعته وحذقه فى هذه الصنعة يعلق بنحو هذا الكلام ولا ينظر فى عواقبه لأن ملاحة قوله تغطى على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور ثم قوله فعلى الذى نهواه أو لم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة ظريفة وإن كانت كسائر الكلام فأما بيته الثانى فهو عظـــيم الموقع فى البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء أنيق المنظر والمسمع يملأ القلب والفهم ويفرح الخاطر وترى بشاشته فى العروق وكان البحترى يسمى نحو هذه الابيات عروق الذهب وفى نحوه ما يدل على براعته فى الصناعة وحذقه فى البلاغة ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرونق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لاشراقـــه

قبل الكاف فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس التزم فيها النون المشددة قبل السين والليل وما وسق والقمر إذا اتسق ومثال التزام حرفين والطور وكتاب مسطور ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق ومثال التزام ثلاثة أحرف تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون (تنبيهات الأول) قال أهل البديع أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أو الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة الآية وقال ابن الأثير الاحسن فى الثانية المساواة والا فاطول قليلا وفى الثالثة أن تكون اطول وقال الخفاجى لا يجوز أن تكون الثانية اقصر من الأولى (الثانى) قالوا أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشىء وأقله كلمتان نحو يا أيها المدثر قم فانذر الآيات والمرسلات عرفا الآيات والذاريات ذروا الآيات والعاديات ضبحا الآيات والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر (الثالث) قال الزمخشرى فى كشافه القديم لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سردها على المنهج الذى يقتضيه حسن النظم والتآمه فاما أن يهمل المعانى ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة وبنى على ذلك ان التقديم فى وبالآخرة هم يوقنون ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص (الرابع) مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله انا خلقناهم من طين لازب مع قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب وقوله بماء منهمر مع قوله قد قدر وسحر مستمر وقوله وما لهم من دونه من وال مع قوله وينشىء السحاب الثقال (الخامس) كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين والحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب فى ذلك كما قال سيبويه انهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لانهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك اذا لم يترنموا وجاء فى القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع (السادس) حروف الفواصل اما متماثلة واما متقاربة فالاولى مثل والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والثانى مثل الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب قال الإمام فخر الدين وغيره فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر فى المتماثلة والمتقاربة قال وبهذا يترجح مذهب الشافعى على مذهب أبى حنيفة فى عد الفاتحة سبع آيات من البسملة وجعل صراط الذين إلى آخرها آية فان من جعل آخر الآية السادسة أنعمت عليهم مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة لا بالمماثلة ولا المقاربة ورعاية التشابه فى الفواصل لازمة (السابع) كثر فى الفواصل التضمين والايطاء لانهما ليسا بمعيبين فى النثر وان كان معيبين فى النظم فالتضمين ان يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل والايطاء تكرر الفاصلة بلفظه كقوله تعالى فى الاسراء هل كنت الا بشرا رسولا وختم بذلك الآيتين بعدها

(النوع الستون). فى فواتح السور أفردها بالتأليف ابن ابى الاصبع فى كتاب سماه الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح وأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره. اعلم ان الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شىء من السور عنها الأول الثناء عليه تعالى والثناء قسمان اثبات لصفات المدح ونفى وتنزيه من صفات النقص فالاول التحميد فى خمس سور وتبارك فى سورتين والثانى التسبيح فى سبع سور قال الكرمانى فى متشابه القرآن التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر فى بنى اسرائيل لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر لانه اسبق الزمانين ثم بالمضارع فى الجمعة

فى مسراه كما يقال انه يسرى كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك يضىء ما مر حوله وينور ما مر به وهذا غلو فى الصنعة الا ان ذكره بطن وجرة حشو وفى ذكره خلل لان النور القليل يؤثر فى بطون الأرض وما اطمأن منها بخلاف ما يؤثر فى غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده المكان على الحشو أحمد من تحديد امرىء القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربع حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسدا أو شرطه باطلا فهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الاثر ودقة المطاب ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحترى قطع الكلام الأول وابتدأ بذكر

والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها الثانى حروف التهجى فى تسع وعشرين سورة وقد مضى الكلام عليها مستوعبا فى نوع المتشابه ويأتى الالمام بمناسباتها فى نوع المناسبات الثالث النداء فى عشر سور وخمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم الاحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر وخمس بنداء الأمة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة الرابع الجمل الخبرية نحو يسألونك عن الانفال براءة من الله أتى أمر الله اقترب للناس حسابهم قد أفلح المؤمنون سورة أنزلناها تنزيل الكتاب الذين كفروا انا فتحنا اقتربت الساعة الرحمن قد سمع الله الحاقة سأل سائل انا ارسلنا نوحا لاأقسم فى موضعين عبس انا أنزلناه لم يكن القارعة الهاكم انا أعطيناك فتلك ثلاث وعشرون سورة الخامس القسم فى خمس عشرة سورة سورة أقسم فيها بالملائكة وهى والصافات وسورتان بالافلاك والبروج والطارق وست سور بلوازمها فالنجم قسم بالثريا والفجر بمبدأ النهار والشمس بآية النهار والليل بشطر الزمان والضحى بشطر النهار والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان وسورتان بالهواء الذى هو أحد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة التى هى منها أيضا وهى الطور وسورة بالنبات وهى والتين وسورة بالحيوان الناطق وهى والنازعات وسورة بالبهيم وهى والعاديات السادس الشرط فى سبع سور الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر السابع الامر فى ست سور قل أوحى اقرأ قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد قل أعوذ المعوذتين الثامن الاستفهام فى ست هل أتى عم يتساءلون هل أتاك ألم نشرح ألم تر أرأيت التاسع الدعاء فى ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت العاشر التعليل فى لايلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال وما ذكرناه فى قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر الاسبح فانه يدخل فى قسم الامر وسبحان يحتمل الامر والخبر ثم نظم ذلك فى بيتين فقال

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ... ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر والشرط والتعليل والقسم الد ... عا حروف التهجى استفهم الخبرا

(وقال) أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق فى أول الكلام لانه أول ما يقرع السمع فان كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه والا أعرض عنه ولو كان الباقى فى نهاية الحسن فينبغى أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذى لا يناسب قالوا وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله والعلم الأسنى فى سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن فانها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقى فى شعب الايمان أخبرنا أبو القاسم بن حبيب انبأنا محمد بن صالح بن هانئ انبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والانجيل والزبور الفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وقد وجه ذلك بان العلوم التى احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة علم الاصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته واليه الاشارة برب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات واليه الاشارة بالذين أنعمت عليهم ومعرفة المعاد واليه الاشارة بملك يوم الدين وعلم العبادات واليه الاشارة باياك نعبد وعلم السلوك وهو حمل النفس

برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لأن كل برق شعر وتكرر وقع الاهتداء به فى الظلام وكان لا يكون بما نظمه مفيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ومعنى مستحب غير مقصود ويعلم بمثله أنه طلب العبارات وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذى يحلو لفظه وتقل فوائده كقول القائل .

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الاباطح

على

على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية واليه الاشارة بإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه واليه الاشارة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فنبه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الالفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة وكذلك أول سورة اقرأ فانها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل فان فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الاشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفى هذه الاشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان مالم يعلم ولهذا قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله

* (النوع الحادى والستون) * فى خواتم السور هى أيضا مثل الفواتح فى الحسن لأنها آخر ما يقرع الاسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعانى البديعة مع ايذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد لأنها بين أدعية وصايا فرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الايمان المحفوظ من المعاصى المسببة لغضب الله والضلال ففصل جملة ذلك بقوله الذين أنعمت عليهم والمراد المؤمنون ولذلك أطلق الانعام ولم يقيده ليتناول كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الايمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم ثم وصفهم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدى حدوده وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا الآية والفرائض التى ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر أمر كل حى ولأنها آخر ما نزل من الاحكام وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة وكالوعد والوعيد الذى ختمت به الانعام وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الاعراف وكالحض على الجهاد وصلة الارحام الذى ختم به الانفال وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختم به يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف والوعيد والرد على من كذب الرسول الذى به ختم الرعد ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة ابراهيم هذا بلاغ للناس الآية ومثلها خاتمة الاحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو مفسر بالموت فانها فى غاية البراعة وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت باهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانظر إلى براعة آخر آية نزلت وهى قوله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وما فيها من الاشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الاشعار بالوفاة كما أخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله إذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال ما تقول يا ابن عباس قال أجل ضرب لمحمد نعيت له نفسه (وأخرج) أيضا عنه قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم ثم دعاهم ذات يوم فقال ما تقولون فى قول الله إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجانى والمواقع قليلة المعانى والفوائد فأما قول البحترى بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها
فلو أنها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة ألفاظه أوفر من معانيه وكلماته أكثر من فوائده وتعلم أن القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال هى ممنوعة مانعة كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما البيت الثانى فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت وهذا أيضا قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له

فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر انى لا أعلم منها إلا ما تقول

* ( النوع الثانى والستون ) * فى مناسبة الآيات والسور أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان فى كتاب سماه البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه نظم الدرر فى تناسب الآى والسور وكتابى الذى صنفته فى أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الاعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة فى جزء لطيف سميته تناسق الدرر فى تناسب السور وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر منه الامام فخر الدين فقال فى تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط وقال ابن العربى فى سراج المريدين ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه وقال غيره أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابورى وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسى إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام ان يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض وقال الشيخ ولى الدين الملوى قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له اه وقال الامام الرازى فى سورة البقرة ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الاسرار وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل

والنجم تستصغر الابصار صورته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

. ( فصل ) . المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلى او حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه وإما أن لا يظهر

الارتباط

بعد ذلك شىء آخر وهو تعمله للترصيع فى البيت كله إلا أن هذه الاستثناآت فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف خللا وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك قوله كالدعص غير مهيل لأنه إذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن
فيما أتاه ولا الجمال بمجمل
عذل المشوق وان من سيما الهوى
فى حيث يجهله لجاج العذل

قوله فى البيت الأول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذى قصده أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شىء آخر لأنه يذكر أن حسنها لم يحسن فى تهييج

الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به فاما أن تكون معطوفة على الاولى بحرف من حروف العطف المشركة فى الحكم أولا فان كانت معطوفة فلابد ان يكون بينهما جهة جامعة على ماسبق تقسيمه كقوله تعالى يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وقوله ويقبض ويبسط واليه ترجعون للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والارض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن اذا ذكر احكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بماسبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهى وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك وان لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب أحدها التنظير فان الحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق عقب قوله أولئك هم المؤمنون حقا فانه تعالى أمر رسوله أن يمضى لامره فى الغنائم على كره أصحابه كما مضى لامره فى خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد ان كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين فى الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكون فيما فعله من القسمة فليطيعوا ماأمروا به ويتركوا هوى أنفسهم الثانى المضادة كقوله فى سورة البقرة ان الذين كفروا سواء عليهم الآية فان أول السورة كان حديثا عن القرآن وان من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالايمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمى ويسمى بالتضاد من هــذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تتبين الأشياء فان قيل هــذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول قيل لايشترط فى الجامع ذلك بل يكفى التعلق على أى وجه كان ويكفى فى وجه الربط ماذكرنا لان القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الايمان ولهذا لما فرغ من ذلك قال وان كنتم فى ريب مما أنزلنا على عبدنا فرجع الى الأول (الثالث) الاستطراد كقوله تعالى (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله ولا الملائكة المقربون فان أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح ثم استطراد للرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة ويقرب من الاستطراد حتى لايكادان يفترقان حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدىء به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما وقد غلط أبو العلا محمد بن غانم فى قوله لم يقع منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلف وقال ان القرآن انما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال الى غير ملائم وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة مايحير العقول وانظر الى سورة الاعراف كيف ذكر فيها الانبياء والقرون الماضية والامم السالفة ثم ذكر موسى الى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لامته بقوله قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين من صفاتهم

وجده وتهييم قلبه وهذا المعنى هو الذى يميل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاجم أسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنك احسنى وبحق من
جعل الجمال عليك وقفا أجمل

وأما البيت الثانى فان قوله فى حيث حشابقوله فى ووقع ذلك مستنكرا وحشيانا فراعن طبعه جافيا فى وضعه فهو كرقعة من جلدة فى ديباج حسن فهو يمحو حسنه ويأتى على جماله ثم فى المعنى شىء لان لجاج العذل لايدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتدوا للعذل عليه فعلم ان المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لوسلم من هذا الخلل لم يكن فى البيت معنى بديع ولاشىء يفوت قول الشعراء فى العذل فان ذلك جماهم الذلول وقولهم المكرر وأماقوله

ماذا عليك من انتظار متيم

كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامى وأخذ فى صفاته الكريمة وفضائله وفى سورة الشعراء حكى قول ابراهيم ولا تخزنى يوم يبعثون فتخلص منه الى وصف المعاد بقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ وفى سورة الكهف حكى قول ذى القرنين فى السد بعد دكه الذى هو من أشراط الساعة ثم النفخ فى الصور وذكر الحشر ووصف ما للكفار والمؤمنين وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد أنك فى التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت اليه وفى الاستطراد تمر بذكر الامر الذى استطردت اليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود الى ما كنت فيه وكأنك لم تقصده وانما عرض عروضا قيل وبهذا يظهر أن مافى سورتى الاعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده فى الاعراف الى قصة موسى بقوله ومن قوم موسى أمة الخ وفى الشعراء الى ذكر الانبياء والامم ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث الى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بهذا كقوله فى سورة ص بعد ذكر الانبياء هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب فان هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الانبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ثم لما فرغ قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر النار وأهلها قال ابن الاثير هذا فى هذا المقام من الفصل الذى هو أحسن من الوصل وهى علاقة أكيدة بين الخروج من كلام الى آخر ويقرب منه أيضا حسن المطلب قال الزنجانى والطيبى وهو أن يخرج الى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله اياك نعبد واياك نستعين قال الطيبى ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معا قوله حكاية عن ابراهيم (فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين الى قوله رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين) (قاعدة) قال بعض المتأخرين الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات فى جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذى سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات فى القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام فى المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الأحكام واللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فاذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية فى كل سورة انتهى * (تنبيه). من الآيات ما اشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى فى سورة القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به الآيات فان وجه مناسبتها لاول السورة وآخرها عسر جدا فان السورة كلها فى أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة انه سقط من السورة شىء وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازى أنها نزلت فى الانسان المذكور قبل فى قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال يعرض عليه كتابه فاذا أخذ فى القراءة تلجلج خوفا فاسرع فى القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا ان نجمع عملك وان نقرأ عليك فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالاقرار بأنك فعلت ثم ان علينا بيان أمر الانسان وما يتعلق بعقوبته اه وهذا يخالف ما ثبت فى الصحيح انها نزلت فى تحريك النبى ﷺ لسانه حالة نزول الوحى عليه وقد ذكر الائمة لها مناسبات منها أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من أصل الدين أن المبادرة الى أفعال الخير مطلوبة فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الاصغاء الى الوحى وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر بان لا يبادر الى التحفظ لان تحفيظه مضمون على ربه وليصغ الى ما يرد عليه الى أن ينقضى فيتبع ما اشتمل عليه لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام الى ما يتعلق بالانسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال كلا وهى كلمة ردع كانه قال بل أنتم يا بنى آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون من كل شىء ومن ثم تحبون

بل ما يضرك وقفه فى منزل
ان سيل عنى عن الجواب فلم يطق
رجعا فكيف يكون ان لم يسئل

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماءهما وبهجتهما الا ان البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذى ذكره من الاعتصار وان كان ملجأ فى اللفظ فهو فى المعنى متكلف لان الواقف فى الدار لا ينظر أمرا وانما يقف تحسرا وتذللا وتحيرا والشطر الاخير من البيت واقع والأول مستجلب وفيه تعليق عن أمر لم يجر له ذكر لان وضع البيت يقتضى تقدم عزل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذكورا فى شعره من قبل وأما

العاجلة ومنها أن عادة القرآن اذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة اردفه بذكرى الكتاب المشتمل على الاحكام الدينية فى الدنيا التى تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا كما قال فى الكهف ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الى أن قال ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل الآية وقال فى سبحان فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم الى أن قال ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن الآية وقال فى طه يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا الى أن قال (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) (ومنها) أن أول السورة لما نزل الى ولو ألقى معاذيره صادف أنه ﷺ فى تلك الحالة بادر الى تحفظ الذى نزل حرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته فنزل لا تحرك به لسانك لتعجل به الى قوله ثم ان علينا بيانه ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدىء به قال الفخر الرازى ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلا مسئلة فتشاغل الطالب بشىء عرض له فقال له ألق الى بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسئلة فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسبا للمسئلة بخلاف من عرف ذلك (ومنها) أن النفس لما تقدم ذكرها فى أول سورة عدل الى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الاحوال (ومن ذلك) قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة الآية فقد يقال أى رابط بين أحكام الاهلة وبين حكم إتيان البيوت (وأجيب) بانه من باب الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم فى الحج كما ثبت فى سبب نزولها ذكر معه من باب الزيادة فى الجواب على ما فى السؤال كما سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته (ومن ذلك) قوله تعالى ولله المشرق والمغرب الآية فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية وقال الشيخ أبو محمد الجوينى فى تفسيره سمعت أبا الحسن الدهان يقول وجه اتصاله هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أى فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه فان لله المشرق والمغرب

• (فصل) • من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها وقد أفردت فيه جزأ لطيفا سميته مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع وانظر الى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله فلن أكون ظهيرا للمجرمين وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبى ﷺ بان لا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن اخراجه من مكة ووعده بالعود اليها لقوله فى أول السورة انا رادوه وقال الزمخشرى وقد جعل الله فاتحة سورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وذكر الكرمانى فى العجائب مثله وقال فى سورة (ص) بدأها بالذكر وختمها به فى قوله ان هو الا ذكر للعالمين وفى سورة (ن) بدأها بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وختمها بقوله إنه لمجنون ومنه مناسبة فاتحة السور لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا فى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش فقد قال الاخفش اتصالها بها من باب فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال الكواشى فى تفسير المائدة لما ختم سورة النساء بالامر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله يا أيها الذين أوفوا بالعقود وقال غيره اذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الانعام بالحمد فانه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله فانه مناسب لختام ما قبلها من قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فانه مناسب

البيت الثانى فانه معلق بالاول لا يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الآخر أفضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل مليح جدا ولا تستمر ملاحة ما قبله عليه ولا يطرد فيه المام اطراده فيه وفيه شىء آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا لان يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فأما قوله

لا تكلف لى الدموع فان لى
دمعا ينم عليه إن لم يفضل
ولقد سكنت الى الصدود من النوى
والشرى أريا عند طعم الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة
فى الرأس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم فى طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء

الختام سورة الواقعة بالامر به وكافتتاح سورة البقرة بقوله الم ذلك الكتاب فانه اشارة الى الصراط فى قوله اهذا الصراط المستقيم كانهم لما سألوا الهداية الى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذى سألتم الهداية اليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتى قبلها لان السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر فيها فى مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر أى الخير الكثير وفى مقابلة ترك الصلاة فصل أى دم عليها وفى مقابلة الرياء لربك أى لا لرضاء الناس وفى مقابلة منع الماعون وانحر وأراد به التصدق بلحم الاضاحى وقال بعضهم الترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفى صادر عن حكيم أحدها بحسب الحروف كما فى الحواميم الثانى لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة (الثالث) للتوازن فى اللفظ كآخر تبت وأول الاخلاص (الرابع) المشابهة جملة السورة لجملة الاخرى كالضحى وألم نشرح قال بعض الائمة وسورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه فى دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا أورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج فى آل عمران وما فى البقرة فذكر أنه مشروع وأمر باتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى فى آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر لان التوراة أصل والانجيل فرع لها والنبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى فى آخر الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الانبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالانبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتاب يابنى اسرائيل ياأيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الاسباب التى بين الناس وهى نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة العجيبة فى الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام فان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الامة وبها تم الدين فهى سورة التكميل لان فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذى دين ولهذا أكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد أنها آخر ما نزل فيها من اشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور الاربع المدنيات من أحسن الترتيب وقال أبو جعفر ابن الزبير حكى الخطابى أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية فى قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر الاشارة الى قوله اقرأ قال القاضى أبو بن العربى وهذا بديع جدا

* (فصل) . قال فى البرهان (ومن ذلك) افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة

ومخالف لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الالفاظ وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فأخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعانى كيف تتبع ألفاظهم وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطابهم ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن فى ذلك شىء يفوت شعر شاعر او كلام متكلم وأما قوله والشرى أرى فانه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهى كلمة ثقيلة على اللسان وهم يذمون

بما بدئت به حتى لم يكن لترد ألم في موضع الر ولا حم في موضع طس قال وذلك إن كل سورة بدئت بحرف منها فان أكثر كلماتها وحروفها مماثل له فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الواردة فيها فلو وضع ق موضع ن لعدم التناسب الواجب مراعاة في كلام الله وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقى الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والالقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك وقد تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الر مائتا كلمة أو أكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة ص على خصومات متعددة فاولها خصومة النبي ﷺ مع الكفار وقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى ثم تخاصم إبليس في شأن آدم ثم في شأن بنيه وإغوائهم والم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي بدء الميعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة وسورة الاعراف زيد فيها الصاد على ألم لما فيها من شرح القصص قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ولما فيها من ذكر فلا يكن في صدرك حرج ولهذا قال بعضهم معنى المص ألم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد راء لأجل قوله رفع السموات ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما (واعلم) أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق المص كتاب أنزل اليك الر تلك آيات الكتاب طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى طسم تلك آيات الكتاب يس والقرآن ص والقرآن حم تنزيل الكتاب ق والقرآن إلا ثلاث سور العنكبوت والروم ون ليس فيها ما يتعلق به وقد ذكرت حكمة ذلك في أسرار التنزيل وقال الحرالي في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال (واعلم) أن القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر بدأ فكان المتحلي به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل أمر فلذلك هو ﷺ قسم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكتابه كذلك وبدأ المعاد من حين ظهوره فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها وتمت عنده غاياتها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها عليه الصلاة والسلام اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح أقدام واحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة هي حروف القرآن الستة ثم وهب حرفا جامعا سابعا فردا لا ازواج له فتمت سبعة فأدنى تلك الحروف هو حرف اصلاح الدنيا فلها حرفان أحدهما حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهير منه لبعده عن تقويمها (والثاني) حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها وأصل هذين الحرفين في التوراة وتمامها في القرآن ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد (أحدهما) حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير منه لبعده عن حسناتها (والثاني) حرف الأمر الذي تصلح الاخرة عليه لتقاضيه لحسناتها وأصل هذين الحرفين في الانجيل وتمامهما في القرآن ويلي ذلك حرفا صلاح الدين (أحدهما) حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه (والثاني) حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامها في القرآن ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل

نحو هذا كما عابوا على أبي تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي
ومتى مالمته لمته وحدي

ذكر لي الصاحب بن عباد أنه جارى أبا الفضل ابن العميد في محاسن القصيدة حتى انتهى إلى هذا البيت فذكر له أن قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الحلق ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة فعلمت أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف ثم إن قوله عند أكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي من كلامه غريب في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وفجاجة وإن كان المعنى صالحا فأما قوله

وأغر في الزمن البهيم محجل
قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبني إلا أنه
في الحسن جاء كصورة في

الأعلى ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفى الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمة الآخرة والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر والنهى اللذين يبدأ أمرهما فى الدين والرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله إياك نعبد والمتشابه فى قوله وإياك نستعين ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه اه كلام الحرالى والمقصود منه هو الأخير وبقيته ينبو عنه السمع وينفر عنه القلب ولا تميل اليه النفوس وأنا استغفر الله من حكايته على انى أقول فى مناسبة ابتداء البقرة بألم أحسن ماقال وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد حيث لا يعذر أحد فى فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيله

• (فصل) • ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها وقد تقدم فى النوع السابع عشر الاشارة إلى ذلك وفى عجائب الكرمانى إنما سميت السور السبع حم على الاشتراك فى الاسم لما بينهن من المشاكل الذى اختصت به وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير فى الطول والقصر وتشاكل الكلام فى النظام (فوائد منثورة) فى المناسبات فى تذكرة الشيخ تاج الدين السبكى ومن خطه نقلت سأل الامام ما الحكمة فى افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد وأجاب بأن التسبيح حيث جاء يقدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله (وأجاب) ابن الزملكانى بأن سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء الذى كذب المشركون به النبى ﷺ وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتنزيه الله تعالى عما نسب اليه نبيه من الكذب وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحى نزلت مبينة ان الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة فى تيسير الخويى ابتدئت الفاتحة بقوله الحمد لله رب العالمين بوصف أنه مالك جميع المخلوقين وفى الانعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهى خلق السموات والأرض والظلمات والنور فى الانعام وأنزل الكتاب فى الكهف وملك مافى السموات ومافى الأرض فى سبأ وخلقهما فى فاطر لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الاتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها فى العجائب للكرمانى ان قيل كيف جاء يسئلونك أربع مرات بغير واو يسئلونك عن الأهلة يسئلونك ماذا ينفقون يسئلونك عن الشهر الحرام يسئلونك عن الخمر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسئلونك ماذا ينفقون ويسئلونك عن اليتامى ويسئلونك عن المحيض (قلنا) لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا وعن الحوادث الآخر وقع فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك (فان قيل) كيف جاء ويسئلونك عن الجبال فقل وعادة القرآن مجىء قل فى الجواب بلا فاء (أجاب) الكرمانى بأن التقدير لو سئلت عنها فقل فان قيل كيف جاء وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن بقل قلنا حذفت الإشارة إلى أن العبد فى حال الدعاء فى أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه ورد فى القرآن سورتان أولهما ياأيها الناس فى كل نصف سورة فالتى فى النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ والتى فى الثانى على شرح المعاد

• (النوع الثالث والستون) • فى الآيات المشتبهات أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائى ونظمه السخاوى وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه البرهان فى متشابه القرآن وأحسن منه درة التنزيل

هيكل

فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو غير بارع فى هذا الباب وهــذا مذموم معيب منه لأن من كان صناعته الشعر وهو يأكل به وتغافل عما يدفع اليه فى كل قصيدة واستهان بأحكامه وتجويده مــع تتبعه لأن يكون عامة مايصدر به اشعاره من النسيب عشرة أبيات وتتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الألفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل فى عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وإنه لا يقع له الخروج منه وأما قوله وأغر فى الزمن البهيم محجل فان ذكر التحجيل فى الممدوح قريب وليس بالجيد وقد يمكن أن يقال أنه إذا قرن بالأغر حسن وجرى مجراه وانخرط فى سلكه وأهوى إلى مضماره ولم ينكر لمكانه من جواره فهذا عذر والعدول عنه أحسن وإنما أراد

وغرة التأويل لأبي عبدالله الرازي وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير ولم أقف عليه وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعاني عن متشابه المثاني وفي كتاب أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الأعراف وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وفي البقرة وما أهل به لغير الله وسائر القرآن وما أهل لغير الله به أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها نحو سواء عليهم أأنذرتهم وفي يس وفي البقرة ويكون الدين لله وفي الأنفال كله لله أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا أو مفردا وفي آخر جمعا أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما وفي آخر مفكوكا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات وهذه أمثلة منه بتوجيهها قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وفي لقمان هدى ورحمة للمحسنين لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب المتقين ولما ذكر ثم الرحمة ناسب المحسنين قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفي الأعراف فكلا بالفاء قيل لأن السكنى في البقرة الإقامة وفي الأعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول إليه تعالى وقلنا يا آدم ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لأنه أعم وفي الأعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها لأن الأكل بعد الاتخاذ ومن حيث لا تعطي عموم معنى حيث شئتما قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية وقال بعد ذلك ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ففيه تقديم العدل وتأخيره والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى وذكر في حكمته أن الضمير في منها راجع في الأولى إلى النفس الأولى وفي الثانية إلى النفس الثانية فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل وقدمت الشفاعة لأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها وبين في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع منها وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده ولذلك قال في الأولى لا تقبل منها شفاعة وفي الثانية ولا تنفعها شفاعة لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تنفع المشفوع له قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون وفي إبراهيم ويذبحون بالواو لأن الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكرما في الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفي الأعراف يقتلون وهو من تنويع الألفاظ المسمى بالتفنن قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية الآية وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظ ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر المنعم عليهم حيث قال يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي الخ فناسب نسبة القول إليه تعالى وناسب قوله رغدا لأن المنعم به أتم وناسب تقديم وادخلوا الباب سجدا وناسب خطاياكم لأنه جمع كثرة وناسب الواو في وسنزيد لدلالتها على الجمع بينهما وناسب الفاء في فكلوا لأن الأكل مترتب على الدخول وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك وإذ قيل لهم وناسب ترك رغدا والسكنى تجامع الأكل فقال وكلوا وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في سنزيد ولما كان في الأعراف تبعيض الهادين بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ناسب تبعيض الظالمين بقوله الذين ظلموا منهم ولم يتقدم في البقرة مثله فترك وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم والإرسال أشد وقعا من الإنزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك وختم آية البقرة يفسقون ولا يلزم منه الظلم والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظة منها سياقه وكذا في البقرة فانفجرت وفي الأعراف انبجست لأن الانفجار أبلغ

أن يرد العجز على الصدر ويأتي بوجه في التجنيس وفيه شيء لأن ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار يعطي الأغر الأول ورائما عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقاويل الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده عجز البيت عليه وظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئا حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ونحن نجدهم إذا ارادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ما هو الا صورة وما هو الا تمثال وما هو الا دمية وما هو إلا ظبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

وافى الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على معم مخول
أخو الله للرستمين بفارس
وجدوده للتبعين بموكل
نبل المحزم مما يمدح به الخيل فهو لم يأت فيه ببديع وقوله يشد عقد حزامه داخل فى التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره لأنه يتتبع الألفاظ وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد حزامه أو يأتى بحشو آخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو آخر لا يحتاج اليه وأما البيت الثانى فمعناه أصلح من ألفاظه لأنها غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونفار وأما قوله
يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت
صيدا وينقض انقضاض الاجدل
متوجس برقيقتين كانما
تريان من ورق عليه موصل

فى كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وفى آل عمران معدودات قال ابن جماعة لأن قائلى ذلك فرقتان من اليهود احداهما قالت إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا والأخرى قالت إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة وقال أبو عبدالله الرازى إنه من باب التفنن قوله تعالى ان هدى الله هو الهدى وفى آل عمران إن الهدى هدى الله لأن الهدى فى البقرة المراد به تحويل القبلة وفى آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله لمن تبع دينكم ومعناه أن دين الله الإسلام قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وفى إبراهيم هذا البلد آمنا لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدا عند ترك هاجر واسماعيل به وهو واد فدعا بأن تصيره بلدا والثانى دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بأمنه قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وفى آل عمران قل آمنا بالله وما أنزل علينا لأن الأولى خطاب المسلمين والثانية خطاب للنبى ﷺ وإلى ينتهى بها من كل جهة وعلى لا ينتهى بها إلا من جهة واحدة وهى العلو والقرآن يأتى المسلمين من كل جهة يأتى مبلغه اياهم منها وانما أتى النبى ﷺ من جهة العلو خاصة فناسب قوله علينا ولها أكثر ما جاء فى جهة النبى صلى الله عليه وسلم بعلى وأكثر ما جاء فى جهة الأمة بالى قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها وقال بعد ذلك فلا تعتدوها لأن الأولى وردت بعد نواه فناسب النهى عن قربانها والثانية بعد أوامر فناسب النهى عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها قوله تعالى نزل عليك الكتاب وقال وأنزل التوراة والإنجيل لأن الكتاب أنزل منجما فناسب الاتيان بنزل الدال على التكرير بخلافهما فانهما أنزل دفعة قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق وفى الاسراء خشية أملاق لان الاولى خطاب للفقراء المقلين أى لا تقتلوهم من فقر بكم فحسن نحن نرزقكم ما يزول به إملاقكم ثم قال واياهم أى نرزقكم جميعا والثانية خطاب للأغنياء أى خشية فقر يحصل لكم بسببهم ولذا حسن نحن نرزقهم واياكم قوله تعالى فاستعذ بالله إنه سميع عليم وفى فصلت أنه هو السميع العليم قال ابن جماعة لان آية الاعراف نزلت أولا وآية فصلت نزلت ثانيا فحسن التعريف أى هو السميع العليم الذى تقدم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال فى المؤمنين بعضهم أولياء بعض وفى الكفار والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهودا وبعضهم مشركين فقال من بعض أى فى الشك والنفاق والمؤمنون متناصرون على دين الاسلام وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فهذه أمثلة يستضاء بها وقد تقدم منها كثير فى نوع التقديم والتأخير وفى نوع الفواصل وفى أنواع أخر

*(النوع الرابع والستون) . فى إعجاز القرآن أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابى والرمانى والزملكانى والامام الرازى وابن سراقة والقاضى أبو بكر الباقلانى قال ابن العربى ولم يصنف مثل كتابه (اعلم) أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا أخرجه البخارى قيل إن معناه أن معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها

ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة وخرقه العادة فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شىء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصى موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها اكثر لان الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا (قال فى فتح البارى) ويمكن نظم القولين فى كلام واحد فان محصلهما لا ينافى بعضه بعضا ولاخلاف بين العقلاء ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) فلو أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى (وقالوا لو أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آيات من آياته كاف فى الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الانبياء ولما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه فى قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة فى قوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الآية ثم كرر فى قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) هذا وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شىء على اطفاء نوره واخفاء أمره فلو كان فى مقدرتهم معارضته لعدلوا اليها قطعا للحجة ولم ينقل عن احد منهم أنه حدث نفسه بشىء من ذلك ولارامه بل عدلوا الى العناد تارة والى الاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الاولين كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف فى أعناقهم وسبى ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شىء واشده حمية فلو علموا ان الاتيان بمثله فى قدرتهم لبادروا اليه لانه كان أهون عليهم كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال ياعم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمد التعرض لماقاله قال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله الذى يقول حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ماتحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره قال الجاحظ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذى يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات يسيرة

ما ان يعاف قذى ولو أوردته يوما خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل مالم يقولوه بل هو منقول وفى سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجارى الوهم ويكر النظر ولولا أن الاتيان على محاسن ماقالوه فى ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نقلت لك جملة مما ذهبوا اليه فى هذا المعنى فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها فيما يحل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على أن الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة فى الحقيقة الا أن يشبه جده فى العدو بحالة انقضاض البازى والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثانى فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل

فكلما ازداد تحديا لهم بها و تقريعا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا الحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الامم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيد ويحامي عليه ويكابر فيه و يزعم أنه قد عارض وقابل و ناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمتي لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت انقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ فى تكذيبه وأسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش والعرب فى الرأى والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم فمحال أكرمك الله ان تجمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الامر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الامر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه انتهى

• (فصل) * لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز وقد خاض الناس فى ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء فزعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات وأن العرب كلفت فى ذلك مالا يطاق به وقع عجزها وهو مردود لان مالا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدى به والصواب ماقاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم وهو الالفاظ ثم زعم النظام أن اعجازه بالصرفة أى ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجى فصار كسائر المعجزات وهذا قول فاسد بدليل قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الاتيان بمثله وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وخلو القرآن من الاعجاز وفى ذلك خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن قال القاضى أبو بكر ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه قال وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول آخرين إن العجز وقع منهم وأما من بعدهم ففى قدرته الاتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به وقال قوم وجه اعجازه مافيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب وقال آخرون ما تضمنه من الاخبار عن قصص الاولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال آخرون ماتضمنه من الاخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله وقال القاضى أبو بكر وجه اعجازه مافيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج

وانما أراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لايدل عليه اللفظ وانما يجرى مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولامشاكل فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبى تمام وغيره وقطعة أبى تمام فى نهاية الحسن فى هذا المعنى والذى وقع للبحترى فى هذا البيت عندى ليس بجيد فى لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى فى عين هذه القصيدة بل وخزا فيها ووبالا عليها قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه

عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ومباين لاساليب خطاباتهم قال ولهذا لم يمكنهم معارضته
قال ولا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن من اصناف البديع التى أودعوها فى الشعر لأنه ليس مما يخرق
العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة
الرسالة والحذق فى البلاغة وله طريق تسلك فاما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى ولا امام
يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال ونحن نعتقد أن الاعجاز فى بعض القرآن أظهر وفى بعضه
أدق وأغمض وقال الامام فخر الدين وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة الاسلوب والسلامة من جميع
العيوب وقال الزملكانى وجه الاعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت
مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى وقال ابن عطية
الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه اعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة
ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شىء علما وأحاط بالكلام كله فاذا ترتبت اللفظة من القرآن علم
باحاطته أى لفظة تصلح ان تلى الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر
يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم
القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان فى قدرتها الاتيان
بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن فى قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة
حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة
أحسن منها لم يوجد ونحن يبين لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة
العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب الفصاحة
ومظنة المعارضة كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسحرة وفى معجزة عيسى بالاطباء فان الله انما جعل
معجزات الانبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون فى زمن النبى الذى أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى
فى مدة موسى الى غايته وكذلك الطب فى زمن عيسى والفصاحة فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقال حازم
فى منهاج البلغاء وجه الاعجاز فى القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع انحائها
فى جميعه استمرارا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم
لا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميع انحائها فى العالى منه إلا فى الشىء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات
الانسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة فى جميعه بل توجد فى تفاريق
واجزاء منه وقال المراكشى فى شرح المصباح الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالفكر فى علم البيان وهو
كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه
تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة اعجازه ليست مفردات ألفاظه والا لكانت
قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها والا لكان كل تأليف معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب
معجزا ولا مجرد أسلوبه والا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان
مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه أى الاسلوب فى نحو فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فاصدع
بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعرى
وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه فى احوال تركيبه وبها
أى بتلك الأحوال اعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى اعجازه دليل اجمالى وهو ان العرب عجزت عنه
وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلى مقدمته التفكر فى خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل
من المحيط بكل شىء علما وقال الاصبهانى فى تفسيره اعلم ان اعجاز القرآن ذكر من وجهين أحدهما

مدح الفرس بأنه لا يعاف
قذى من المياه إذا وردها
كأنه أراد أن يسلك مسلك
بشار فى قوله ولا يشرب
الماء الا بدم واذا كان
لهذا الباب مجانبا وعن
هذا السمت بعيدا فهلا
وصفها بعزة الشرب كما
وصفها المتنبى فى قوله
وصول إلى المستصعبات
بخيله
فلو كان قرن الشمس ماء
لاوردا
وهلا سلك فيه مسلك
القائل
وانى للماء الذى شابه
القذى
اذا كثرت وراده لعيوف
ثم قوله ولو اردته يوما
حشو بارد ثم قوله حمدويه
الاحول وحش جدا
فما امقت هذا البيت
وابغضه وما اثقله
واسخفه وانما غطى على
عينه عيبه وزين له إيراده
طمعه فى الاستطراد
وهلا طمع فيه على وجه
لا يغض من بهجة كلامه
ولا معنى ألفاظه فقد كان
يمكن ذلك ولا يتعذر فأما
قوله
ذنب كما سحب الرداء
يذب عن

اعجاز متعلق بنفسه والثانى بصرف الناس عن معارضته فالأول أما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه أما الاعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا بلسان عربى ولا بمعانيه فان كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة قال تعالى وإنه لفى زبر الأولين وما هو فى القرآن من المعارف الالهية وبيان المبدأ والمعاد والأخبار بالغيب فاعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الاخبار بالغيب اخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو اشارة فاذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشىء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد فان الخاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى خاتما وان كان العنصر مختلفا وان اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وان كان العنصر واحدا قال فظهر من هذا ان الاعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس (الأولى) ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف (والثانية) تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنثور من الكلام (والثالثة) يضم بعض ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم (والرابعة) ان يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع (والخامسة) أن يجعل مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شىء منها يدل على ذلك أنه لا يصح ان يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنبيها على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الاخر قال وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضا إذا اعتبر وذلك أنه ما من صناعة محمودة كانت أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات جميلة بدليل ان الواحد يؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه فى مباشرتها فيقبلها بانشراح صدر ويزاولها باتساع قلبه فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة لم يخف على أولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك وأى اعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت فى الظاهر عن معارضته مصروفة فى الباطن عنها اهـ وقال السكاكى فى المفتاح اعلم ان اعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة إلا باتقان علمى المعانى والبيان والتمرين فيهما وقال أبو حيان التوحيدى سئل بندار الفارسى عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه مسئلة فيها حيف على المعنى وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شىء منه إلا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس

عرف وعرف كالقناع المسبل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه والبدر فوق جبينه المتهلل

فالبيت الأول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا أنه لا يهتدى لوصل الكلام ونظام بعضه إلى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا ملح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء وقوله يذب عن عرف ليس بحسن ولا صادق والمحمود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله (فويق الأرض ليس باعزل) وأما قوله (تتوهم الجوزاء فى ارساغه) فهو تشبيه مليح ولكنه

فى طاقة البشر الاحاطة باغراض الله فى كلامه واسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده وقال الخطابى ذهب الاكثرون من علماء النظر الى أن وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان أجناس الكلام مختلفة ومراتبها فى درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز المطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود فالاول اعلاها والثانى أوسطها والثالث ادناها واقربها فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الزعورة فكان اجتماع الامرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة لنبيه صلى الله عليه وسلم وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها أن علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية واوضاعها التى هى ظروف المعانى ولا تدرك افهامهم جميع معانى الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الافضل من الاحسن من وجوهها الى أن يأتوا بكلام مثله وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم واذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما احسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه والترقى الى أعلى درجاته وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام فاما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد الا فى كلام العليم القدير فخرج من هذا أن القرآن انما صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ فى أحسن نظام والتأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيه فى صفاته ودعائه الى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وارشاد الى محاسن اخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الاعصار الآتية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه وانباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمور يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظوما ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا مع علمهم أن صاحبهم أمى وليس بحضرته من يملى أن يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ثم قال وقد قلت فى اعجاز القرآن وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة حال آخر ما يخلص منه اليه قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وقال (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) وقال ابن سراقة

لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ما قاله الشعراء فى تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الحجول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها وأمور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فتتبع ذلك فى اشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم انا تركنا بقية كلامه فى وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتا فى ذلك والذى ذكرناه فى هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يعد وما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء فى وصف الخيل علمت أنه وإن جمع فاوعى وحشر فنادى ففيهم من سبقه فى ميدانه ومنهم من ساواه فى شأوه ومنهم من داناه فالقبيل واحد والنسيج متشاكل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم فى ذلك لنقف على ما قلت فتجاوزنا الى الكلام

اختلف أهل العلم فى وجه اعجاز القرآن فذكروا فى ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معاشره فقال قوم هو الايجاز مع البلاغة وقال آخرون هو البيان والفصاحة وقال آخرون هو الوصف والنظم وقال آخرون هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى أن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان فى ذلك أبلغ دلالة على اعجازه وقال آخرون هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته وقال آخرون هو مافيه من الاخبار عن الامور الماضية وقال آخرون هو مافيه من علم الغيب والحكم على الامور بالقطع وقال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها اهـ وقال الزركشى فى البرهان أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ماسبق من الاقوال لا بكل واحد على انفراده فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التى له فى قلوب السامعين واسماعهم سواء المقر والجاحد ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضا طريا فى اسماع السامعين فى ألسنة القارئين ومنها جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج الى بيان يرجع فيه اليه كما قال تعالى (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) وقال الرمانى وجوه اعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة والتحدى للكافة والصرفة والبلاغة والاخبار عن الامور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزة قال ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذى يدور بين الناس فى الحديث فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة فى الحسن تفوق به كل طريقة ويفوق الموزون الذى هو أحسن الكلام قال وأما قياسه بكل معجزة فانه يظهر اعجازه من هذه الجهة اذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى فى ذلك سبيلا واحدا فى الاعجاز اذ خرج عن العادة فصد الخلق عن المعارضة وقال القاضى عياض فى الشفا اعلم ان القرآن منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن (والثانى) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له قال وكل واحد من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافا لمن زعم أن الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب (الوجه الثالث) ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد (الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ومن الوجوه فى اعجازه غير ذلك آى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلون فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا) فما تمناه أحد منهم وهذا

على ماقاله فى المدح هذه القصيدة قال لمحمد بن على الشرف الذى لا يلحظ الجوزاء الا من عل وسحابة لولا تتابع مزنها فينا لراح المزن غير مبخل والجود يعذله عليه حاتم

البيت الاول منقطع عما سرقا ولا جود لمن لم يعذل قبله على ماوصفنا به شعره من قطعة المعانى وفصله بينها وقلة تأتيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان فى الصناعة وتخلف فى البراعة وهذا اذا وقع فى مواضع قليلة عذر فيها وأما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذر له وأما المعنى الذى ذكره فليس بشىء ماسبق اليه وهو شىء مشترك فيه وقد قالوا فى نحوه وأن يجده سماء السماء وقالوا فى نحوه الكثير الذى يصعب نقل جميعه وكما قال المتنبى

وعزمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

وحدثنى اسمعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل

الوجه داخل فى الوجه الثالث ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التى تعتريهم
عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبى ﷺ يقرأ
فى المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون)
كاد قلبى أن يطير قال وذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبى وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا
بالتصنيف ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه
ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة
وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف ﷺ القرآن بانه لا يخلق
على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها احد فى كلمات قليلة
وأحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل فى بلاغته فلا يجب أن يعد فنا مفردا فى اعجازه قال والأوجه التى
قبله تعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الأربعة الأول فليعتمد عليها
(تنبيهات) الأول اختلف فى قدر المعجز من القرآن فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن
والآيتان السابقتان ترده وقال القاضى يتعلق الاعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبثا بظاهر قوله
بسورة وقال فى موضع آخر يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة
قال فاذا كانت آية بقدر حروف سورة وان كان كسورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على
عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر وقال قوم لا يحصل الاعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة
وقال آخرون يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين قال القاضى
ولا دلالة فى الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة (الثانى)
اختلف فى أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة قال القاضى فذهب أبو الحسن الأشعرى إلى أن ظهور
ذلك على النبى ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال قال والذى نقوله ان الاعجمى
لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فاما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العرب
وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الاتيان بمثله (الثالث) اختلف
فى تفاوت القرآن فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه فى أعلى مراتب البلاغة بحيث لا يوجد فى
التراكيب ما هو أشد تناسبا ولا اعتدالا فى افادة ذلك المعنى منه فاختار القاضى المنع وان كل كلمة فيه
موصوفة بالذروة العليا وان كان بعض الناس أحسن احساسا له من بعض واختار أبو نصر القشيرى
وغيره التفاوت فقال لا ندعى ان كل ما فى القرآن على أرفع الدرجات فى الفصاحة وكذا قال غيره فى
القرآن الافصح والفصيح وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم أورد سؤالا وهو أنه لم لم يأت
القرآن جميعه بالافصح (وأجاب) عنه الصدر موهوب الجزرى بما حاصله انه لو جاء القرآن على ذلك
لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الافصح والفصيح فلا تتم الحجة فى الاعجاز فجاء
على نمط كلامهما المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا اتيت بما لا قدرة لنا على جنسه كما
لا يصح من البصير ان يقول للاعمى قد غلبتك بنظرى لانه يقول له انما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على
النظر وكان نظرك أقوى من نظرى وأما إذا فقد أصل النظر فكيف تصح منى المعارضة (الرابع) قيل
الحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان
القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل فى صورة الحق
والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه
ولاجل شهرة الشعراء بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية فى أكثر الأمر إلى البطلان والكذب

ابن العميد قام لرجل ثم
قال لمن حضره أندرى
من هذا هو الذى قال فى
أبيه البحترى (لمحمد بن
القاسم الشرف الذى)
فذلك يدل على استعظامه
البيت بما مدح به من
البيت والبيت الثانى
فى تشبيه جوده بالسحاب
قريب وهو حديث
مكرر ليس ينفك مديح
شاعر منه وكان من
سبيله أن يبدع فيه زيادة
ابداع كما قد يقع لهم فى
نحو هذا ولكنه لم يتصنع
له وأرسله ارسالا وقد
وقع فى المصراع الثانى
ضرب من الخلل وذلك
أن المزن انما يبخل إذا
منع نيله فذلك موجود
فى كل نيل ممنوع وكلاهما
محمود مع الاسعاف فان
أسعف احدهما ومنع
الآخر لم يمكن التشبيه
وان كان انما شبه غالب
أحدهما بالآخر وذكر
قصور أحدهما عن
صاحبه حتى أنه قد يبخل
فى وقت والآخر لا يبخل
بحال فهذا جيد وليس
فى حمل الالفاظ على

شعرية وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره وأما ما وجد فى القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعرا لأن شرط الشعر القصد ولو كان شعرا لكان كل من انفق له فى كلامه شىء موزون شاعرا فكان الناس كلهم شعراء لأنه قل أن يخلو كلام احد عن ذلك وقد ورد ذلك على الفصحاء فلو اعتقدوه شعرا لبادروا إلى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا أحرص شىء على ذلك وانما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى فى الانسجام وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا وقيل الرجز لا يسمى شعرا أصلا وقيل أقل ما يكون من الرجز شعرا أربعة ابيات وليس ذلك فى القرآن بحال (الخامس) قال بعضهم التحدى انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على اساليبه وانما ذكروا فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز وقال غيره بل وقع للجن أيضا والملائكة منويون فى الآية لانهم لا يقدرون أيضا على الاتيان بمثل القرآن وقال الكرمانى فى غرائب التفسير انما اقتصر فى الآية على ذكر الانس والجن لانه ﷺ كان مبعوثا إلى الثقلين دون الملائكة (السادس) سئل الغزالى عن معنى قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (فاجاب) الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كلام مختلف أى لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة أو هو مختلف الدعوى أى بعضه يدعو الى الدين وبعضه يدعو الى الدنيا وهو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه وكلام الله منزه عن هذه الاختلافات فانه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله آخره وعلى درجة واحدة فى غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين وكلام الآدميين تتطرق اليه هذه الاختلافات إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم اختلاف فى درجات الفصاحة بل فى أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين ولا يتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والاشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء فى كل واد يهيمون فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن ويسمونه حزما وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ولا ينفك كلام آدمى عن هذه الاختلافات لأن منشأها اختلاف الأغراض بالأحوال والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه وتتعذر عليه عند الانقباض وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشىء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك اختلافا فى كلامه بالضرورة فلا يصادف انسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة وهى مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد ولقد كان النبى ﷺ بشرا تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (السابع) قال القاضى فان قيل هل تقولون ان غير القرآن من كلام الله معجز كالتوراة والانجيل قلنا ليس شىء من ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وانما لم يكن معجزا لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التحدى اليه كما وقع فى القرآن ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الاعجاز وقد ذكر ابن جنى فى الخاطريات فى قوله قالوا

الاشارة إلى هذا شىء والبيت الثالث وان كان معناه مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين وأما قوله

فضل وإفضال وما أخذ المدى

بعد المدى كالفاضل المتفضل

سار إذا أدلج العفاة إلى الندى

لا يصنع المعروف غير معجل

فالبيت الأول منقطع عما قبله وليس فيه شىء غير التجنيس الذى ليس ببديع لتكرره على كل لسان وقوله ما أخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول القائل

فدار كب الآلة بعد الآلة

وروى الحالة بعد الحالة

وكقول امرىء القيس

(سمو حباب الماء حالا على حال)

ولكنها طريقة مذللة فهو فيها تابع وأما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظ

(ياموسى اما ان تلقى واما أن نكون أول من ألقى) ان العدول عن قوله وإما أن تلقى لغرضين أحدهما لفظي وهو المزاوجة لرءوس الآى والآخر معنوى وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة انفس السحرة واستطالتهم على موسى فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه فى اسنادهم الفعل اليه ثم أورد سؤالا وهو انا لا نعلم ان السحرة لم يكونوا أهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام (وأجاب) بأن جميع ماورد فى القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية انما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم ولهذا لا يشك فى أن قوله تعالى (قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) ان هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم (الثامن) قال البارزى فى أول كتابه أنوار التحصيل فى أسرار التنزيل اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بالفاظ بعضها أحسن من بعض وكذلك كل واحد من جزأى الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ولا بد من استحضار معانى الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الالفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الاحوال وذلك عتيد حاصل فى علم الله فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه وان كان مشتملا على الفصيح والافصح والمليح والأملح ولذلك أمثلة منها قوله تعالى (وجنى الجنتين دان) لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين ومن جهة ان الثمر لا يشعر بمصيره الى حال يجنى فيها ومن جهة مؤاخاة الفواصل ومنها قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) أحسن من التعبير بتقرأ لثقله بالهمزة ومنها لا ريب فيه احسن من لا شك فيه لثقل الادغام ولهذا كثر ذكر الريب ومنها ولا تهنوا احسن من ولا تضعفوا لخفته ووهن العظم منى احسن من ضعف لان الفتحة اخف من الضمة ومنها آمن اخف من صدق ولذا كان ذكره اكثر من ذكر التصديق وآثرك الله اخف من فضلك وآتى اخف من اعطى وانذر اخف من خوف وخير لكم اخف من افضل لكم والمصدر فى نحو هذا خلق الله يؤمنون بالغيب اخف من مخلوق والغائب ونكح اخف من تزوج لأن فعل اخف من تفعل ولهذا كان ذكر النكاح فيه اكثر ولاجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحب والمقت فى اوصاف الله تعالى مع أنه لا يوصف بها حقيقة لأنه لو عبر عن ذلك بالفاظ الحقيقة لطال الكلام كان يقال يعامله معاملة المحب والماقت فالمجاز فى مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره وابتنائه على التشبيه البليغ فان قوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) احسن من فلما عاملونا معاملة الغضب أو فلما اتوا الينا بما يأتيه المغضب اه (التاسع) قال الرمانى فان قال قائل فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة قيل لا يجوز فيها ذلك من قبل ان التحدى قد وقع بها فظهر العجز عنها فى قوله فأتوا بسورة فلم يخص بذلك الطوال دون القصار فان قال فانه يمكن فى القصار ان تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة قيل له لا من قبل ان المفحم يمكنه أن ينشىء بيتا واحدا ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون فلو ان مفحما رام ان يجعل بدل قوافى قصيدة رؤبة

وقاتم الاعماق خاوى المخترق ٭ مشتبه الاعلام لماع الخفق

. بكل وفد الريح من حيث انخرق .

فجعل بدل المخترق الممزق وبدل الخفق الشفق وبدل انخرق انطلق لا مكنه ذلك ولم يثبت له به قول الشعر ولا معارضة رؤبة فى هذه القصيدة عند احد له ادنى معرفة فكذلك سبيل من غير الفواصل

. (النوع الخامس والستون) . فى العلوم المستنبطة من القرآن قال تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) وقال ﷺ ستكون فتن قيل وما المخرج

محمود وأما قوله

عال على نظر الحسود كانما
جذبته أفراد النجوم بأحبل

أو ما رأيت المجد ألقى رحله
فى آل طلحة ثم لم يتحول

فالبيت الأول منكر جدا فى جر النجوم بالارسان ووضعه إلى العلو والتكلف فيه واقع والبيت الثانى أجنبى عنه بعيد منه وافتتاحه ردىء وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف والبيتان أجنبيان من كلامه غريبان فى قصيدته ولم يقع له فى المدح فى هذه القصيدة شىء جيد ألا ترى أنه قال بعد ذلك

نفسى فداؤك يا محمد من فتى
يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى

إنى أريد أبا سعيد والعدى
بينى وبين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وربيعة

منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم أخرجه الترمذي وغيره وأخرج سعيد ابن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخرين وقال البيهقي يعني أصول العلم واخرج البيهقي عن الحسن قال أنزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه جميع ماتقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قلت ويؤيد هذا قوله ﷺ إني لا أحل إلا ما أحل الله ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الام وقال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله وقال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى اخرجهما ابن أبي حاتم وقال الشافعي أيضا ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها فان قيل من الأحكام ما يثبت ابتداء بالسنة قلنا ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة لأن كتاب الله اوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله وقال الشافعي مرة بمكة سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله فقيل له ماتقول في المحرم يقتل الزنبور فقال بسم الله الرحمن الرحيم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وحدثنا) سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وحدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور وأخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت له إنه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدته أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانه قد نهى عنه وحكى ابن سراقة في كتاب الاعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله فقيل له فأين ذكر الخانات فيه فقال في قوله (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) فهي الخانات قال ابن برهان ما قال النبي ﷺ ما من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه وكذا كل ما حكم به أو قضى به وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه وقال غيره ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى ان بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله في سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده وقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك

الخابور توعدني وأزد الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فثنه
لأخيك من ادد أبيك بمنصل

البيت الأول حسن المعنى وان كانت ألفاظه ذكر الاماكن لا يتأتى فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن ايراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله

إذا غضبت عليك بنو تميم
رأيت الناس كلهم غضابا

والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فثنه لأخيك من أدد أبيك ومن آخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف يقول

يتناول الروح البعيد مناله
عفوا ويفتح في القضاء المقفل

من

من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها وضروب الافعال واللازم والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر فاجروا الاول على حكمه وأوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره واعتنى الاصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم باصول الدين وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهى والنسخ الى غير ذلك من أنواع الاقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الاحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضا وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الاشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التى تقلقل قلوب الرجال والرجال تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف فى البقرات السمان وفى منامى صاحبى السجن وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب فان عسر فمن الحكم والأمثال ثم نظروا إلى اصطلاح العوام فى مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذى أشار اليه القرآن بقوله وأمر بالعرف وأخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه أحكام الوصايا ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادى والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب والاطناب والايجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع ونظر فيه أرباب الاشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التى أخذتها الملة الاسلامية منه وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الاوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهى قوله تعالى (وكان بين ذلك قواما)

بابانة فى كل حتف مظلم
وهداية فى كل نفس مجهل
ماض وان لم تمضه يد فارس
بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ولا له بهجة نظمه لظهور أثر التكلف عليه وتبين ثقل فيه وأما القضاء المقفل وفتحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعارة لو لم يستعرها كانت أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبى تمام قوله

فضربت الشتاء فى أخدعيه
ضربة غادرته عودا ركوبا

وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع فى أخدعيه وقد اتبعه البحترى فى استعارة الاخدع ولوعا باتباعه فقال فى الفتح

وانى وقد بلغتنى الشرف العلا
واعتقت من ذل المطامع أخدعى

ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تابعه حين

وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى (شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب وشفاء الصدور وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات وأما الهندسة ففي قوله انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب الآية وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئا كثيرا ومناظرة ابراهيم نمروذ ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم وأما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعض وأما النجامة ففي قوله أو اثارة من علم فقد فسره بذلك ابن عباس وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة اليها كالخياطة في قوله وطفقا يخصفان والحدادة آتوني زبر الحديد وألنا له الحديد الآية والبناء في آيات والنجارة واصنع الفلك بأعيننا والغزل نقضت غزلها والنسج كمثل العنكبوت اتخذت بيتا والفلاحة أفرأيتم ما تحرثون الآيات والصيد في آيات والغوص كل بناء وغواص وتستخرجوا منه حلية والصياغة واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا والزجاجة صرح ممرد من قوارير المصباح في زجاجة والفخارة فأوقد لي ياهامان على الطين والملاحة أما السفينة الآية والكتابة علم بالقلم والخبز أحمل فوق رأسي خبزا والطبخ بعجل حنيذ والغسل والقصارة وثيابك فطهر قال الحواريون وهم القصارون والجزارة إلا ما ذكيتم والبيع والشراء في آيات والصبغ صبغة الله جدد بيض وحمر والحجارة وتنحتون من الجبال بيوتا والكيالة والوزن في آيات والرمي ومارميت اذ رميت وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء اه كلام المرسي ملخصا وقال ابن سراقة من بعض وجوه اعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب له الموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله وأن القرآن ليس من عنده اذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة وقال الراغب إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مختتمة وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه التي أولاها أولئك كما نبه عليه بقوله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وجعل من معجزة الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم بحيث تقصر الالباب البشرية عن احصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) فهو وان كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه

كالبدر من حيث التفت رأيته * يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال قيل لموسى عليه السلام ياموسى انما مثل كتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته وقال القاضي ابو بكر ابن العربي في قانون التأويل علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط وهذا مالا يحصى ولا يعلمه إلا الله قال وأم علوم القرآن ثلاثة توحيد

حسن عند هذه اللفظة لخبيث مارد وردي معاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا في النفس المجهل الذي لا يهتدي اليه وليس في هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شيء لأن السلاح وان كان معيبا فانه يهتدي إلى النفس وكان يجب أن يبدع في هذا ابداع المتنبي في قوله

كأن الهام في الهيجا عيون
وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم
فما يخطرن الا في فؤاد

فالاهتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن وفي البيت الأول شيء آخر وذلك أن قوله ويفتح في القضاء في هذا الموضع حشو ردي يلحق بصاحبه اللكنة ويلزمه الهجنة وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الأبيات وان كان ذكر

وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والاحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهى والندب ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لان فيها الاقسام الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الاقسام الثلاثة وهو التوحيد وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والاخبار والديانات ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لانها تشمل التوحيد كله وقال على بن عيسى القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا الاعلام والتشبيه والأمر والنهى والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعليم الاقرار بسم الله وبصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بانعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين والبيان عن الرغبة والرهبة والخير والشر والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الأبرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع والبيان عن ذم الاخلاق وشرف الآداب وقال شيذله وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التى قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها فان القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسئلة هى أصل الا وفى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما فى الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخالق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الامم السالفة كقصة آدم مع ابليس فى اخراجه من الجنة وفى الولد الذى سماه عبد الحارث ورفع ادريس واغراق قوم نوح وقصة عاد الاولى والثانية وثمود والناقة وقوم يونس وقوم شعيب الاولين والآخرين وقوم لوط وقوم تبع وأصحاب الرس وقصة ابراهيم فى مجادلته قومه ومناظرته نمروذ ووضعه ابنه اسماعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت وقصة الذبيح وقصة يوسف وما أبسطها وقصة موسى فى ولادته والقائه فى اليم وقتل القبطى ومسيره الى مدين وتزوجه بنت شعيب وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه الى فرعون وخروجه واغراق عدوه وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة وقصة القتيل وذبح البقرة وقصته مع الخضر وقصته فى قتال الجبارين وقصة القوم الذين ساروا فى سرب من الارض الى الصين. قصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته وقصة القوم الذين خرجوا فرارا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم وقصة ذى القرنين ومسيره الى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السد وقصة أيوب وذا الكفل والياس وقصة مريم وولادتها عيسى وارساله ورفعه وقصة زكريا وابنه يحيى وقصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الرقيم وقصة بخت نصر وقصة الرجلين اللذين لاحدهما الجنة وقصة أصحاب الجنة وقصة مؤمن آل يس وقصة أصحاب الفيل وفيه من شأن النبى صلى الله عليه وسلم دعوة ابراهيم به وبشارة عيسى وبعثه وهجرته ومن غزواته سرية ابن الحضرمى فى البقرة وغزوة بدر فى سورة الانفال وأحد فى آل عمران وبدر الصغرى فيها والخندق فى الاحزاب والحديبية فى الفتح والنضير فى الحشر وحنين وتبوك فى حجة الوداع فى المائدة ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه وقصة الافك وقصة الاسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود اياه وفيه بدء خلق الانسان الى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد وصعودها الى السماء وفتح الباب للمؤمنة والقاء الكافرة وعذاب القبر والسؤال فيه ومقر الارواح وأشراط الساعة الكبرى وهى نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وأحوال البعث من النفخات الثلاث نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام والحشر والنشر وأهوال الموقف وشدة حر الشمس وظل العرش والميزان والحوض والصراط

الفارس حشو او تكلفا ولغوا لان هذا لا يتغير بالفارس والراجل على أنه ليس فيه بديع وأما قوله :

يغشى الوغى والترس ليس بجنة
من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقد يبرى بأول ضربة
ما أدركت ولو أنها فى يذبل

البيتان الأولان من الجنس الذى يكثر كلامه عليه وهى طريقه الذى يجتنبها وذلك من السبك الكتابى والكلام المعتدل الا أنه لم يبدع فيها بشيء وقد زيد عليه فيها ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات فى وصف السيف فليس من حكمه أن يأتى بأشياء منقولة وأمور مذكورة وسبيله أن يغرب ويبدع كما أبدع المتنبى فى قوله

سله الركض بعد وهن بنجد
فتصدى للغيث أهل الحجاز

هـــذا فى باب صقاله وأضـــوائه وكثرمائه وكقوله
ريان لو قذف الذى اسقيته لجرى من المهـجات بحر مزبد
وقوله مصـــغ الى حكم الردى إن تأملته مقلوب كان ينبـــغى أن يقول يصغى الردى الى حكمه كما قال الآخر
(فالسيف يأمر والاقدار تنتظر)
وقوله وإذا اقضى لم يعدل متـكرر على ألسنتهم فى الشعر خاصـــة فى نفس هـــذا المعنى والبيت الثالث ســـليم وهو كالاولين فى خـــلوه عن البديع فأما قوله
فاذا أصاب فـكل شيء مقتل
فاذا اصيب فما له مـــن مقتل
وكانما سود النمال وحمرها دبت بأيدى قراه وأرجل
البيت الاول يقصد به صنيعة اللفظ وهـو فى المعـــنى متفاوت لان المضرب قـــد لا يكون مقتلا وقديطلق الشعراء ذلك ويرون أن هـــذا

والحساب لقوم ونجاة آخرين منه وشهادة الاعضاء وايتاء الـكتب بالايمان والشمائل وخلف الظهر والشفاعة والمقام المحمود والجنة وأبوابها وما فيها من الانهار والاشجار والثمار والحلى والاوانى ورؤيته تعالى والنار وأبوابها ومافيها من الاودية وأنواع العقاب وألوان العذاب والزقوم والحميم وفيه جميع اسمائه تعالى الحسنى كما ورد فى حديث ومن أسمائه مطلقا ألف اسم ومن اسماء النبى صلى الله عليه وسلم جملة وفيه شعب الايمان البضع والسبعون وشرائع الاسلام الثلاثمائة وخمسة عشر وفيه أنواع الـكبائر وكثير من الصغائر وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبى ﷺ الى غير ذلك مما يحتاج شرحه الى مجلدات وقد أفرد الناس كتبا فيما تضمنه القرآن من الاحكام كالقاضى اسمعيل وأبى بكر ابن العلاء وأبى بكر الرازى والـكيا الهراسى وأبى بكر بن العربى وعبد المنعم بن الفرس وابن خويز منداد وافرد آخرون كتبا فيما تضمنه من علم الباطن وأفرد ابن برجان كتابا فيما تضمنه من معاضدة الاحاديث وقد ألفت كتابا سميته الاكليل فى استنباط التنزيل ذكرت كل ما كلما استنبط منه من مسئلة فقهية أو أصولية أو اعتقادية وبعضا مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجرى مجرى الشرح لما أجملته فى هذا النوع فلراجعه من أراد الوقوف عليه

. (فصل). قال الغزالى وغيره آيات الاحكام خمسمائة آية وقال بعضهم مائة وخمسون قيل ولعل مرادهم المصرح به فان آيات القصص والامثال وغيرها يستنبط منها كثير من الاحكام قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتاب الامام فى أدلة الاحكام معظم آى القرآن لاتخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة واخلاق جميلة ثم من الآيات ماصرح فيه بالاحكام ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط إما بلا ضم الى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الـكفار من قوله وامرأته حمالة الحطب وصحة صوم الجنب من قوله فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الآية وإما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر قوله وحمله وفصاله فى عامين قال ويستدل على الاحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر وتارة بالاخبار مثل أحل لكم حرمت عليكم الميتة كتب عليكم الصيام وتارة بما رتب عليها فى العاجل أو الآجل من خير أو شر أو نفع أو ضر وقد نوع الشارع فى ذلك أنواعا كثيرة ترغيبا للعباد وترهيبا وتقريبا الى افهامهم فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو احبه أو أحب فاعله أو رضى به أو رضى عن فاعله أو وصفه بالاستقامة او البركة أو الطيب أو اقسم به أو بفاعله كالاقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين وبالنفس اللوامة أو نصبه سببا لذكره لعبده أو لمحبته أو الثواب عاجل أو آجل أو لشـكره له ولهدايته اياه أو لارضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتـكفير سيآته أو بقبوله أو لنصرة فاعله او بشارته أو وصف فاعله بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفا أو نفى الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالامن أو نصب سببا لولايته أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله أو وصفه بكونه قربة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه او نفى محبته أو محبة فاعله أو الرضى به أو عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الانبياء منه أو ابغضوه أو جعل سببا لنفى الفلاح أو لعذاب عاجل آجل أو الذم أو لوم أو ضلالة أو معصية أو وصف بخبث أو رجس أو نجس أو بكونه فسقا أو اثما أو سببا لاثم أو رجس او لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حد من الحدود أو قسوة أو خزى أو ارتهان نفس أو لعداوة الله ومحاربته أو لاستهزائه أو سخريته أو جعله الله سببا لنسيانه فاعله أو وصف نفسه بالصبر عليه او بالحلم او بالصفح عنه اودعا الى التوبة منه او وصف فاعله بخبث او احتقار او نسبه الى عمل

الشيطان أو تزيينه أو تولى الشيطان لفاعله أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلماأو بغياأو عدوانا أو اثما أو مرضا أو تبرأ الانبياء منه أو من فاعله أو شكوا الى الله من فاعله أو جاهر وا فاعله بالعداوة أو نهوا عن الاسى والحزن عليه أو نصب سببا لخيبة فاعله عاجلا أو آجلا أو رتب عليه حرمان الجنة ومافيها أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو بأن الله عدوه أو اعلم فاعله بحرب من الله ورسوله أو حمل فاعله اثم غيره أو قيل فيه لاينبغى هذا أو لا تكون أو امره بالتقوى عند السؤال عنه أو امره بفعل مضاده أو بهجر فاعله أو تلا عن فاعليه فى الآخرة أو تبرؤ بعضهم عن بعض أو دعا بعضهم على بعض أو وصف فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله فى شىء أو ليس من الرسول وأصحابه او جعل اجتنابه سببا للفلاح أو جعله سببا لايقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين أو قيل هل أنت منته أو نهى الانبياء عن الدعاء لفاعله أو رتب عليه ابعادا أو طردا أو لفظة قتل من فعله أو قاتله الله أو اخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر اليه ولا يزكيه ولا يصلح عمله ولا يهدى كيده أو لا يفلح أو قيض له الشيطان أو جعل سببا لازاغة قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل فهو دليل على المنع من الفعل ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة وتستفاد الاباحة من لفظ الاحلال ونفى الجناح والحرج والاثم والمؤاخذة ومن الاذن فيه والعفو عنه ومن الامتنان بما فى الاعيان من المنافع ومن السكوت عن التحريم ومن الانكار على من حرم الشىء من الاخبار بأنه خلق أو جعل لنا والاخبار عن فعل من قبلنا غير ذام عليه فان اقترن باخباره مدح دل على مشروعيته وجوبا أو استحبابا اه كلام الشيخ عز الدين وقال غيره قد يستنبط من السكوت وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا وقال إنه مخلوق وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا ولم يقل إنه مخلوق ولما جمع بينهما غاير فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان

• (النوع السادس والستون) . فى أمثال القرآن افرده بالتصنيف الامام أبو الحسن الماوردى من كبار اصحابنا قال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون) واخرج البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعلموا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا الامثال قال الماوردى من اعظم علم القرآن علم أمثاله والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام وقال غيره قد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال ثم معرفة ماضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه وقال الشيخ عز الدين انما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا وعظا فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام وقال غيره ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها اثبت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض فى المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالمشاهد وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الاجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الامر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر او ابطاله قال تعالى (وضربنا لكم الامثال) فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد قال الزركشى فى البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة وقال الزمخشرى التمثيل انما يصار اليه لكشف المعانى وادناء المتوهم من الشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا

ابدع من قول المتنبى وأنه بضده
يقتل السيف فى جسم القتيل به
وللسيوف كما للناس آجال
وهذه طريقة لهم يتمدحون بها فى قصف الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفى قوله واذا اصيب فما له من مقتل تعسف لانه يريد بذلك أنه لا يتكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذى ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذى عليه الجلة ماحكيناه عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان يقصف فى الفارس السمهرى وصد . ر الحسام فريقا فريقا والبيت الثانى ايضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وأما تصنيعه بسود النمال وحمرها فليس بشىء ولعله اراد بالحمر الذر والتفصيل بارد والاغراب به منكر وهو كما حكى عن بعضهم

كان الممثل به كذلك وقال الاصبهانى لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالحق فى ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق تريك المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفى ضرب الامثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة وقمع لضرره الجامع الابى فانه يؤثر فى القلوب مالا يؤثر وصف الشىء فى نفسه ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الامثال ومن سورة الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفشت فى كلام النبى ﷺ وكلام الانبياء والحكماء

( * فصل ) . أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به وكامن لاذكر للمثل فيه فمن أمثلة الاول قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نار الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين مثلا بالنار ومثلا بالمطر اخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله المنافقين كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفىء فلما ماتوا اسلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوأه وتركهم فى ظلمات يقول فى عذاب أو كصيب هو المطر ضرب مثله فى القرآن فيه ظلمات يقول ابتلاء ورعد وبرق وتخويف يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقون فى الاسلام عزا طمأنوا فان أصاب الاسلام نكبة قاموا فأبوا ليرجعوا الى الكفر كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية ومنها قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية اخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض وهو اليقين كما يجعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه فى النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وأخرج عن عطاء قال هذا مثل ضربه الله المؤمن والكافر واخرج عن قتادة قال هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله وكما مكث هذا الماء فى الارض فأمرعت وربت بركته واخرجت نباتها وكذلك الذهب والفضة حين ادخل النار فاذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين ادخل فى النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله ومنها قوله تعالى والبلد الطيب الآية اخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمرها طيب والذى خبث ضرب مثلا للكافر كالبلد السبخة المالحة والكافر هو الخبيث وعمله خبيث ومنها قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية أخرج البخارى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم ولا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شىء فقال يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أى عمل قال ابن عباس لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق اعماله ( واما الكامنة ) فقال الماوردى سمعت ابا اسحق ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت أبى يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت انك تخرج امثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كتاب الله خير الامور اوساطها قال نعم فى اربعة مواضع قوله تعالى (لافارض ولا بكر عوان بين ذلك) وقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) (قلت) فهل تجد فى كتاب الله من جهل شيئا

عاداه

أنه قال كان كذا حين كان الثريا بحذاء رأسى على سوه أو منحرفا قدر شبر أو نصف شبر أو أصبع أو مايقارب ذلك فقيل له هذا من الورع الذى يبغضه الله ويمقته الناس ورب زيادة كانت نقصانا وصفه النمل بالسواد والحمرة فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت فى قوله (دبت بأيد فى قراه وارجل وكان يكفى ذكره الارجل عن ذكر الايدى ووصف الفرند بدب النمل شىء لايشذ عن أحد منهم وأما قوله

وكان شاهره اذا استضوى به الز . حفان يعصى بالسماك الاعزل

حملت حمائله القديمة بقلة من عهد عاد غضة لم تذبل

البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من اشعارهم والفاظهم وانما يقول قمر يشد على الرجال بكوكب فجعل ذلك

عاداه قال نعم فى موضعين (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) قلت فهل تجد فى كتاب الله احذر شر من أحسنت اليه قال نعم (وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) (قلت) فهل تجد فى كتاب الله ليس الخبر كالعيان فى قوله تعالى (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) (قلت) فهل تجد فى الحركات البركات قال فى قوله تعالى (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) (قلت) فهل تجد كما تدين تدان قال فى قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به (قلت) فهل تجد فيه قولهم حين تقلى تدرى قال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (قلت) فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل (قلت) فهل تجد فيه من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير (قلت) فهل تجد فيه قولهم لا تلد الحية الا حيية قال قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا (قلت) فهل تجد فيه للحيطان آذان قال وفيكم سماعون لهم (قلت) فهل تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم قال من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا (قلت) فهل تجد فيه الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام لا يأتيك الا جزافا قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ولا يسبتون لا تأتيهم (فائدة) عقد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الآداب بابا فى ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعى المسمى بارسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ذلك بما قدمت يداك قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر ولا يحيق المكر السيء الا بأهله قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم كل نفس بما كسبت رهينة ما على الرسول الا البلاغ ما على المحسنين من سبيل هل جزاء الاحسان إلا الاحسان كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة آلآن وقد عصيت قبل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير كل حزب بما لديهم فرحون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وقليل من عبادى الشكور لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ظهر الفساد فى البر والبحر ضعف الطالب والمطلوب لمثل هذا فليعمل العاملون وقليل ما هم فاعتبروا يا أولى الابصار) فى ألفاظ أخر

(النوع السابع والستون) * فى أقسام القرآن أفرده ابن القيم بالتصنيف فى مجلد سماه التبيان والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قسما وان كان فيه اخبار بشهادة لانه لما جاء توكيد للخبر سمى قسما وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان الأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده (وأجيب) بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا أرادت أن تؤكد أمرا وأجاب أبو القاسم القشيرى بان الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال أشهد انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقال قل أى وربى انه لحق وعن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق صرخ وقال من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع الآية المذكورة بقوله قل أى وربى لتبعثن قل بلى وربى فوربك لنحشرنهم والشياطين فوربك لنسئلنهم أجمعين فلا وربك لا يؤمنون فلا أقسم برب المشارق والمغارب والباقى كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى فلا أقسم بالخنس فان قيل كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهى عن

---

الكوكب السماك واحتاج الى أن يجعله أعزل للقافية ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرا له لان هذه الصفة فى هذا الموضع نقضه من الموضع وموضع التكلف الذى ادعيناه الحشو الذى ذكره من قوله إذا استضوى به الزحفان وكان يكفى أن يقول كان صاحبه يعصى بالسماك وهذا وان كان قد تعمل فيه للفظ فهو لغو على ما بيناه وأما البيت الثانى ففيه لغو من جهة قوله حماله قديمة ولا فضيلة له فى ذلك ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل النذل لان العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذى هو بالعى أشبه منه بالفصاحة والى اللكنة أقرب منه الى البراعة وقد بينا ان مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه

القسم بغير الله (قلنا) اجيب عنه باوجه احدها انه على حذف مضاف أى ورب التين ورب الشمس وكذا الباقى (الثانى) ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرآن على مايعرفون (الثالث) ان الاقسام انما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شىء فوقه فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارىء وصانع وقال ابن أبى الاصبع فى أسرار الفواتح القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل (واخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال ان الله يقسم بماشاء من خلقه وليس لاحد أن يقسم الا بالله وقال العلماء أقسم الله تعالى بالنبى ﷺ فى قوله لعمرك لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ماخلق الله ولاذرأ ولابرأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وماسمعت الله أقسم بحياة احد غيره قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقال أبو القاسم القشيرى القسم بالشىء لايخرج عن وجهين اما لفضيلة أو لمنفعة فالفضيلة كقوله وطور سينين وهذا البلد الامين والمنفعة نحو والتين والزيتون وقال غيره وأقسم الله تعالى بثلاثة أشياء بذاته كالآيات السابقة وبفعله نحو والسماء وما بناها والارض وماطحاها ونفس وماسواها وبمفعوله نحو والنجم اذا هوى والطور وكتاب مسطور والقسم إما ظاهر كالآيات السابقة وإما مضمر وهو قسمان دلت عليه اللام نحو لتبلون فى أموالكم وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم الاواردها تقديره والله وقال أبو على الفارسى الالفاظ الجارية مجرى القسم ضربان أحدهما ماتكون كغيرها من الاخبار التى ليست بقسم فلاتجاب بجوابه كقوله (وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ورفعنا فوقكم الطور خذوا فيحلفون له كما يحلفون لكم) فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما وأن يكون حالا لخلوه من الجواب والثانى مايتلقى بجواب القسم كقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) وقال غيره أكثر الاقسام فى القرآن المحذوفة الفعل لاتكون الا بالواو فاذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله وأقسموا بالله يحلفون بالله ولاتجد الباء مع حذف الفعل ومن ثم كان خطأ من جعل قسما بالله ان الشرك لظلم بما عهد عندك بحق ان كنت قلته فقد علمته وقال ابن القيم اعلم أنه سبحانه وتعالى يقسم بامور على أمور وانما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فالقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله (فورب السماء والارض انه لحق) واما على جملة طلبية كقوله (فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون) مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق القسم فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه وذلك كالأمور الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها فاما الامور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولايقسم عليها وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولاينعكس وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ويحذفه أخرى كما يحذف جواب لو كثيرا للعلم به والقسم لما كان يكثر فى الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عوض من الباء الواو فى الاسماء الظاهرة والتاء فى اسم الله تعالى كقوله (وتالله لأكيدن أصنامكم) قال ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على أصول الايمان التى تجب على الخلق معرفتها تارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة يقسم على حال الانسان فالاول كقوله (والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد) والثانى (فلاأقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) والثالث كقوله (يس والقرآن الحكيم انك لمن

عما لابد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه وقد أطلت عليك فيما نقلت وتكلفت ماسطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع وأصل الباب فى الشعر على أن ينظر الى جملة القصة ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد يقصد تارة الى تحقيق الأغراض وتصوير المعانى التى فى النفوس ولكنه يلحق بأصل بابه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان أردت أن تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا فى ذلك بما يقع اليك أن كنت من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك فى السيف وذكر لى بعض أهل الأدب ان أحسن قطعة فى السيف قول أبى الهول

المرسلين والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى) الآيات والرابع كقوله والذاريات إلى قوله (إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع) والمرسلات إلى قوله إنما توعدون لواقع والخامس كقوله والليل إذا يغشى إلى قوله ان سعيكم لشتى الآيات والعاديات إلى قوله أن الإنسان لربه لكنود والعصر ان الإنسان لفى خسر الخ والتين إلى قوله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) الآيات لا أقسم بهذا البلد إلى قوله لقد خلقنا الإنسان فى كبد قال وأكثر مايحذف الجواب إذا كان فى نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه فان المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله ص والقرآن ذى الذكر فان فى المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد ومايحتاجون اليه والشرف والقدر مايدل على المقسم عليه وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ولهذا قال كثيرون إن تقدير الجواب أن القرآن لحق وهذا يطرد فى كل ماشابه ذلك كقوله ق والقرآن المجيد وقوله لا أقسم بيوم القيامة فانه يتضمن اثبات المعاد وقوله والفجر الآيات فانها زمان تتضمن أفعالا معظمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبودية محضة لله تعالى وذل وخضوع لعظمته وفى ذلك تعظيم ماجاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام قال ومن لطائف القسم قوله (والضحى والليل إذا سجى) الآيات أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه فى الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجاجه

• (النوع الثامن والستون) . فى جدل القرآن أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفى قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة ومامن برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين (أحدهما) بسبب ماقاله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (والثانى) أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذى لا يعرفه الا الأقلون ولم يكن ملغزا فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليها مايقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أنبائها مايربى على ماأدركه فهم الخطباء وقال ابن أبى الأصبع زعم الجاحظ أن المذهب الكلامى لايوجد منه شىء فى القرآن وهو مشحون به وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على مايريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام (ومنه نوع منطقى) تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة فان الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات قوله ذلك بأن الله هو الحق لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون الا الحق فالله هو الحق وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأحوال التى يقبلها الله من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شىء ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيى الموتى وأخبر أنه على كل شىء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولا يقدر على ذلك الا من هو على كل شىء قدير فهو على كل

---

الحميرى

حاز صمصامة الزبيدى من بين جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خير ماأطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين برديه حد من زعاف تميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت له الزعاف القيون
فاذا ماشهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الأبصار كالقبس المشعل لاتستقيم فيه العيون
وكأن الفرند والرونق الجارى فى صفحته ماء معين
نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيجاء يعصى به ونعم القرين
مايبالى إذا انتحاه لضرب أشمال سطت به أم يمين

وإنما وازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره ومن

شيء قدير وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وضرب لذلك مثلا بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجد بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب حتى انقلب الخبر عيانا صدق خبره في الإتيان بالساعة ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة فهي آتية لا ريب فيها وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور وقال غيره استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني ضروب (أحدها) قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون كما بدأنا أول خلق نعيده أفعيينا بالخلق الأول) (ثانيها) قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى قال تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر الآية (ثالثها) قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات (رابعها) قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر (وقد روى) الحاكم وغيره ان أبي بن خلف جاء بعظم ففته فقال أيحيي الله هذا بعد ما بلي ورم فأنزل الله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث (ثم زاد) في الحجاج بقوله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما (خامسها) في قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى) الآيتين وتقريرها أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة اليه والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف إذ كان الاختلاف مركوزا في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها صح ضرورة ان لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير اليها فقال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون كذا قرره ابن السيد ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار اليها في قوله (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولكان العجز يلحقهما أو احدهما وذلك لأنه لو أراد احدهما إحياء جسم وأراد الآخر اماتته فاما أن تنفذ ارادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل ان فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف وما ان لا تنفذ ارادتهما فيؤدي الى عجزهما أو لا تنفذ إرادة احدهما فيؤدي إلى عجزه والاله لا يكون عاجزا

*(فصل)* من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر والتقسيم ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيتين فان الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال (إن الخلق لله) تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكر تم أي ما علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا

هو في مضماره أوفى منزلته ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على أسراره والوقوع على مقداره شيء وإن كان عزيزا وأمر وإن كان بعيدا فهو سهل على أهله مستجيب لأصحابه مطيع لأربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وإنما يتفق الشبهة في ترتيب الحال بين البحتري وأبي تمام وابن الرومي وغيره ونحن وإن كنا نفضل البحتري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة الفاظه وقلة تعقد قوله والشعر قبيل ملتمس مستدرك وأمر ممكن منطبع ونظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم أو يسمو اليه الفكر أو يطمع فيه طامع أو يطلبه طالب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكنت قد ذكرت لك قبل هذا أنك إن كنت بصنعة

فبطل مافعلوه من تحريم بعض فى حالة وبعض فى حالة لان العلة على ما ذكر تقتضي اطلاق التحريم والاخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك لانه لم يأت اليهم رسول قبل النبى صلى الله عليه وسلم واذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو ان ماقالوه افتراء على الله وضلال ومنها القول بالموجب قال ابن أبى الاصبع وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه وقال غيره هو قسمان احدهما ان تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم فتثبتها لغير ذلك الشىء كقوله تعالى (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ولله العزة) الآية فالاعز وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم اخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله فى الرد عليهم صفة العز لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون فكأنه قيل صحيح ذلك ليخرجن الاعز منها الاذل لكن هم الاذل المخرج والله ورسوله الاعز المخرج والثانى حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ولم أر من أورد له مثالا من القرآن وقد ظفرت بآية منه وهى قوله تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم) ومنها التسليم وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المعنى ليس مع الله من اله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى الها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل اله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض الهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال ومنها الاسجال وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) فان فى ذلك أسجالا بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ومنها الانتقال وهو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير الذى كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الاول كما جاء فى مناظرة الخليل الجبار لما قال له ربى الذى يحيى ويميت فقال الجبار أنا أحيى وأميت ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل عليه السلام الى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه فقال (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتى بها من المشرق لان من هو أسن منه يكذبه ومنها المناقضة وهى تعليق أمر على مستحيل اشارة الى استحالة وقوعه كقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) ومنها مجاراة الخصم ليعثر بان يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته والزامه كقوله تعالى (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) الآية فقولهم ان نحن الا بشر مثلكم الآية فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مرادا بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافى أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة

* (النوع التاسع والستون) * فيما وقع فى القرآن من الاسماء والكنى والالقاب فى القرآن من أسماء الانبياء والمرسلين خمس وعشرون هم مشاهيرهم (آدم) أبو البشر ذكر قوم أنه أفعل وصف مشتق من الأدمة ولذا امتنع الصرف قال الجواليقى أسماء الانبياء كلها أعجمية الا أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد وأخرج ابن أبى حاتم من طريق أبى الضحى عن ابن عباس قال انما سمى آدم

علم اللسان متدربا وفيه متوجها متقدما أمكنك الوقوف على ماذكرنا والنفوذ فيما وصفنا والا فاجلس فى مجلس المتقلدين وارض بمواقف المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السحر من غير معرفة بأسباب هذه الأمور ومقدماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير اهتداء فيها ولكل شىء طريق يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك وأغمض وأدق وألطف وتصوير مافى النفس وتشكيل مافى القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح فللاشارات أيضا مراتب وللسان منازل رب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لا تخالف

لأنه خلق من أديم الأرض وقال قوم هو اسم سرياني أصله آدام بوزن خاتام عرب بحذف الثانية وقال الثعلبي التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به قال ابن أبي خيثمة عاش تسعمائة سنة وستين سنة وقال النووي في تهذيبه اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة (نوح) قال الجواليقي أعجمي معرب زاد الكرماني ومعناه بالسريانية الشاكر وقال الحاكم في المستدرك انما سمي نوحا لكثرة بكائه على نفسه واسمه عبد الغفار قال وأكثر الصحابة على انه قبل ادريس وقال غيره هو نوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها وفتح الشين المعجمة واللام بعدها معجمة ابن اخنوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة وهو ادريس فيما يقال وروى الطبراني عن أبي ذر قال قلت يارسول الله من أول الانبياء قال آدم قلت ثم من قال نوح، بينهما عشرون قرنا وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون وفيه عنه مرفوعا بعث الله نوحا لاربعين سنة فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذكر ابن جرير ان مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما وفي التهذيب للنووي انه أطول الانبياء عمرا (ادريس) قيل انه قبل نوح قال ابن اسحاق كان ادريس أول بني آدم أعطي النبوة وهو اخنوخ ابن يرادبن مهلاييل بن أنوش ابن قينان بن شيث بن آدم وقال وهب بن منبه ادريس جد نوح الذي يقال له خنوخ وهو اسم سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف وفي المستدرك بسند واه عن الحسن عن سمرة قال كان نبي الله ادريس أبيض طويلا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت أحد عينيه أعظم من الأخرى وفي صدره نكتة بياض من غير برص فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله رفعه إلى السماء السادسة فهو حيث يقول ورفعناه مكانا عليا وذكر ابن قتيبة أنه رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة وفي صحيح ابن حبان انه كان نبيا رسولا وأنه أول من خط بالقلم وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان فيما بين نوح وادريس ألف سنة (ابراهيم) قال الجواليقي هو اسم قديم ليس بعربي وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها ابراهيم وقالوا ابراهام وقرئ به في السبع وابراهم بحذف الياء وابرهم وهو اسم سرياني معناه أب رحيم وقيل مشتق من البرهمة وهي شدة النظر حكاه الكرماني في عجائبه وهو ابن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون ومهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ابن راغو بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ابن عابر بمهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن ارفخذ بن سام بن نوح قال الواقدي ولد ابراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم وفي المستدرك من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة قال اختتن ابراهيم بعد عشرين ومائة سنة ومات ابن مائتي سنة وحكى النووي وغيره قولا انه عاش مائة وخمسة وسبعين سنة (اسماعيل) قال الجواليقي ويقال بالنون آخره قال النووي وغيره هو أكبر ولد ابراهيم (اسحاق) ولد بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة وذكر أبو علي بن مسكوية في كتاب نديم الفريد ان معنى اسحاق بالعبرانية الضحاك (يعقوب) عاش مائة وسبعا وأربعين سنة (يوسف) في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعا ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وفي المستدرك عن الحسن ان يوسف ألقي في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد الثمانين وتوفي وله مائة وعشرون وفي الصحيح انه أعطي شطر الحسن قال بعضهم وهو مرسل لقوله تعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن افرائيم

فيه ورب وصف يربو عليه ويتعــداه ورب وصف يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم إلى صحة واتقان وحسن واحسان وإلى اجمال وشرح وإلى استيفاء وتقريب وإلى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل فوصف الجملة الواقعة كقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) والتفسير كقوله )ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) إلى آخر الآيات في هذا المعنى وكنحو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) هذا مما يصور الشيء على جهته ويمثل اهوال ذلك اليوم ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة كقوله حكاية

ابن يوسف بن يعقوب ويشبه هذا ما فى العجائب للكرمانى فى قوله ويرث من آل يعقوب ان الجمهور
على أنه يعقوب بن ماثان وان امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان قال والقول بأنه
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم غريب اه وما ذكر انه غريب هو المشهور والغريب الأول ونظيره
فى الغرابة قول نوف البكالى ان موسى المذكور فى سورة الكهف فى قصة الخضر ليس هو موسى بنى
اسرائيل بل موسى بن ميشا بن يوسف وقيل بن افرائيم بن يوسف وقد كذبه ابن عباس فى ذلك وأشد من
ذلك غرابة ما حكاه النقاش والماوردى أن يوسف المذكور فى سورة غافر من الجن بعثه الله رسولا
اليهم وما حكاه ابن عسكر ان عمران المذكور فى آل عمران هو والد موسى لا والد مريم وفى يوسف ست
لغات بتثليث السين مع الواو والهمزة والصواب انه عجمى لا اشتقاق له ( لوط ) قال ابن اسحق هو
لوط بن هاران بن آزر وفى المستدرك عن ابن عباس قال لوط ابن أخى ابراهيم ( هود ) قال كعب
كان أشبه الناس بآدم وقال ابن مسعود كان رجلا جلدا أخرجهما فى المستدرك وقال ابن هشام اسمه
عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح وقال غيره الراجح فى نسبه أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حاوذ بن عاد بن
عوص بن أرم بن سام بن نوح ( صالح ) قال وهب هو ابن عبيد بن حاير بن ثمود بن حاير بن سام بن نوح
بعث إلى قومه حين راهق الحلم وكان رجلا أحمر الى البياض سبط الشعر فلبث فيهم أربعين عاما وقال
نوف الشامى صالح من العرب لما أهلك الله عادا عمرت ثمود بعدها فبعث الله اليهم صالحا غلاما شابا
فدعاهم إلى الله حين شمط وكبر ولم يكن بين نوح وابراهيم نبى الا هود وصالح أخرجهما فى المستدرك
وقال ابن حجر وغيره القرآن يدل على أن ثمودا كان بعد عاد كما كان عاد بعد قوم نوح وقال الثعلبى
ونقله عنه النووى فى تهذيبه ومن خطه نقلت هو صالح بن عبيد بن أسيف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن
ثمود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بعثه الله إلى قومه وهو شاب وكانوا عربا منازلهم بين الحجاز
والشام فأقام فيهم عشرين سنة ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ( شعيب ) قال ابن اسحاق
هو ابن ميكاييل بن يشجن بن لاوى بن يعقوب ورأيت بخط النووى فى تهذيبه ابن ميكاييل بن يشجن
ابن مدين بن ابراهيم الخليل كان يقال له خطيب الأنبياء وبعث رسولا إلى امتين مدين وأصحاب الايكة
وكان كثير الصلاة وعمى فى آخر عمره واختار جماعة ان مدين وأصحاب الايكة امة واحدة قال ابن كثير
ويدل لذلك ان كلا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان فدل على انهما واحد واحتج الأول بما أخرجه عن
السدى وعكرمة قالا ما بعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة إلى مدين فاخذهم الله بالصيحة ومرة الى أصحاب
الايكة فاخذهم الله بعذاب يوم الظلة ( وأخرج ) ابن عساكر فى تاريخه من حديث عبد الله بن عمرو
مرفوعا ان قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا قال ابن كثير وهو غريب وفى رفعه
نظر قال ومنهم من زعم انه بعث إلى ثلاث أمم والثالثة أصحاب الرس (موسى) هو ابن عمران بن يصهر
ابن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليهما السلام لا خلاف فى نسبه وهو اسم سريانى (وأخرج) أبو الشيخ
من طريق عكرمة عن ابن عباس قال انما سمى موسى لأنه ألقى بين شجر وماء فالماء بالقبطية مو والشجر
سا وفى الصحيح وصفه بأنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة قال الثعلبى عاش مائة وعشرين سنة
( هرون ) أخوه شقيقه وقيل لأمه فقط وقيل لأبيه فقط حكاهما الكرمانى فى عجائبه كان أطول منه
فصيحا جدا مات قبل موسى وكان ولد قبله بسنة وفى بعض أحاديث الاسراء وصعدت الى السماء
الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود تكاد لحيته تضرب سرته من طولها فقلت
ياجبريل من هذا قال المحبب فى قومه هرون بن عمران وذكر ابن مسكويه ان معنى هرون بالعبرانية
المحبب ( داود ) هو ابن ايشا بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ابن عوبد بوزن جعفر

عن السحرة لما توعدهم
فرعون بما توعدهم به
حين آمنوا قالوا (إنا إلى ربنا
لمنقلبون إنا نطمع أن يغفر
لنا ربنا خطايانا أن كنا
اول المؤمنين) وقال فى
موضع آخر (إنا إلى ربنا
منقلبون وما تنقم منا الا
أن آمنا بآيات ربنا لما
جاءتنا ربنا أفرغ علينا
صبرا وتوفنا مسلمين) هذا
ينبئ عن كلام الحزين
لما ناله الجازع لما مسه
ومن باب التسخير
والتكوين قوله تعالى
(انما أمره اذا أراد شيئا
أن يقول له كن فيكون)
وقوله (قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين) وكقوله (فأوحينا
إلى موسى أن اضرب
بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم)
وتقصى أقسام ذلك مما
يطول ولم أقصد استيفاء
ذلك وانما ضربت لك
المثل بما ذكرت لتستدل
واشرت اليك بما اشرت
لتتأمل وانما اقتصرنا على
ذكر قصيدة البحترى
لان الكتاب يفضلونه على
اهل دهره ويقدمونه

بمهملة وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن نخشون بن عمى بن يارب بتحتية وآخره موحدة بن رام بن خضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارص بفاء وآخره مهملة ابن يهوذا بن يعقوب وفى الترمذى انه كان أعبد البشر وقال كعب كان أحمر الوجه سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق وجمع بين النبوة والملك وقال النووى قال أهل التاريخ عاش مائة سنة مدة ملكه منها أربعون سنة وكان له اثنا عشر ابنا (سليمان) ولده قال كعب كان أبيض جسيما وسيما وضيئا جميلا خاشعا متواضعا وكان أبوه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه لوفورة عقله وعلمه (وأخرج) ابن جبير عن ابن عباس قال ملك الأرض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر قال أهل التاريخ ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ومات وله ثلاث وخمسون سنة (أيوب) قال ابن اسحاق الصحيح أنه كان من بنى اسرائيل ولم يصح فى نسبه شئ الا أن اسم أبيه أبيض وقال ابن جرير هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن اسحاق وحكى ابن عساكر ان أمه بنت لوط وأن أباه ممن آمن بابراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن أبى خيثمة كان بعد سليمان ابتلى وهو ابن سبعين وكانت مدة بلائه سبع سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ثلاث سنين وروى الطبرانى أن مدة عمره كانت ثلاثا وتسعين سنة (ذو الكفل) قيل هو ابن أيوب فى المستدرك عن وهب ان الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذو الكفل وأمر بالدعاء إلى توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وفى العجائب للكرمانى قيل هو الياس وقيل هو يوشع بن نون وقيل هو نبى اسمه ذو الكفل وقيل كان رجلا صالحا تكفل بأمور فوفى بها وقيل هو زكريا فى قوله وكفلها زكريا انتهى وقال ابن عساكر قيل هو نبى تكفل الله له فى عمله بضعف عمل غيره من الانبياء وقيل لم يكن نبيا وان اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل وقيل إنه يصلى كل يوم مائة ركعة وقيل هو اليسع وان له اسمين (يونس) هو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور ووقع فى تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه قال ابن حجر وهو مردود بما فى حديث ابن عباس فى الصحيح ونسبه إلى أبيه قال فهذا أصح قال ولم أقف فى شئ من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل إنه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس روى ابن أبى حاتم عن أبى مالك انه لبث فى بطن الحوت أربعين يوما وعن جعفر الصادق سبعة أيام وعن قتادة ثلاثة وعن الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمزة مع القراءة المشهورة بضم النون مع الواو وقال أبو حيان وقرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس ويوسف أراد ان يجعلهما عربيين مشتقين من أنس وأسف وهو شاذ (الياس) قال ابن اسحق فى المبدا هو ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هرون أخى موسى بن عمران وقال ابن عساكر حكى القتبى انه من سبط يوشع وقال وهب انه عمر كما عمر الخضر وانه يبقى إلى آخر الزمان وعن ابن مسعود ان الياس هو ادريس وسيأتى قريبا والياس بهمزة قطع اسم عبرانى وقد زيد فى آخره ياء ونون فى قوله تعالى (سلام على إلياسين) كما قالوا فى ادريس ادراسين ومن قرأ آل ياسين فقيل المراد آل محمد (اليسع) قال ابن جبير هو ابن اخطوب بن العجوز قال والعامة تقرأه بلام واحدة مخففة وقرأ بعضهم والليسع بلامين بالتشديد فعلى هذا هو عجمى وكذا على الأولى وقيل عربى منقول من الفعل من وسع يسع (زكريا) كان من ذرية سليمان بن داود وقتل بعد قتل ولده وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنة وقيل تسع وتسعون وقيل مائة وعشرون وزكريا اسم اعجمى وفيه خمس لغات أشهرها المد والثانية القصر وقرئ بهما فى السبع وزكريا بتشديد الياء وتخفيفها وذكر كقلم (يحيى) ولده أول من سمى يحيى

على من فى عصره ومنهم من يدعى له الاعجاز غلوا ويزعم أنه يناغى النجم فى قوله علوا والملحدة تستظهر بشعره وتتكثر بقوله وتدعى كلامه من شبهاتهم وعباراته مضافا إلى ما عندهم من ترهاتهم فبينا قدر درجته وموضع رتبته وحد كلامه وهيهات أن يكون المطموع فيه كالميئوس منه وان يكون الليل كالنهار والباطل كالحق وكلام رب العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح الملحد فى نظم القرآن وادعى عليه الخلل فى البيان وأضاف اليه الخطأ فى المعنى واللفظ وقال ماقال فهل من فصل قيل الكلام على مطاعن الملحدة فى القرآن مما قد سبقنا اليه وصنف أهل الأدب فى بعضه فكفوا وأتى المتكلمون على ما وقع عليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه فى كتابنا واما الغرض الذى صنفنا فيه فى التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن فلم نجده

بنص القرآن ولد قبل عيسى بستة أشهر و نبیء صغيرا وقتل ظلما وسلط الله على قاتليه بخت نصر وجيوشه ويحيى اسم عجمي وقيل عربي قال الواحدي وعلى القولين لاينصرف قال الكرماني وعلى الثاني انما سمى به لانه أحياه الله بالايمان وقيل لانه حيي به رحم أمه وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل معناه يموت كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ (عيسى) ابن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب وكانت مدة حمله ساعة وقيل ثلاث ساعات وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل تسعة ولها عشر سنين وقيل خمسة عشرة ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة وفي أحاديث انه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويولد له ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين ويدفن عند النبي ﷺ وفي الصحيح أنه ربعة أحمر كانما خرج من ديماس يعني حماما وعيسى اسم عبراني وسرياني . (فائدة) * أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال لم يكن من الانبياء من له اسمان الا عيسى ومحمد ﷺ (محمد) صلى الله عليه وسلم سمى في القرآن باسماء كثيرة منها محمد وأحمد . (فائدة) * اخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال خمسة سموا قبل أن يكونوا محمد ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ويحيى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وعيسى مصدقا بكلمة من الله واسحق ويعقوب فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قال الراغب وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذين قبله وفيه من أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وفيها لغات جبريل بكسر الجيم والراء بلا همزة وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبراييل بياء بلا همزة وجبرائل بهمزة وياء بلا الف وجبريل مشددة اللام وقرىء بها قال ابن جني واصله كوريال فغير بالتعريب وطول الاستعمال الى ماترى وقرىء ميكاييل بلا همزة وميكئل وميكال أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال جبريل عبد الله وميكائل عبيد الله وكل اسم فيه ايل فهو معبد لله (وأخرج) عن عبد الله بن الحارث قال ايل الله بالعبرانية (وأخرج) ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن عمير قال اسم جبريل في الملائكة خادم الله (فائدة) قرأ أبو حيوة فارسلنا اليها روحنا بالتشديد وفسره ابن مهران بأنه اسم لجبريل حكاه الكرماني في عجائبه (وهاروت وماروت) أخرج ابن أبي حاتم عن علي قال هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء وقد أفردت في قصتهما جزأ (والرعد) في الترمذي من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب (وأخرج) ابن أبي حاتم عن عكرمة قال الرعد ملك يسبح (وأخرج) عن مجاهد انه سئل عن الرعد فقال هو ملك يسمى الرعد ألم تر أن الله يقول ويسبح الرعد بحمده (والبرق) فقد أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا نصع بذنبه فذلك البرق (ومالك) خازن جهنم (والسجل) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر قال السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه (وأخرج) عن ابن عمر قال السجل ملك (وأخرج) عن السدي قال ملك موكل بالصحف (وقعيد) فقد ذكر مجاهد أنه اسم كاتب السيئات أخرجه أبو نعيم في الحلية فهؤلاء تسعة (وأخرج) ابن أبي حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة ان ذا القرنين ملك من الملائكة فان صح اكمل العشرة (وأخرج) ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يوم يقوم الروح) قال ملك من أعظم الملائكة خلقا فصار واحد عشر ثم رأيت الراغب في مفرداته في قوله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين قيل إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر وفيه من أسماء الصحابة زيد بن حارثة والسجل في قول من قال انه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي الجوزاء

---

على التقريب الذى قصدنا وقد رجونا أن يكون ذلك مغنيا وافيا وان سهل الله لنا ما نويناه من املاء معاني القرآن ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكروه لان أكثر ما يقع من الطعن عليه فانما يقع على جهل القوم بالمعاني أو بطريقة كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا وقد قال النبي ﷺ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ومهدنا الطريق فمن كمل طبعه للوقوع على فضل أجناس الكلام استدرك ما بينا ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والاخطل والحكم بين فضل زهير والنابغة أو الفصل بين البحتري وأصحابه ولم يعرف سخف مسيلمة في نظمه ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويسخر به كشعر أبي العبس في جملة الشعر وشعر علي بن صلاءة

عن ابن عباس وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل (عمران) أبو مريم وقيل وأبو موسى أيضا وأخوها هرون وليس بأخي موسى كما فى حديث أخرجه مسلم وسيأتى آخر الكتاب وعزير وتبع وكان رجلا صالحا كما أخرجه الحاكم وقيل نبى حكاه الكرمانى فى عجائبه (ولقمان) وقد قيل إنه كان نبيا والاكثر على خلافه أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ويوسف الذى فى سورة غافر ويعقوب فى أول سورة مريم على ما تقدم وتقى فى قوله فيها (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) قيل انه اسم رجل كان من أمثل الناس أى إن كنت فى الصلاح مثل تقى حكاه الثعلبى وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء وقيل إنه ابن عمها أتاها جبريل فى صورته حكاهما الكرمانى فى عجائبه وفيه من أسماء النساء مريم لاغير لنكتة تقدمت فى نوع الكناية ومعنى مريم بالعبرية الخادم وقيل المرأة التى تغازل الفتيان حكاهما الكرمانى وقيل ان بعلا فى قوله أتدعون بعلا اسم امرأة كانوا يعبدونها حكاه ابن عسكر وفيه من أسماء الكفار قارون وهو ابن يصهر ابن عم موسى كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس (وجالوت وهامان) وبشرى الذى ناداه الوارد المذكور فى سورة يوسف يا بشراى فى قول السدى أخرجه ابن أبى حاتم وآزر أبو ابراهيم وقيل اسمه تارح وآزر لقب أخرج ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان أبا ابراهيم لم يكن اسمه آزر انما كان اسمه تارح وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال معنى آزر الصنم وأخرج عن السدى قال اسم أبيه تارح واسم الصنم آزر وأخرج عن مجاهد قال ليس آزر أبا براهيم ومنها النسىء اخرج ابن أبى حاتم عن أبى وائل قال كان رجل يسمى النسىء من بنى كنانة كان يجعل المحرم صفرا يستحل به الغنائم وفيه من أسماء الجن أبوهم ابليس وكان اسمه أولا عزازيل (وأخرج) ابن أبى حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان ابليس اسمه عزازيل (وأخرج) ابن جرير عن السدى قال كان اسم ابليس الحارث قال بعضهم هو معنى عزازيل (وأخرج) ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال انما سمى ابليس لان الله أبلسه من الخير كله أيسه منه وقال ابن عسكر قيل فى اسمه قترة حكاه الخطابى وكنيته أبو كردوس وقيل أبو قترة وقيل أبو مرة وقيل أبو لبينى حكاه السهيلى فى الروض الانف وفيه من أسماء القبائل يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم وفيه من الاقوام بالاضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع وقوم ابراهيم وأصحاب الأيكة (وقيل) هم مدين وأصحاب الرس وهم بقية من ثمود قاله ابن عباس وقال عكرمة هم أصحاب ياسين وقال قتادة هم قوم شعيب وقيل هم أصحاب الاخدود واختاره ابن جرير وفيه من أسماء الاصنام التى كانت اسماء لأناس ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهى أصنام قوم نوح واللات والعزى ومنات وهى أصنام قريش وكذا الرجز فيمن قرأه بضم الراء ذكر الاخفش فى كتاب الواحد والجمع انه اسم صنم والجبت والطاغوت قال ابن جرير ذهب بعضهم الى أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ثم أخرج عن عكرمة قال الجبت والطاغوت صنمان والرشاد فى قوله فى سورة غافر وما أهديكم الا سبيل الرشاد قيل هو اسم صنم من أصنام فرعون حكاه الكرمانى فى عجائبه (وبعل) وهو صنم قوم الياس وآزر على انه اسم صنم روى البخارى عن ابن عباس قال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه وأخرج البخارى عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج وحكاه ابن جنى عنه أنه قرأ اللات بتشديد التاء وفسره بذلك وكذا أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد وفيه من

فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الاشعر والابلغ قيل له هذا ايضا خارج عن غرض هذا الكتاب وقد تكلم فيه الادباء ويحتاج أن يجدد لنحو هذا كتاب ويفرد له باب وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل وليس لقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ويبلغ أمده فى الفصاحة والنظم العجيب ولا يبلغ عندكم حد المعجز فلم قضيتم بما قضيتم به فى القرآن دون غيره من الكلام وانما لم يصح هذا السؤال وما نذكر فيه من أشعار فى نهاية الحسن وخطب ورسائل فى غاية الفضل لانا قد بينا أن هذه الاجناس قد وقع النزاع والمسامات عليها والتنافس فى طرقها والتنافر فى بابها وكان البون بين البعض والبعض فى الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت

اسماء البلاد والبقاع والامكنة والجبال بكة اسم لمكة فقيل الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم أى اجتذبت مافيه من المخ وتمكك الفصيل مافى ضرع الناقة فكانها تجتذب الى نفسها مافى البلاد من الاقوات وقيل لانها تمك الذنوب أى تذهبها وقيل لقلة مائها وقيل لانها فى بطن واد تمكك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب اليها السيول وقيل الباء أصل ومأخذه من البك لانها تبك اعناق الجبابرة أى تكسرهم فيذلون لها ويخضعون وقيل من التباك وهو الازدحام لازدحام الناس فيها فى الطواف وقيل مكة الحرم وبكة المسجد خاصة وقيل مكة البلد وبكة البيت وموضع الطواف وقيل البيت خاصة (والمدينة) سميت فى الاحزاب يثرب حكاية عن المنافقين وكان اسمها فى الجاهلية فقيل لانه اسم أرض فى ناحيتها وقيل سميت بيثرب ابن وائل من بنى ارم بن سام بن نوح لانه اول من نزلها وقد صح النهى عن تسميتها به لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره الاسم الخبيث وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ (وبدر) وهى قرب المدينة أخرج ابن جرير عن الشعبى قال كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدرا فسميت به قال الواقدى فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه وقالا فلاى شىء سميت الصفراء ورابغ هذا ليس بشىء انما هو اسم الموضع وأخرج عن الضحاك قال بدر ما بين مكة والمدينة (وأحد) قرىء شاذا اذ تصعدون ولا تلوون على أحد (وحنين) وهى قرية قرب الطائف (وجمع) وهى مزدلفة (والمشعر الحرام) وهو جبل بها (ونقع) قيل هو اسم لما بين عرفات الى مزدلفة حكاه الكرمانى (ومصر وبابل) وهى بلد بسواد العراق والايكة وليكة بفتح اللام بلد قوم شعيب (والثانى) اسم البلدة والاول اسم الكورة (والحجر) منازل ثمود ناحية الشام عند وادى القرى (والاحقاف) وهى جبال الرمل بين عمان وحضرموت وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنها جبل بالشام (وطور سينا) وهو الجبل الذى نودى منه موسى (والجودى) وهو جبل بالجزيرة (وطوى) اسم الوادى كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأخرج من وجه آخر عنه سمى طوى لان موسى طواه ليلا وأخرج عن الحسن قال هو واد بفلسطين قيل له طوى لانه قدس مرتين وأخرج عن بشر بن عبيدة قال هو واد بايلة طوى بالبركة مرتين (والكهف) وهو البيت المنقور فى الجبل والرقيم أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال زعم كعب أن الرقيم القرية التى خرجوا منها وعن عطية قال الرقيم واد وعن سعيد بن جبير مثله وأخرج من طريق العوفى عن ابن عباس قال الرقيم واد بين عقبان وايلة دون فلسطين وعن قتادة قال الرقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف وعن أنس بن مالك قال الرقيم الكلب (والعرم) أخرج ابن أبى حاتم عن عطاء قال العرم اسم الوادى (وحرد) قال السدى بلغنا أن اسم القرية حرد اخرجه ابن حاتم (والصريم) أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن تسمى بذلك (وق) وهو جبل محيط بالارض (والجزر) قيل اسم ارض (والطاغية) قيل اسم البقعة التى أهلكت بها ثمود حكاهما الكرمانى وفيه من اسماء الاماكن الاخروية الفردوس وهو أعلى مكان فى الجنة وعليون قيل اعلى مكان فى الجنة وقيل اسم لما دون فيه اعمال صلحاء الثقلين والكوثر نهر فى الجنة كما فى الاحاديث المتواترة وسلسبيل وتسنيم عينان فى الجنة وسجين اسم لمكان أرواح الكفار وصعود جبل فى جهنم كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعا وغى وأثام وموبق والسعر وويل وسائل وسحق أودية فى جهنم كما أخرج ابن أبى حاتم عن أنس بن مالك فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم من قيح وأخرج عن عكرمة فى قوله موبقا قال هو نهر فى النار وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود فى قوله فسوف يلقون غيا قال واد فى جهنم وأخرج الترمذى وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد فى جهنم

---

خفيفا وذلك القدر من السبق أن ذهب عند الواحد لم ييأس منه الباقون ولم ينقطع الطمع فى مثله وليس كذلك سمت القرآن لانه قد عرف ان الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وأن الكل فى العجز عنه على حد واحد وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمت الذى لا يؤخذ فيه والباب الذى لا يذهب عنه وأنت تجد قوما مايرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى يستعين بكلام غيره ويفرغ الى مايوشح به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة ممهدة منقولة وقصة عجيبة مأثورة وأما كلامه فى أثناء ذلك فسطور قليلة وألفاظ يسيرة فاذا أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن شىء يستعين به فيخلطه بقوله من قول غيره كان كلاما ككلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر الى كتبه

يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال ويل واد في جهنم من قيح وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال في النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها غليظ وموبق وأثام وغي وأخرج عن سعيد بن جبير قال السعير واد من قيح في جهنم وسحق واد في جهنم وأخرج عن أبي زيد في قوله سأل سائل هو واد من أودية جهنم يقال له سائل (والفلق) جب في جهنم في حديث مرفوع اخرجه ابن جرير ويحموم دخان أسود أخرجه الحاكم عن ابن عباس وفيه من المنسوب إلى الأماكن الامي قيل انه نسبة إلى أم القرى وعبقرى قيل انه منسوب الى عبقر موضع للجن ينسب اليه كل نادر والسامرى قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون وقيل سامرة والعربى قيل منسوب إلى عربة وهي باحة دار اسماعيل عليه السلام أنشد فيها

وعربة أرض ما يحل حرامها . من الناس إلا اللوذعى الحلاحل

يعنى النبي ﷺ وفيه من اسماء الكواكب الشمس والقمر والطارق والشعرى

• (فائدة). قال بعضهم سمى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير السلوى والبعوض والذباب والنحل والعنكبوت والجراد والهدهد والغراب وأبابيل والنمل فانه من الطير لقوله في سليمان علمنا منطق الطير وقد فهم كلامها وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين

• (فصل). أما الكنى فليس في القرآن منها غير أبي لهب واسمه عبد العزى ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعا وقيل للاشارة إلى أنه جهنمي وأما الالقاب فمنها اسرائيل لقب يعقوب ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سرى الله لأنه أسرى لما هاجر أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس ان اسرائيل كقوله عبد الله وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن أبي مجلز قال كان يعقوب رجلا بطيشا فلقى ملكا فعالجه فصرعه الملك فضرب على فخذيه فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال ما أنا بتاركك حتى تسميني اسما فسماه اسرائيل قال أبو مجاز ألا ترى أنه من اسماء الملائكة وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام وقرىء اسرايل بلا همز قال بعضهم ولم تخاطب اليهود في القرآن الا بيا بنى اسرائيل دون يا بنى يعقوب لنكتة وهو انهم خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم فسموا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله تعالى فان اسرائيل اسم مضاف الى الله في التأويل ولما ذكر موهبته لابراهيم وتبشيره به قال يعقوب وكان أولى من اسرائيل لانها موهبة بعقب آخر فناسب ذكره اسم يشعر بالتعقيب ومنها المسيح لقب لعيسى ومعناه قيل الصديق وقيل الذى ليس لرجله أخمص وقيل الذى لا يمسح ذا عاهة الا برىء وقيل الجميل وقيل الذى يمسح الارض أى يقطعها وقيل غير ذلك (ومنها الياس) قيل إنه لقب ادريس (أخرج) ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال الياس هو ادريس واسرائيل هو يعقوب وفي قراءته وان ادراس لمن المرسلين سلام على ادراسين قراءة أبي وأن ايليس سلام على ايليس (ومنها ذو الكفل) قيل إنه لقب الياس وقيل لقب اليسع وقيل لقب يوشع وقيل لقب زكريا ومنها نوح اسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي ومنها ذو القرنين واسمه اسكندر وقيل عبد الله بن الضحاك بن سعد وقيل المنذر بن ماء السماء وقيل الصعب بن قرين بن الهمال حكاهما ابن عسكر ولقب ذا القرنين لانه بلغ قرنى الارض المشرق والمغرب وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل كان على رأسه قرنان أى ذؤابتان وقيل كان له قرنان من ذهب وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه قرنان صغيران توارهما العمامة وقيل إنه ضرب على قرنه فمات ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر

في نظم القرآن وفي الرد على النصارى وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل تجد في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع او كلام مليح على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقتـــه وجاذبوه على منهجه فنهم من ساواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذباراه هذا أبو الفضل بن العميد قد سلك مسلكه وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لانه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ويكملها على شروط صـنعته ولا يقتصر على أن يأتى بالاسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلامه سطرا أتبعه من كلام الناس أوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدلك على أن الشيء اذا استحسن اتبع واذا استملح قصد له وتعمد وهـذا الشيء

وقيل لأنه كان كريم الطرفين وقيل لأنه انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لأنه أعطى علم الظاهر وعلم الباطن وقيل لأنه دخل النور والظلمة (ومنها) فرعون واسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل أبو الوليد وقيل أبو مرة وقيل إن فرعون لقب لكل من ملك مصر (أخرج) ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر (ومنها) تبع قيل كان اسمه أسعد بن ملكيكرب وسمى تبعا لكثرة من تبعه وقيل إنه لقب ملوك اليمن سمى كل واحد منهما تبعا أى يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره

• (النوع السبعون) • فى المبهمات أفرده بالتأليف السهيلى ثم ابن عساكر ثم القاضى بدر الدين ابن جماعة ولى فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جدا وكان من السلف من يعتنى به كثيرا قال عكرمة طلبت الذى خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة (وللابهام) فى القرآن أسباب أحدها الاستغناء ببيانه فى موضع آخر كقوله صراط الذين أنعمت عليهم فانه مبين فى قوله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الثانى) أن يتعين لاشتهاره كقوله وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها ألم تر إلى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمراد نمروذ لشهرة ذلك لأنه المرسل إليه قيل وقد ذكر الله فرعون فى القرآن باسمه ولم يسم نمروذ لان فرعون كان أذكى منه كما يؤخذ من أجوبته لموسى ونمروذ كان بليدا ولهذا قال أنا أحيى وأميت وفعل مافعل من قتل شخص والعفو عن آخر وذلك غاية البلادة (الثالث) قصد الستر عليه ليكون أبلغ فى استعطافه نحو ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية هو الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن إسلامه (الرابع) أن لا يكون فى تعيينه كبير فائدة نحو أو كالذى مر على قرية واسألهم عن القرية (الخامس) التنبيه على العموم وأنه غير خاص بخلاف مالو عين نحو ومن يخرج من بيته مهاجرا (السادس) تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو ولا يأتل أولو الفضل والذى جاء بالصدق وصدق به إذ يقول لصاحبه والمراد الصديق فى الكل (السابع) تحقيره بالوصف الناقص نحو إن شانئك هو الأبتر • (تنبيه) • قال الزركشى فى البرهان لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة أو من الجن قلت ليس فى الآية مايدل على أن جنسهم لا يعلم وإنما المنفى علم أعيانهم ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن وهو نظير قوله فى المنافقين وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم فان المنفى علم أعيانهم ثم القول فى أولئك إنهم قريظة أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد والقول بأنهم من الجن أخرجه ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن عريب عن أبيه مرفوعا عن النبى ﷺ فلا جراءة

• (فصل) • اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأى فيه ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير تذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها دون بيان مستند يرجع إليه أو عزو يعتمد عليه ألفت الكتاب الذى ألفته مذكورا فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزوا إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم مبينا فيه ماصح سنده وماضعف فجاء لذلك كتابا حافلا لا نظير له فى نوعه وقد رتبته على ترتيب القرآن وأنا ألخص هنا مهماته بأوجز عبارة تاركا العزو والتخريج غالبا اختصارا واحالة على الكتاب المذكور وأرتبه على قسمين الأول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنى أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذى إذا لم يرد به العموم قوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) هو آدم وزوجه حواء بالمد لأنها خلقت من حى (وإذ قتلتم نفسا)

يرجع إلى الأخذ بالفضل والتنافس فى التقدم فلو كان فى مقدار البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ودامت المنافسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها وجوالب لا حد لكثرتها لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ثم إلى قطع المحامين دونه عنه أو تنفيرهم عليه وإدخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الأرواح والأخطار بالأموال والذرارى فى وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول منافسته ومجاذبته وهذا الذى عرضناه على قلبك يكفى ان هديت لرشدك ويغنى ان دللت على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد إنه لا معرفة الا بهدايته ولا عصمة إلا بكفايته وهو على مايشاء قدير وحسبنا الله ونعم

اسمه عاميل وابعث فيهم رسولا منهم هو النبي صلى الله عليه وسلم ووصى بها ابراهيم بنيه هم اسمعيل واسحق ومان وزمران وسرح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورح ولوطان ونافش (الأسباط) أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا يوسف وروبيل وشمعون ولاوى ويهودا ودانى وتفتانى بفاء ومثناة وكاد وأشير وايشاجر ورابلون وبنيامين ومن الناس من يعجبك قوله هو الأخنس بن شريق ومن الناس من يشرى نفسه هو صهيب إذ قالوا لنبي لهم هو شمويل وقيل شمعون وقيل يوشع منهم من كلم الله قال مجاهد موسى ورفع بعضهم درجات قال محمد الذى حاج ابراهيم فى ربه نمروذ بن كنعان أو كالذى مر على قرية عزير وقيل أرمياء وقيل حزقيل امرأة عمران حنة بنت فاقوذ (وامرأتى عاقر) هى أشياع أو أشيع بنت فاقوذ (منادياً ينادى للإيمان) هو محمد صلى الله عليه وسلم (الطاغوت) قال ابن عباس هو كعب بن الأشرف أخرجه أحمد وان منكم لمن ليبطئن هو عبدالله بن أبى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا هو عامر بن الأضبط الأشجعى وقيل مرداس والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة وقيل إن الذى باشر القول محلم وقيل إنه الذى باشر قتله أيضا وقيل قتله المقداد بن الأسود وقيل اسامة بن زيد ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت هو ضمرة بن جندب وقيل ابن العيص ورجل من خزاعة وقيل ابو ضمرة بن العيص وقيل اسمه سبرة وقيل هو خالد بن حزام وهو غريب جدا وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباهم شموع بن زكور من سبط روبيل وشوقط بن حورى من سبط شمعون وكالب بن يوقنا من سبط يهوذا وبعورك بن يوسف من سبط اشاجره ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وباطى بن روفو من سبط بنيامين وكرابيل بن سورى من سبط زبالون ولدين سوساس من سبط منشا بن يوسف وعمايل بن كسل من سبط دان وستور بن منحائيل من سبط اشير ويوحنا بن وقوسى من سبط نفتال وال بن موخا من سبط كاذ ولو قال رجلان هما يوشع وكالب (نبأ ابنى آدم) هما قابيل وهابيل وهو المقتول (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) بلعم ويقال بلعام بن آبر ويقال باعر ويقال باعور وقيل هو أمية بن أبى الصلت وقيل صيفى بن الراهب وقيل فرعون وهو أغربها (وإنى جار لكم) عنى سراقة بن جعشم (فقاتلوا أئمة الكفر) قال قتادة هم أبو سفيان وأبو جهل وأمية بن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة (إذ يقول لصاحبه) هو أبو بكر وفيكم سماعون لهم قال مجاهدهم عبد الله بن أبى بن سلول ورفاعة بن التابوت وأس بن قيظى (ومنهم من يقول ائذن لى) هو الجد بن قيس ومنهم من يلمزك فى الصدقات هو ذو الخويصرة (ان يعف عن طائفة منكم) هو مخشى بن حمير (ومنهم من عاهد الله) هو ثعلبة بن حاطب (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) قال ابن عباس هم سبعة أبو لبابة وأصحابه وقال قتادة سبعة من الأنصار أبو لبابة وجد بن قيس وحرام وأوس وكردم ومرداس (وآخرون مرجون) هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم الثلاثة الذين خلفوا (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) قال ابن اسحق اثنا عشر من الأنصار حزام بن خالد وثعلبة بن حاطب وهزال بن أمية ومعيب بن قشير وأبو حبيبة بن الأزهر وعباد بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبحرج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت (لمن حارب الله ورسوله) هو أبو عامر الراهب (أفمن كان على بينة من ربه) هو محمد صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه هو جبريل وقيل القرآن وقيل أبو بكر وقيل على (ونادى نوح ابنه) اسمه كنعان وقيل يام وامرأته قائمة اسمها سارة (بنات لوط) ريثا ورغوثا (ليوسف وأخوه) بنيامين شقيقه (قال قائل منهم) هو روبيل وقيل يهودا وقيل شمعون (فأرسلوا واردهم) هو مالك ابن دعر (وقال الذى اشتراه) هو قطفير أو أطيفير لامرأته هى راعيل وقيل زليخا (ودخل معه السجن



الوكيل

• (فصل) •

فان قال قائل قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الاعصار لم يعجزوا قيل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بوجوه منها ماهو صواب ومنه مافيه خلل لأن من كان يجيب عنه بأنهم لايقدرون على معارضته فى الأخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسئلة لأنا ذكرنا أن نظمه معجز لايقدر عليه فاذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده والوجه أن يقال فيه طرق منها أنا إذا علمنا ان أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله فمن بعدهم أعجز لأن فصاحة أولئك فى وجوه ماكانوا يتفننون فيه من القول مما لايزيد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم أن

فتيان ) هما مجلث وبنوء وهو الساقى وقيل راشان ومرطش وقيل بسرهم وسرهم ( الذى ظن انه ناج )
هو الساقى (عند ربك) هو الملك ريان بن الوليد ( بأخ لكم ) هو بنيامين وهو المتكرر فى السورة
( فقد سرق أخ له ) عنوا يوسف ( قال كبيرهم ) هو شمعون وقيل روبيل ( آوى اليه أبويه ) هما
أبوه وخالته ليا وقيل أمه واسمها راحيل ( ومن عنده علم الكتاب ) هو عبد الله بن سلام وقيل
جبريل ( أسكنت من ذريتى ) هو اسماعيل ( ولوالدى ) اسم أبيه تارح وقيل آزر وقيل يازر
واسم أمه ثانى وقيل نوفا وقيل ليوثا ( انا كفيناك المستهزئين ) قال سعيد بن جبير هم خمسة الوليد بن
المغيرة والعاصى بن وائل وأبو زمعة والحارث بن قيس والأسود بن عبد يغوث (رجلين) أحدهما
ابكم هو أسيد بن أبى العيص ( ومن يأمر بالعدل ) عثمان بن عفان (كالتى نقضت غزلها) ربطة
بنت سعيد بن زيد مناة بن تميم ( انما يعلمه بشر ) عنوا عبد بن الحضرمى واسمه مقيس وقيل
عبدين له يسار وجبر وقيل عنوا قينا بمكة اسمه بالعام وقيل سلمان الفارسى ( أصحاب الكهف )
تمليخا وهو رئيسهم والقائل ( فأووا إلى الكهف ) والقائل ( ربكم أعلم بما لبثتم ) وكسلمينا وهو
القائل ( كم لبثتم ) ومرطوش وبرانش وأبونس وأويسطانس وشاططيوس (فابعثوا أحدكم بورقكم)
هو تمليخا (من أغفلنا قلبه) هو عيينة بن حصن (واضرب لهم مثلا رجلين) هما تمليخا وهو الخير
وفطروس وهما المذكوران فى سورة الصافات (قال موسى لفتاه) هو يوشع بن نون وقيل أخوه يثربى
(فوجدا عبدا) هو الخضر واسمه بليا (لقيا غلاما) اسمه جيسون بالجيم وقيل بالحاء (وراءهم ملك) هو
هدد بن بدد (وأما الغلام فكان أبواه) اسم الأب كازيرا والأم سهوا (لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم
(فناداها من تحتها) قيل عيسى وقيل جبريل (ويقول الانسان) هو أبى بن خلف وقيل أمية بن خلف
وقيل الوليد بن المغيرة (أفرأيت الذى كفر) هو العاصى بن وائل (وقتلت منهم نفسا) هو القبطى واسمه
قانون (السامرى) اسمه موسى بن ظفر (من أثر الرسول) هو جبريل (ومن الناس من يجادل) هو النضر
ابن الحارث (هذان خصمان) أخرج الشيخان عن أبى ذر قال نزلت هذه الآية فى حمزة وعبيدة بن
الحارث وعلى بن أبى طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة (ومن يرد فيه بالحاد) قال ابن عباس
نزلت فى عبد الله بن انيس (الذين جاءوا بالافك) هم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش وعبد الله بن أبى وهو الذى تولى كبره (ويوم يعض الظالم) هو عقبة بن ابى معيط (لم اتخذ فلانا)
هو أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف (وكان الكافر) قال الشعبى هو أبو جهل (امرأة تملكهم) هى
بلقيس بنت شراحيل فلما جاء سليمان اسم الجائى منــذر ( قال عفريت من الجن ) اسمه كوزن
(الذى عنده علم) هو آصف بن برخيا كاتبه وقيل رجل يقال له ذو النور وقيل اسطوم وقيل تمليخا
وقيل الخ وقيل هو ضبه أبو القبيلة وقيل جبريل وقيل ملك آخر وقيل الخضر (تسعة رهط) هم رعمى
ورعيم وهرمى وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة ( فالتقطه آل
فرعون ) اسم الملتقط طابوس (امرأة فرعون) آسية بنت مزاحم (أم موسى) يوحانذ بنت يصهر بن لاوى
وقيل يوخا وقيل أباذخت (وقالت لأخته) اسمها مريم وقيل كلثوم (هذا من شيعته) هو السامرى
(وهذا من عدوه) اسمه فاتون ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ) هو مؤمن آل فرعون واسمه
سمعان وقيل شمعون وقيل جبر وقيل حبيب وقيل حزقيل (امرأتين تذودان) هما ليا وصفوريا وهى
التى نكحها وأبوهما شعيب وقيل يثرون ابن أخى شعيب ( قال لقمان لابنه ) اسمه باران بالموحدة
وقيل داران وقيل انعم وقيل مشكم ملك الموت اشتهر على الالسنة ان اسمه عزرائيل ورواه أبو الشيخ
ابن حبان عن وهب ( فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ) نزلت فى على بن أبى طالب والوليد بن

يقاربوهم أو يساووهم فاما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا ومنها أنا قد علمنا عجز أهل سائر الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول والطريق فى العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد لأن التحدى فى الكل على جهة واحدة والتنافر فى الطباع على حد والتكلف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا )

﴿ فصل فى التحدى ﴾

يجب ان تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الانبياء أن يدعوا فيها انها من دلالتهم وآياتهم لانه لا يصح بعثة النبى من غير أن يؤتى دلالة ويؤيد بآية لأن النبى لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشىء آخر سوى البرهان الذى يظهر عليه فيستدل به على صدقه

عقبة ( ويستأذن فريق منهم النبى ) قال السدى هما رجلان من بنى حارثة أبو عرانة بن أوس أو اوس ابن قيظى (قل لازواجك) قال عكرمة كانت تحته يومئذ تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وبناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم (أهل البيت) قال ﷺ هم على وفاطمة والحسن والحسين ( للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ) هو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) هى زينب بنت جحش (وحملها الانسان) قال ابن عباس هو آدم (ارسلنا اليهم اثنين) هما شمعون ويوحنا (والثالث) بولس وقيل هم صادق وصدوق وشلوم ( وجاء رجل) هو حبيب النجار (أولم ير الإنسان) هو العاصى بن وائل وقيل أبى بن خلف وقيل أمية بن خلف (فبشرناه بغلام) هو اسماعيل أو اسحق قولان شهيران ( نبأ الخصم ) هما ملكان قيل انهما جبريل وميكائيل (جسدا) هو شيطان يقال له أسيد وقيل صخر وقيل حبقيق (مسنى الشيطان) قال نوف الشيطان الذى مسه يقال له مسعط ( والذى جاء بالصدق ) محمد وقيل جبريل وصدق به محمد ﷺ وقيل أبو بكر ( اللذين اضلانا ) ابليس وقابيل ( رجل من القريتين ) عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفى وقيل عروة بن مسعود من الطائف (ولما ضرب ابن مريم مثلا) الضارب له عبد الله بن الزبعرى (طعام الاثيم) وقال ابن جبير هو أبو جهل (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) هو عبد الله ابن سلام (أولو العزم من الرسل) أصح الأقوال أنهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ (ينادى المنادى) هو اسرافيل ( ضيف ابراهيم المكرمين ) قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل ورفاييل ( وبشروه بغلام ) قال الكرمانى أجمع المفسرون على أنه اسحق إلا مجاهدا فانه قال هو اسمعيل (شديد القوى) جبريل (أفرأيت الذى تولى) هو العاصى ابن وائل وقيل الوليد بن المغيرة (يدع الداعى) هو اسرافيل ( قول التى تجادلك) هى خولة بنت ثعلبة (فى زوجها) هو أوس بن الصامت ( لم تحرم ما أحل الله لك ) هى سريته مارية (اسر النبى إلى بعض أزواجه) هى حفصة (نبأت به) أخبرت عائشة ( ان تتوبا وان تظاهرا ) هما عائشة وحفصة (وصالح المؤمنين) هما أبو بكر وعمر أخرجه الطبرانى فى الأوسط (امرأة نوح) والعة (وامرأة لوط) والهة وقيل واعلة (ولا تطع كل حلاف) نزلت فى الأسود بن عبد يغوث وقيل الاخنس بن شريق وقيل الوليد بن المغيرة ( سأل سائل) هو النضر بن الحارث (رب اغفر لى ولوالدى) اسم أبيه لملك بن متوشلخ واسم أمه سمحا بنت أنوش (سفيهنا) هو ابليس (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هو الوليد بن المغيرة (فلا صدق ولا صلى) الآيات نزلت فى أبى جهل (هل أتى على الإنسان) هو آدم ( ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ) قيل هو ابليس (أن جاءه الأعمى) هو عبد الله بن أم مكتوم (اما من استغنى) هو أمية بن خلف وقيل هو عتبة بن ربيعة (لقول رسول كريم ) قيل جبريل وقيل محمد ﷺ ( فأما الانسان إذا ما ابتلاه ) الآيات نزلت فى أمية بن خلف (ووالد) هو آدم (فقال لهم رسول الله) هو صالح (الاشقى) هو أمية بن خلف (الاتقى) هو أبو بكر الصديق (الذى ينهى عبدا) هو أبو جهل والعبد هو النبى ﷺ ( ان شانئك ) هو العاصى بن وائل وقيل أبو جهل وقيل عقبة بن أبى معيط وقيل أبو لهب وقيل كعب بن الأشرف امرأة أبى لهب أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية

﴿ القسم الثانى ﴾ فى مبهمات الجموع الذين عرف اسماء بعضهم ( وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ) سمى منهم رافع بن حرملة (سيقول السفهاء) سمى منهم رفاعة بن قيس وقردوم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبى الحقيق (واذا قيل لهم اتبعوا) الآية سمى منهم رافع ومالك بن عوف (يسألونك عن الاهلة) سمى منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم

فاذا ذكر لهم ان هذه آيتى وكانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانا له وليس يكون ذلك معجزا الا بان يتحداهم إلى ان يأتوا فاذا تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزا وانما احتيج فى باب القرآن إلى التحدى لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزا فانما يعرف أولا اعجازه بطريقه لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته وانما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا فان كان لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب ان يعرف هذا حتى يمكنه ان يستدل به ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه باجمعهم من التحدى اليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصا ثعبانا تتلقف ما يأفكون واما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم فى

( ويسألونك ماذا ينفقون ) سمى منهم عمرو بن الجموح (يسألونك عن الخمر) سمى منهم عمرو ومعاذ وحمزة ( ويسألونك عن اليتامى ) سمى منهم عبدالله بن رواحة ( ويسألونك عن المحيض ) سمى منهم ثابت بن الدحداح وعباد بن بشر واسيد بن الحضير مصغر (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ) سمى منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد (الحواريون ) سمى منهم فطرس ويعقوبس ونحس واندرانيس وفيلس ودرنا بوطاوسرجس وهو الذى ألقى عليه شبهه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) وهم اثناعشر من اليهود وسمى منهم عبدالله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عمرو ( كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم) قال عكرمة نزلت فى اثنى عشر رجلا منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الاسلت زاد ابن عسكر وطعيمة بن ابيرق (يقولون هل لنا من الأمر شىء ) سمى من القائلين عبدالله بن أبى (يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا ) سمى من القائلين عبدالله بن أبى ومعتب بن قشير (وقيل لهم تعالوا قاتلوا ) القائل ذلك عبدالله والد جابر بن عبد الله الانصارى والمقول لهم عبدالله بن أبى وأصحابه (الذين استجابوا لله) هم سبعون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح (الذين قال لهم الناس ) سمى من القائلين نعيم بن مسعود الأشجعى ( الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ) قال ذلك فنحاص وقيل حيى بن أخطب وقيل كعب بن الأشرف ( وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ( نزلت فى النجاشى وقيل فى عبدالله بن سلام وأصحابه ( وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) قال ابن اسحق أولاد آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا كل بطن ذكر وأنثى وسمى من بنيه قابيل وهابيل وإياد وشنوأة وهند وصرابيس ونحور وسند وبارق وشيث وعبد المغيث وعبد الحارث وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ومن بناته اقليما وأشوف وجزوزة وعزورا وأمة المغيث (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة) قال عكرمة نزلت فى رفاعة بن زيد بن التابوت وكردم ابن زيد وأسامة بن حبيب ورافع بن أبى رافع وبحرى بن عمرو وحيى بن أخطب (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا) نزلت فى الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ) سمى منهم عبدالرحمن بن عوف ( الا الذين يصلون الى قوم ) قال ابن عباس نزلت فى هلال بن عويمر الاسلمى وسراقة بن مالك المدلجى فى بنى خزيمة بن عامر بن عبد مناف (ستجدون آخرين) قال السدى نزلت فى جماعة منهم نعيم بن مسعود الاشجعى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) سمى عكرمة منهم على بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وأباقيس بن الوليد ابن المغيرة وأبا العاصى بن منبه بن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه (إلا المستضعفين ) سمى منهم ابن عباس وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث وعياش بن أبى ربيعة وسلمة بن هشام ( الذين يختانون أنفسهم ) بنى أبيرق بشر وبشير ومبشر ( لهمت طائفة منهم ان يضلوك ) هم أسيد بن عروة وأصحابه ( ويستفتونك فى النساء ) سمى من المستفتين خولة بنت حكيم ( يسألك أهل الكتاب ) سمى منهم ابن عسكر كعب بن الاشرف وفنحاصا (لكن الراسخون فى العلم ) قال ابن عباس هم عبدالله ابن سلام وأصحابه (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ) سمى منهم جابر بن عبد الله (ولا آمين البيت الحرام) سمى منهم الحطم بن هند البكرى ( يسألونك ماذا أحل لهم ) سمى منهم عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيان وعاصم بن عدى وسعد بن خثمة وعويمر بن ساعدة ( اذهم قوم أن يبسطوا) سمى منهم كعب بن الاشرف وحيى بن أخطب (ولتجدن أقربهم مودة ) الآيات نزلت فى الوفد الذين جاءوا من عند النجاشى وهم اثناعشر وقيل ثلاثون وقيل سبعون وسمى منهم ادريس وابراهيم

البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن الاتيان بمثله ويعرف ايضا أهل عصره ممن هو فى طبقته أو يدانيه فى صناعته عجزهم عنه فلايحتاج الى التحدى حتى يعلم به كونه معجزا ولوكان أهل الصنعة الذين صفتهم ما بينا لايعرفون كونه معجزا حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجز أن يعرف النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدى اليه واذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهى الى التحدى الى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزا وهذا القول ان قيل أفحش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة فى معرفة اعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفلق البحر

والاشرف وتميم وتمام ودريد (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) سمى منهم زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث بن كلدة وأبى بن خلف والعاصى بن وائل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) سمى منهم صهيب وبلال وعمار وخباب وسعد بن وقاص وابن مسعود وسلمان الفارسى (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) سمى منهم فنحاص ومالك بن الصيف (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى ما أوتى رسل الله) سمى منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة (يسألونك عن الساعة) سمى منهم حسل بن أبى قشير وشمويل بن زيد (يسألونك عن الانفال) سمى منهم سعد بن أبى وقاص (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) سمى منهم أبو أيوب الانصارى ومن الذين لم يكرهوا المقداد (ان تستفتحوا) سمى منهم أبو جهل (واذ يمكر بك الذين كفروا) هم أهل دار الندوة سمى منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان وأبو جهل وجبير بن مطعم وطعيمة بن عدى والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وزمعة ابن الاسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الآية سمى منهم أبو جهل والنضر بن الحارث (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) سمى منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة والعاصى بن منبه (قل لمن فى أيديكم من الاسرى) كانوا سبعين منهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وسهيل بن بيضاء وقالت اليهود عزير ابن الله) سمى منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف (الذين يلمزون المطوعين) سمى من المطوعين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى (والذين لا يجدون إلا جهدهم) أبو عقيل ورفاعة بن سعد (ولا على الذين اذا ما أتوك) سمى منهم العرباض بن سارية وعبدالله بن مغفل المزنى وعمرو المزنى وعبدالله بن الازرق الانصارى وأبو ليلى الانصارى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) سمى منهم عويم بن ساعدة (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى جماعة منهم عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة (بعثنا عليكم عبادا لنا) هم طالوت وأصحابه (وان كادوا ليفتنونك) قال ابن عباس نزلت فى رجال من قريش منهم أبو جهل وأمية بن خلف (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) سمى ابن عباس من قائلى ذلك عبدالله ابن أبى أمية وذريته سمى من أولاد ابليس شبر والأعور وزلنبور ومسوط وداسم (وقالوا ان نتبع الهدى معك) سمى منهم الحارث بن عامر بن نوفل (أحسب الناس أن يتركوا) منهم المؤذون على الاسلام بمكة منهم عمار بن ياسر (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) سمى منهم الوليد بن المغيرة (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) سمى منهم النضر بن الحارث (فمنهم من قضى نحبه) سمى منهم أنس بن النضر (قالوا الحق) أول من يقول جبريل فيتبعونه (وانطلق الملأ) سمى منهم عقبة بن أبى معيط وأبو جهل والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب والاسود ابن يغوث (وقالوا مالنا لا نرى رجالا) سمى من القائلين أبو جهل ومن الرجال عمار وبلال (نفرا من الجن) سمى منهم زوبعة وحسى ومسى وشاصر وماصر ومنشىء وناشىء والأحقب وعمرو بن جابر وشرق ووردان (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) سمى منهم منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعيينة بن حصن وعمرو بن الاهتم (ألم تر الى الذين تولوا قوما) قال السدى نزلت فى عبدالله بن نفيل من المنافقين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) نزلت فى قتيلة أم أسماء بنت أبى بكر (اذ جاءكم المؤمنات) سمى منهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وأميمة بنت بشر (يقولون لا تنفقوا يقولون لئن رجعنا) سمى منهم عبدالله بن ابى (ويحمل عرش ربك) الآية سمى من حملة العرش اسرافيل ولبنان وروقيل (أصحاب الأخدود) ذو نواس وزرعة بن

بان ذلك معجز وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزا فيساوى حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالهما فى تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواه اذا دعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه فاما ما من قدر ان القرآن لا يصير معجزا الا بالتحدى اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدى اليها والحض عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينئذ أنها معجزات وقد سلف من كلامنا فى هذا المعنى مايغنى عن الاعادة ويبين ماذكرناه فى غير البليغ أن الاعجمى الآن لا يعرف اعجاز القرآن الا بأمور زائدة على الاعجمى الذى كان فى ذلك الزمان مشاهدا له لان من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولا ان العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم

أسد الحميرى واصحابه (أصحاب الفيل) هم الحبشة قائدهم ابرهة الاشرم ودليلهم ابو رغال (قل يا أيها الكافرون) نزلت فى الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف (النفاثات) بنات لبيد بن الاعصم وأما مبهمات الاقوام والحيوانات والامكنة والازمنة ونحو ذلك فقد استوفيت الكلام عليها فى تأليفنا المشار اليه

• (النوع الحادى والسبعون) • فى أسماء من نزل فيهم القرآن رأيت فيهم تأليفا مفردا لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك وقال ابن أبى حاتم ذكر عن الحسين بن زيد الطحان أنبأنا اسحق بن منصور أنبأنا قيس عن الاعمش عن المنهال عن عباد ابن عبد الله قال قال على مافى قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية قيل له فما نزل فيك قال (ويتلوه شاهد منه) ومن أمثلته ماأخرجه أحمد والبخارى فى الادب عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت فى أربع آيات يسئلونك عن الانفال ووصينا الانسان بوالديه حسنا وآية تحريم الخمر وآية الميراث (وأخرج) ابن أبى حاتم عن رفاعة القرظى قال نزلت (ولقد وصلنا لهم القول) فى عشرة أنا أحدهم (وأخرج) الطبرانى عن أبى جمعة جنيد بن سبع وقيل حبيب بن سباع قال فينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين

• (النوع الثانى والسبعون) • فى فضائل القرآن أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبى شيبة والنسائى وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفى بعض السور على التعيين ووضع فى فضائل القرآن أحاديث كثيرة ولذلك صنفت كتابا سميته خمائل الزهر فى فضائل السور حررت فيه ماليس بموضوع وأنا أورد فى هذا النوع فصلين

• (الفصل الاول) • فيما ورد فى فضله على الجملة أخرج الترمذى والدارمى وغيرهما من طريق الحارث الاعور على سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثر الرد ولا تنقضى عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم (وأخرج) الدارمى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا القرآن أحب الى الله من السموات والارض ومن فيهن (وأخرج) أحمد والترمذى من حديث شداد ابن أوس مامن مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى الا وكل الله به ملكا يحفظه فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب (وأخرج) الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من يجد ولا يجهل مع من يجهل وفى جوفه كلام الله (واخرج) البزار من حديث أنس أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره (واخرج) الطبرانى من حديث ابن عمر ثلاثة لا يهولهم الفزع الاكبر ولا ينال الحساب هم على كثب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون الحديث (وأخرج) أبو يعلى والطبرانى من حديث أبى هريرة القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه (وأخرج) أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر لو كان القرآن فى أهاب ما أكلته النار وقال أبو عبيد أراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذى قد وعى القرآن وقال غيره معناه ان من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير وقال ابن الانبارى

عنه بنقل الناقلة اليه أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج فى النقل إلى شروط وليس بصير القرآن بهذا النقل معجزا كذلك لا يصير معجزا بأن يعلم العربى الذى ليس ببليغ انهم قد عجزوا عنه بأبلغهم بل هو معجز فى نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم بعجزهم عنه

*(فصل فى قدر المعجز من القرآن)

الذى ذهب اليه عامة اصحابنا وهو قول أبى الحسن الاشعرى فى كتبه أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة او ما كان بقدرها قال فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهى معجزة

معناه أن النار لا تبطله ولا تقله من الاسماع التى وعته والافهام التى حصلته كقوله فى الحديث الآخر وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء أى لا يبطله ولا يقله من أوعيته الطيبة ومواضعه لانه وإن غسله الماء فى الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب وعند الطبرانى من حديث عصمة بن مالك لو جمع القرآن فى إهاب ما أحرقته النار وعنده من حديث سهل بن سعد لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار (وأخرج) الطبرانى فى الصغير من حديث أنس من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله مع السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له (وأخرج) أبو عبيدة عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله إمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار (وأخرج) الطبرانى من حديث أنس حملة القرآن عرفاء أهل الجنة (وأخرج) النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته (وأخرج) مسلم وغيره من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايحب أحدكم اذا رجع الى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاة خير له من ثلاث خلفات سمان (وأخرج) مسلم من حديث جابر بن عبد الله خير الحديث كتاب الله (وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن فى سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (وأخرج) الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة مامن رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيامة بتاج فى الجنة (وأخرج) أبو داود أحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن فاكمله وعمل به ألبس والده تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا (وأخرج) الترمذى وابن ماجه واحمد من حديث على من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار (واخرج) الطبرانى من حديث أبى أمامة من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك فى وجهه (وأخرج) الشيخان وغيرهما من حديث عائشة الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (وأخرج) الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء عجلها فى الدنيا وان شاء ادخرها له فى الآخرة (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن أبى موسى مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها (وأخرج) الشيخان من حديث عثمان خيركم وفى لفظ إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه زاد البيهقى فى الاسماء وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه (واخرج) الترمذى والحاكم من حديث ابن عباس أن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب (وأخرج) ابن ماجه من حديث أبى ذر لان تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك أن تصلى مائة ركعة (واخرج) الطبرانى من حديث ابن عباس من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب (واخرج) ابن أبى شيبة من حديث أبى شريح الخزاعى أن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا (واخرج) الديلمى من حديث على حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله (واخرج) الحاكم من حديث ابى هريرة يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يارب حله فيلبس تاج الكرامه

وقد حكى عنهم نحو قولنا الا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم يأتوا لشىء منها بمثل فعلم أن جميع ذلك معجز وأما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس بمخالف لهذا لان الحديث التام لا تتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكد ما ذهب اليه اصحابنا ويؤيده وإن كان قد يتأول قوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا إلى القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) على القبيل لانه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من أوله الى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال

ثم

ثم يقول يارب زده يارب ارض عنه ويقال له اقرأ وارق ويزاد له بكل آية حسنة (وأخرج) من حديث عبدالله بن عمر الصيام والقرآن يشفعان للعبد (وأخرج) من حديث ابى ذر انكم لاترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن

. (الفصل الثاني) . فيما ورد في فضل سور بعينها ماورد في الفاتحة (أخرج) الترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي بن كعب مرفوعا ماأنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل ام القرآن وهي السبع المثاني (وأخرج) أحمد وغيره من حديث عبدالله بن جابر أخير سورة في القرآن الحمدلله رب العالمين (وللبيهقي) في الشعب والحاكم من حديث أنس أفضل القرآن الحمدلله رب العالمين وللبخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين (وأخرج) عبد الله في مسنده من حديث ابن عباس فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن . ماورد في البقرة وآل عمران (أخرج) أبو عبيد من حديث أنس أن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وعبدالله بن مغفل (وأخرج) مسلم والترمذي من حديث النواس بن سمعان يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو غيابتان أوظلتان سوداوان بينهما شرف أوكأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما (وأخرج) أحمد من حديث بريدة تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أوغيابتان أوفرقان من طير صواف (وأخرج) ابن حبان وغيره من حديث سهل بن سعد ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال (وأخرج) البيهقي في الشعب من طريق الصلصال من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة (وأخرج) أبو عبيد عن عمر بن الخطاب موقوفا من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كتب من القانتين (وأخرج) البيهقي من مرسل مكحول من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل

. (فصل) . ماورد في آية الكرسي أخرج مسلم من حديث أبي بن كعب أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي (وأخرج) الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي (وأخرج) الحارث بن أبي اسامة عن الحسن مرسلا أفضل القرآن سورة البقرة وأعظم آية فيها آية الكرسي (وأخرج) ابن حبان والنسائي من حديث أبي أمامة من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت (وأخرج) أحمد من حديث أنس آية الكرسي ربع القرآن (ماورد) في خواتيم البقرة (اخرج) الأئمة الستة من حديث أبي مسعود من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه (وأخرج) الحاكم من حديث النعمان ابن بشير أن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال (ماورد في آخر آل عمران) اخرج البيهقي من حديث عثمان بن عفان من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام (ماورد) في الأنعام (أخرج) الدارمي وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفا الانعام من نواجب القرآن (ماورد) في السبع الطوال (أخرج) أحمد والحاكم من حديث عائشة من أخذ السبع الطوال فهو حبر (ماورد) في هود (أخرج) الطبراني في الأوسط بسند واه من حديث علي لا يحفظ منافق سور براءة وهود ويس والدخان وعم يتساءلون

وهل تعرفون إعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ماتعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها فالجواب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل سورة قد علم كونها معجزة بعجز العرب عنها وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الأولى أسد وليس هذا الذي ذكرناه أخيرا بمناف له لأنه لايمتنع أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوافى عليه وتجتمع فيه واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الأولى تبين أن ماعلم به كون جميع القرآن معجزا موجود في كل سورة صغرت أوكبرت فيجب أن يكون الحكم في الكل واحدا أو الطريقة الأخيرة تتضمن تعذر معرفة إعجاز القرآن بالطريقة التي سلكناها

(ماورد) فى آخر الإسراء (أخرج) أحمد من حديث معاذ بن أنس آية العز وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) إلى آخر السورة (ماورد) فى الكهف (أخرج) الحاكم من حديث أبى سعيد من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين (وأخرج) مسلم من حديث أبى الدرداء من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (وأخرج) أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين الأرض والسماء (وأخرج) البزار من حديث عمر ومن قرأ فى ليلة فمن كان يرجو لقاء ربه الآية كان له نور من عدن إلى مكة حشوه الملائكة (ماورد) فى ألم السجدة (أخرج) أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع تجىء ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظلل صاحبها تقول لاسبيل عليك لاسبيل عليك (وأخرج) عن ابن عمر موقوفا قال فى تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرهما من سور القرآن (ماورد) فى يس (اخرج) أبو داود والنسائى وابن حبان وغيرهم من حديث معقل بن يسار يس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له إقرءوها على موتاكم (وأخرج) الترمذى والدارمى من حديث أنس إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات (وأخرج) الدارمى والطبرانى من حديث أبى هريرة من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له (وأخرج) الطبرانى من حديث أنس من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا (ماورد) فى الحواميم (اخرج) أبو عبيد عن ابن عباس موقوفا إن لكل شىء لبابا ولباب القرآن الحواميم (واخرج) الحاكم عن ابن مسعود موقوفا الحواميم ديباج القرآن (ماورد فى الدخان) (اخرج) الترمذى وغيره من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك (ماورد فى المفصل) أخرج الدارمى عن ابن مسعود موقوفا إن لكل شىء لبابا وإن لباب القرآن المفصل (الرحمن) اخرج البيهقى من حديث على مرفوعا لكل شىء عروس وعروس القرآن الرحمن (المسبحات) اخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن عرباض بن سارية أن النبى ﷺ كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ويقول فيهن آية خير من ألف آية قال ابن كثير فى تفسيره الآية المشار اليها قوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (وأخرج) ابن السنى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا (وأخرج) الترمذى من حديث معقل بن يسار من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة (وأخرج) البيهقى من حديث أبى امامة من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (تبارك) اخرج الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذى بيده الملك (واخرج) الترمذى من حديث ابن عباس هى المانعة هى المنجية تنجى من عذاب القبر (وأخرج) الحاكم من حديثه وددت أنها فى قلب كل مؤمن تبارك الذى بيده الملك (وأخرج) النسائى من حديث ابن مسعود من قرأ تبارك الذى بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر. الأعلى (اخرج) أبو عبيد عن أبى تميم قال قال رسول الله ﷺ إنى نسيت أفضل المسبحات فقال أبى بن كعب فلعلها سبح اسم ربك الأعلى قال نعم (القيامة) اخرج أبو نعيم فى الصحابة من حديث اسمعيل بن أبى حكيم المزنى الصحابى مرفوعا إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى (زلزلة)

فى بناء من التفصيل الذى بينا فيما يعرف به فى الكلام الفصاحة وتتبين فيه البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوى فى هذا القدر البليغ وغيره فى أن لا يعلمه معجزا حتى يستدل به من وجه آخر سوى مايعلمه البلغاء من التقدم فى الصنعة وهذا غير ممتنع ألا ترى أن الاعجاز فى بعض السور والآيات أظهر وفى بعضها أغمض وأدق فلا يفتقر البليغ فى النظر فى حال بعضها إلى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفتقر فى بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل إلى المطلب ولا يمتنع أن يذهب عليه الوجه فى بعض السور فيحتاج أن يفزع فيه إلى إجماع أو توقيف أوما علمه من عجز العرب قاطبة عنه فان ادعى ملحد أو زعم زنديق أنه لايقع العجز عن الاتيان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا

أخرج الترمذي من حديث انس من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن (العاديات) أخرج أبو عبيد من مرسل الحسن إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن والعاديات تعدل بنصف القرآن (الهاكم) أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعا لا يستطيع أحدكم ان يقرأ ألف آية كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال اما يستطيع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر (الكافرون) أخرج الترمذي من حديث انس قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن (وأخرج) ابو عبيد من حديث ابن عباس قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن (وأخرج) احمد والحاكم من حديث نوفل بن معاوية اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك (وأخرج) أبو يعلى من من حديث ابن عباس الا ادلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرءون قل يا أيها الكافرون عند منامكم (النصر) أخرج الترمذي من حديث انس إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن (الاخلاص) أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن (وفي الباب) عن جماعة من الصحابة (وأخرج) الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن الشخير من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة (وأخرج) الترمذي من حديث انس من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتي مرة محى عنه ذنوب خمسين الا أن يكون عليه دين ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة (وأخرج) الطبراني من حديث ابن الديلمي من قرأ قل هو الله احد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار (وأخرج) في الاوسط من حديث أبي هريرة من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران ومن قرأها ثلاثين بنى له ثلاث (وأخرج) في الصغير من حديثه من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ اذا اتقى (المعوذتان) أخرج احمد من حديث عقبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا اعلمك سورا ما انزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قلت بلى قال قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) أيضا من حديث ابن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قال بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) ابو داود والترمذي عن عبد الله بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ (وأخرج) ابن السني من حديث عائشة من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى وبقيت أحاديث من هذا الفصل أخرتها إلى نوع الخواص

(فصل). اما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فانه موضوع كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي انه قيل لابي عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال اني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي بن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة (وروى) ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال قلت لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الاحاديث من قرأ كذا فله كذا قال وضعتها ارغب الناس فيها وروينا عن المؤمل ابن اسمعيل قال حدثني شيخ بحديث ابي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت اليه فقلت له

المقدار قلنا ان الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز العرب عنه ثم فيه شيء آخر وهو أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد لانه يزعم انه ليس في القرآن كله اعجاز فكيف يجوز ان يناظره على تفصيله وإذا ثبت لنا معه اعجازه في السور الطوال قامت الحجة عليه وثبتت المعجزة ولا معنى لطلبه لكثرة الادلة والمعجزات ونحن نعلم أن اعجاز البعض بما بيناه والبعض الآخر بانه اذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك الا قولنا لانا عرفنا في البعض الاعجاز بما بينا ثم عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بممتنع اختلاف حال الكلام حتى يكون الاعجاز على بعضه اظهر وفي بعضه أغمض ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموما على ما قال الله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) وقال (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة

من حدثك قال حدثنى شيخ بواسط وهو حى فصرت اليه فقلت له من حدثك قال حدثنى شيخ بالبصرة فصرت اليه فقلت له من حدثك فقال حدثنى شيخ بعبادان فصرت اليه فأخذ بيدى فأدخلنى بيتا فاذا فيه من المتصوفة وبينهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثنى فقلت ياشيخ من حدثك فقال لم يحدثنى أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن قال ابن الصلاح ولقد اخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم .

.( النوع الثالث والسبعون ). فى افضل القرآن وفاضله اختلف الناس هل فى القرآن شىء أفضل من شىء فذهب الامام ابو الحسن الاشعرى والقاضى ابو بكر الباقلانى وابن حبان إلى المنع لان الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وروى هذا القول عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها وقال ابن حبان فى حديث أبى ابن كعب ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل ام القرآن إذ الله لا يعطى لقارىء التوراة والانجيل من الثواب ما يعطى لقارىء ام القرآن اذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه قال وقوله أعظم سورة اراد به فى الاجر لا لان بعض القرآن أفضل من بعض وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الاحاديث منهم اسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربى والغزالى وقال القرطبى انه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين وقال الغزالى فى جواهر القرآن لعلك أن تقول قد أشرت الى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضه بعضا وكيف يكون بعضه اشرف من بعض (فاعلم) ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسى وآية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذى انزل عليه القرآن وقال يس قلب القرآن وفاتحة الكتاب افضل سور القرآن وآية الكرسى سيدة آى القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والاخبار الواردة فى فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب فى تلاوتها لا تحصى اه وقال ابن الحصار العجب ممن يذكر الاختلاف فى ذلك مع النصوص الوارة بالتفضيل وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام كلام الله فى الله افضل من كلامه فى غيره فقل هو الله أحد افضل من تبت يدا أبى لهب وقال الخويى كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين وهو يجوز أن يقال بعض كلامه ابلغ من بعض الكلام جوزه قوم لقصور نظرهم وينبغى أن تعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا ان هذا فى موضعه له حسن ولطف وذاك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى موضعه اكمل من ذاك فى موضعه فان من قال ان قل هو الله احد أبلغ من تبت يدا أبى لهب يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب وبين التوحيد والدعاء على الكافر وذلك غير صحيح بل ينبغى ان يقال تبت يدا أبى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران احسن من هذه وكذلك فى قل هو الله أحد لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها فالعالم إذا نظر إلى تبت يدا أبى لهب فى باب الدعاء بالخسران ونظر إلى قل هو الله أحد فى باب التوحيد لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر اهو قال غيره اختلف القائلون فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انتقالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلى وقيل بل يرجع لذات اللفظ وان ماتضمنه قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وآية الكرسى وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا فى تبت يدا أبى لهب وما كان مثلها فالتفضيل

المؤمنين فظاهره عند بعض أهــل التأويل كالدليل على أن الشفاء ببعضه أوقع وان كنا نقول انه يدل على أن الشفاء فى جميعه واعلم ان الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة يتيمة ويسمون البيت الواحد يتيما سمعت اسماعيل ابن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلبا يقول سمعت الفراء يقول العرب تسمى البيت الواحد يتيما وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها فاذا بلغ البيتين والثلاثة فهى نتفة وإلى العشرة تسمى قطعة وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيدا وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله الرئيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد
فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما ألقت ذكاء يمينها فى كافر
يريد بيض النعام لانه ينضد بعضه على بعض

انما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها وقال الحليمى ونقله عند البيهقى معنى التفضيل يرجع الى أشياء أحدها أن يكون العمل باية أولى من العمل باخرى وأعود على الناس وعلى هذا يقال آية الامر والنهى والوعد والوعيد خير من آيات القصص لانها انما أريد بها تأكيد الامر والنهى والانذار والتبشير ولا غنى بالناس عن هذه الامور وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو أعود عليهم وانفع لهم مما يجرى) مجرى الاصول خيرالهم مما يجعل تبعا لما لابد منه (الثانى) أن يقال الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل بمعنى ان مخبراتها أسنى وأجل قدرا (الثالث) أن يقال سورة خير من سورة وآية خير من آية بمعنى أن القارى يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كقراءة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين فان قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى والاعتصام بالله ويتأدى بتلاوتها عبادة الله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس الى فضل ذلك الذكر وبركته (فأما آيات الحكم) فلا يقع بنفس تلاوتها اقامة حكم وانما يقع بها علم ثم لو قيل فى الجملة ان القرآن خيرة من التوراة والانجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع بهدونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها أو أنه من حيث الاعجاز حجة النبى المبعوث وتلك الكتب لم تكن حجة ولا كانت حجج أولئك الانبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها وكان ذلك أيضا نظير ما مضى وقد يقال إن سورة أفضل من سورة لان الله جعل قراءتها كقراءة اضعافها مما سواها وأوجب بها من الثواب مالم يوجب بغيرها وان كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا كما يقال أن يوما أفضل من يوم وشهرأفضل من شهر بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره والذنب فيه أعظم من غيره وكما يقال إن الحرم أفضل من الحل لانه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى فى غيره والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره اه كلام الحليمى وقال ابن التين فى حديث البخارى لأعلمنك سورة هى أعظم السور معناه أن ثوابها أعظم من غيرها وقال غيره انما كانت أعظم السور لانها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن وقال الحسن البصرى ان الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقى وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشرى باشتمالها على الثناء على الله تعالى بما هو أهله وعلى التعبد والنهى وعلى الوعد والوعيد وآيات القرآن لا تخلو عن احد هذه الامور وقال الامام فخر الدين المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الالهيات والمعادن والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الالهيات وقوله مالك الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين يدل على نفى الجبر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يدل على اثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الاربعة وهذه السورة مشتملة عليها أم القرآن وقال البيضاوى هى مشتملة على الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وقال الطيبى هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين احدها علم الأصول ومعاقدة معرفة الله تعالى وصفاته واليها الاشارة بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوة وهى المراد بقوله أنعمت عليهم ومعرفة المعاد وهو المومى اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأسه العبادات وهو المراد بقوله اياك نعبد وثالثها علم ما يحصل به الكمال وهو علم الاخلاق وأجله الوصول الى الحضرة الصمدانية والالتجاء

وكذلك يقع فى الكلام البيت الوحشى النادر والمثل السائر والمعنى الغريب والشىء الذى لو اجتهد له لم يقع عليه فيتفق له ويصادفه قال لى بعض علماء هذه الصنعة وجاريته فى ذلك ان هذا مما لا سبب له يخصه وانما سببه القرارة فى أصل الصنعة والتقدم فى عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب وما يشذ عن تفصيل الحساب فأما ما قلنا من ان ما بلغ قدر السورة معجز فان ذلك صحيح

(فصل فى أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة). ذهب أبو الحسن الاشعرى الى أن ظهور ذلك على النبى ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين والذى نقوله فى هذا أن الاعجمى لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من لم

الى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها واليه الاشارة بقوله واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والأخبار عن الامم السالفة والقرون الخالية السعداء منهم والاشقياء ومايتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال الغزالى مقاصد القرآن ستة ثلاثة مهمة وثلاثة متمة الأولى تعريف المدعو اليه كما أشير اليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى وهو الآخرة كما أشير اليه بملك يوم الدين والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير اليه بقوله الذى أنعمت عليهم وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير اليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين وتعريف منازل الطريق كما أشير اليه بقوله اياك نعبد واياك نستعين اه ولا ينافى هذا وصفها فى الحديث الآخر بكونها ثلثى القرآن لان بعضهم وجهه بان دلالات القرآن العظيم اما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام دون المطابقة وهذه السور تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان ذكره الزركشى فى شرح التنبيه وناصر الدين بن الميلق قال وأيضا الحقوق ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله وحق بعض العباد على بعض وقد اشتملت الفاتحة صريحا عن الحقين الأولين فناسب كونها بصريحها ثلثين وحديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين شاهد لذلك قلت ولا تنافى أيضا بين كون الفاتحة أعظم السور وبين الحديث الآخر ان البقرة أعظم السور لان المراد بها ماعدا الفاتحة من السور التى فصلت فيها الأحكام وضربت الأمثال وأقيمت الحجج اذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن قال ابن العربى فى أحكامه سمعت بعض أشياخى يقول فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر ولعظيم فقهها أقام ابن عمر ثمانى سنين على تعلمها أخرجه مالك فى الموطأ قال ابن العربى أيضا وانما صارت آية الكرسى أعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشىء انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وهى فى آى القرآن كسورة الاخلاص فى سورة الا ان سورة الاخلاص تفضلها بوجهين أحدهما أنها سورة وهذه آية والسورة أعظم لأنه وقع التحدى بها فهى أفضل من الآية التى لم يتحد بها والثانى أن سورة الاخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفا وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا فظهرت القدرة فى الاعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشرة وذلك بيان لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية وقال ابن المنير اشتملت آية الكرسى على مالم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض وهى الله هو الحى القيوم ضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤده ضمير حفظهما المستتر الذى هو فاعل المصدر وهو العلى العظيم (وان عددت الضمائر) المتحملة فى الحى القيوم العلى العظيم والضمير المقدر قبل الحى على أحد الاعاريب صارت اثنين وعشرين وقال الغزالى انما كانت آية الكرسى سيدة الآيات لانها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك ومعرفة ذلك هى المقصود الاقصى فى العلوم وماعداه تابع له والسيد اسم للمتبوع المقدم فقوله الله اشارة الى الذات لا اله الا هو اشارة الى توحيد الذات الحى القيوم اشارة الى صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم غيره وذلك غاية الجلال والعظمة (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة (له ما فى السموات وما فى الارض) اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه واليه (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اشارة الى انفراده بالملك والحكم والامر وان من يملك

يكن بليغا فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجز عن الاتيان بمثله ويعلم عجز غيره بمثل مايعرف عجز نفسه كما أنه اذا علم الواحد منا أنه لايقدر على ذلك وهو يعلم عجز غيره استدلالا

. (فصل فيما يتعلق به الاعجاز) .

ان قال قائل بينوا لنا ما الذى وقع التحدى اليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك قيل الذى تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها مطردة كاطرادها ولم يتحدهم الى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذى لامثل له وان كان كذلك فالتحدى واقع الى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التى هى عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها وهى حكاية لكلامه ودلالات عليه وامارات له على أن

الشفعاء انما يملكها بتشريفه اياه والاذن فيها . وهذا نفى الشركة عنه فى الحكم والامر (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الى قوله شاء اشارة الى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لاعلم لغيره الا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وارادته (وسع كرسيه السموات والارض) اشارة الى عظمة ملكه وكمال قدرته (ولا يؤوده حفظهما) اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان (وهو العلى العظيم) اشارة الى أصلين عظيمين فى الصفات فاذا تأملت هذه المعانى ثم تأملت هذه المعانى ثم تلوت جميع آى القرآن لم تجد جملتها مجموعة فى آية واحدة فان شهد الله ليس فيها الا التوحيد وسورة الاخلاص ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال والفاتحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة والثلاثة مجموعة مشروحة فى آية الكرسى والذى يقرب منها فى جمعها آخر الحشر وأول الحديد لكنها آيات لا آية واحدة فاذا قابلت آية الكرسى باحد تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة على الآى كيف وفيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر اه كلام الغزالى ثم قال انما قال صلى الله عليه وسلم فى الفاتحة أفضل وفى آية الكرسى سيدة لسر وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل فان الفضل هو الزيادة والافضل هو الازيد وأما السودد فهو رسوخ معنى الشرف الذى يقتضى الاستتباع ويأبى التبعية والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل وآية الكرسى تشتمل على المعرفة العظمى التى هى المقصودة المتبوعة التى تتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق (ثم) قال فى حديث قلب القرآن يس ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهو مقرر فى هذه السور بأبلغ وجه فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الامام فخر الدين وقال النسفى يمكن أن يقال أن هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو القدر الذى يتعلق بالقلب والجنان وأما الذى باللسان والاركان ففى غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لاغير سماها قلبا ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لان فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والاعضاء ساقطة لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة فى قلبه ويشتد تصديقه بالاصول الثلاثة اه (واختلف الناس) فى معنى كون سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن فقيل كانه صلى الله عليه وسلم سمع شخصا يكررها تكرار من يقرأ ثلث القرآن فخرج الجواب على هذا وفيه بعد عن ظاهر الحديث وسائر طرق الحديث ترده وقيل لان القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورة الاخلاص كلها صفات فكانت ثلثا بهذا الاعتبار وقال الغزالى فى الجواهر معارف القرآن المهمة ثلاثة معرفة التوحيد والصراط المستقيم والآخرة وهى مشتملة على الاول فكانت ثلثا وقال أيضا فيما نقله عنه الرازى يشتمل القرآن على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته أما صفات الحقيقة وأما صفات الفعل وأما صفات الحكم فهذه ثلاثة أمور وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة فهى ثلث (وقال) الخويى المطالب التى فى القرآن معظمها الاصول الثلاثة التى بها يصح الاسلام ويحصل الايمان وهى معرفة الله والاعتراف بصدق رسوله واعتقاد القيام بين يدى الله تعالى فان من عرف أن الله واحد وأن النبى صادق وأن الدين واقع صار مؤمنا حقا ومن أنكر شيئا منها كفر قطعا وهذه السورة تفيد الاصل الاول فهى ثلث القرآن من هذا وقال غيره القرآن قسمان خبر وانشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة أثلاث وسورة الاخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهى بهذا الاعتبار ثلث وقيل تعدل فى الثواب وهو الذى يشهد له ظاهر الحديث والاحاديث الواردة فى سورة الزلزلة والنصر

يكون مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى به النبى صلى الله عيله وسلم ولا يجب أن يقدر مقدر أو يظن ظان أنا حين قلنا إن القرآن معجز فانه تحداهم الى أن يأتوا بمثله أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزا لكونه عبارة عن الكلام القديم لان التوراة والانجيل عبارة عن الكلام القديم وليس ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وكذلك ما دون الآية كاللفظة عبارة عن كلامه وليست بمنفردها بمعجزة وقد جوز بعض أصحابنا أن يتحداهم الى مثل كلامه القديم القائم بنفسه والذى عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب الناس ولم يجب أن نفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذى حكيناه وما يتصل به لانه خارج عن غرض كتابنا الان

والكافرون لكن ضعف ابن عقيل ذلك وقال لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات وقال ابن عبد البر السكوت فى هذه المسئلة أفضل من الكلام فيها وأسلم ثم أسند الى أسحق بن منصور (قلت) لاحمد بن حنبل قوله ﷺ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ماوجهه فلم يقم لى فيها على أمر وقال لى اسحق بن راهويه معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا فى الثواب لمن قرأه تحريضا على تعليمه لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتى مرة وقال ابن عبد البر فهذا أن إما مان بالسنة ماقاما ولا قعدا فى هذه المسئلة وقال ابن الميلق فى حديث أن الزلزلة نصف القرآن لان أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها اجمالا وزادت على القارعة باخراج الاثقال وتحديد الاخبار (وأما) تسميتها فى الحديث الآخر ربعا فلان الايمان بالبعث ربع الايمان فى الحديث الذى رواه الترمذى لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر فاقتضى هذا الحديث أن الايمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الايمان الكامل الذى دعا اليه القرآن (وقال أيضا) فى سر كون ألهاكم تعدل ألف آية إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر فاذا تركنا الكسر كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها فيما ذكره الغزالى ستة ثلاث مهمة وثلاث متمة وتقدمت واحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية افخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس (وقال أيضا) فى سر كون سورة الكافرون ربعا وسورة الاخلاص ثلثا مع أن كلا منهما يسمى الاخلاص أن سورة الاخلاص اشتملت من صفات الله على مالم تشتمل عليه الكافرون وأيضا فالتوحيد اثبات الهية المعبود وتقديسه ونفى الهية ماسواه وقد صرحت الاخلاص بالاثبات والتقديس ولوحت الى نفى عبادة غيره والكافرن صرحت بالنفى ولوحت بالاثبات والتقديس فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين مابين الثلث والربع اهـ (تذنيب) ذكر كثيرون فى أثر أن الله جمع علوم الاولين والآخرين فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرآن وعلومه فى الفاتحة فزادوا وعلوم الفاتحة فى البسملة وعلوم البسملة فى بائها ووجه بان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذه الباء باء الالصاق فهى تلصق العبد بجناب الرب وذلك كمال المقصود ذكره الامام الرازى وابن النقيب فى تفسيرهما

. (النوع الرابع والسبعون) . فى مفردات القرآن (أخرج) السلفى فى المختار من الطيوريات عن الشعبى قال لقى عمر بن الخطاب ركبا فى سفر فيهم ابن مسعود أمر رجلا يناديهم من أين القوم قالوا اقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق فقال عمران فيهم لعالما وأمر رجلا أن يناديهم اى القرآن أعظم فأجابهم عبد الله (الله لا اله الا هو الحى القيوم) قال نادهم أى القرآن أحكم فقال ابن مسعود (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) قال نادهم أى القرآن اجمع فقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال نادهم أى القران أحزن فقال من يعمل سوأ يجز به فقال نادهم أى القران أرجى فقال قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال أفيكم ابن مسعود قالوا نعم أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره بنحوه) وأخرج (عبد الرزاق أيضا مسعود قال أعدل آية فى القرآن إن الله يأمر بالعدل والاحسان وأحكم آية فمن يعمل مثقال ذرة الى آخرها وأخرج الحاكم عنه قال إن أجمع آية فى القرآن للخير والشر (إن الله يأمر بالعدل والاحسان)

الاعجاز وقع فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه والى مثل هذا النظم وقع التحدى فبينا وجه ذلك وكيفية مايتصور القول فيه وأزلنا توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شىء مؤتلف أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ماسبق من اطلاق القول فيما مضى

. (فصل فى وصف وجوه من البلاغة) .

ذكر بعض أهل الادب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان فاما الايجاز فانما يحسن مع ترك الاخلال باللفظ والمعنى فيأتى باللفظ القليل الشامل لامور كثيرة وذلك ينقسم إلى حذف وقصر فالحذف الاسقاط للتخفيف كقوله واسأل القرية

واخرج الطبرانى عنه قال مافى القرآن آية أعظم فرحا من آية فى سورة الغرف (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية ومافى القرآن آية أكثر تفويضا من آية فى سورة النساء القصرى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الآية وأخرج أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق ابن يعمر عن ابن عمر عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أعظم آية فى القرآن (الله لا اله إلا هو الحى القيوم واعدل آية فى القرآن إن الله يأمر بالعدل والاحسان إلى آخرها واخوف آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) إلى آخرها (وقد اختلف) فى أرجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا أحدها آية الزمر والثانى أولم تؤمن قال بلى أخرجه الحاكم فى المستدرك وأبو عبيد عن صفوان بن سليم قال التقى ابن عباس وابن عمرو وقال ابن عباس أى آية فى كتاب الله ارجى فقال عبد الله بن عمر قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال ابن عباس لكن قول الله (وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) قال فرضى منه بقوله بلى قال فهذا لما يعترض فى الصدر مما يوسوس به الشيطان ٭ الثالث ما أخرجه ابو نعيم فى الحلية عن على ابن أبى طالب انه قال انكم يامعشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن ياعبادى الذين أسرفوا الآية لكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهى الشفاعة ٭ الرابع ما أخرجه الواحدى عن على بن الحسين قال أشد آية على أهل النار فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وأرجى آية فى القرآن لاهل التوحيد ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية واخرج الترمذى وحسنه عن على قال أحب آية إلى فى القرآن ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية ٭ الخامس ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ابن المبارك ان أرجى آية فى القرآن قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم ٭ السادس ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن أبى عثمان الهندى قال مافى القرآن آية أرجى عندى لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا السابع والثامن قال أبو جعفر النحاس فى قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ان هذه لآية عندى أرجى آية فى القرآن إلا أن ابن عباس قال أرجى آية فى القرآن وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وكذا حكاه عنه مكى ولم يقل على احسانهم ٭ التاسع روى الهروى فى مناقب الشافعى عن ابن عبد الحكم قال سألت الشافعى أى آيه أرجى قال قوله يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال وسألته عن أرجى حديث للمؤمن قال إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه ٭ العاشر قل كل يعمل على شاكلته . الحادى عشر هل يجازى إلا الكفور . الثانى عشر انا قد أوحى إلينا ان العذاب على من كذب وتولى حكاه الكرمانى فى العجائب . الثالث عشر وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير حكى هذه الأقوال الأربعة النووى فى رؤوس المسائل والاخير ثابت عن على ففى مسند أحمد عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى العقوبة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحكم من أن يعود بعد عفوه . الرابع عشر قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال الشبلى إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا اتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها . الخامس عشر آية الدين ووجهه ان الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير فمقتضى ذلك يرجى عفوه عنهم لظهور العنايه العظيمة

وقوله طاعة وقول معروف وحذف الجواب كقوله (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) كأنه قيل لكان هذا القرآن والحذف ابلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب فى القصد من الجواب والايجاز بالقصد كقوله (ولكم فى القصاص حياة) وقوله (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) وقوله (انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) والاطناب فيه بلاغة فأما التطويل ففيه عى واما التشبيه بالعقد على ان احد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل كقوله (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وقوله (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) وقوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) وقوله (انما مثل الحياة

بهم (قلت) ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود أنه ذكر عنده بنو اسرائيل وما فضلهم الله به فقال كان بنو اسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبا اصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم والذى نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهى أحب إلى من الدنيا وما فيها (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله) الآية وما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن ابن عباس قال ثمانى آيات نزلت فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم الآية والرابعة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية والخامسة ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية والسادسة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية والسابعة ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية والثامنة والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) الآية وما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس أى آية أرجى فى كتاب الله قال قوله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على شهادة أن لا اله إلا الله (أشد آية) أخرج ابن راهويه فى مسنده أنبأنا أبو عمرو العقدى أنبأنا عبد الجليل بن عطية عن محمد بن المنتشر قال رجل لعمر بن الخطاب انى لاعرف أشد آية فى كتاب الله تعالى فأهوى عمر فضربه بالدرة وقال مالك نقبت عنها حتى علمتها ماهى قال من يعمل سوأ يجز به فما منا أحد يعمل سوأ الا جزى به فقال عمر لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) (وأخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمى عن أشد آية فى كتاب الله تعالى على أهل النار فقال فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وفى صحيح البخارى عن سفيان قال ما فى القرآن آية أشد على من لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال ما فى القرآن أشد توبيخا من هذه الآية لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت الآية (وأخرج) ابن المبارك فى كتاب الزهد عن الضحاك بن مزاحم قرأ قول الله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت قال والله ما فى القرآن آية أخوف عندى منها (وأخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال ما أنزلت على النبى ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه الآية (وأخرج) ابن المنذر عن ابن سيرين لم يكن شىء عندهم أخوف من هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وعن أبى حنيفة أخوف آية فى القرآن واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال غيره سنفرغ لكم أيها الثقلان ولهذا قال بعضهم لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم وفى النوادر لابن أبى زيد قال مالك أشد آية على أهل الاهواء قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية فتأولها على أهل الاهواء انتهى (وأخرج) ابن أبى حاتم عن أبى العالية قال آيتان فى كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وقال السعيدى سورة الحج من أعاجيب القرآن فيها مكى ومدنى وحضرى وسفرى وليلى ونهارى وحربى وسلمى وناسخ ومنسوخ فالمكى من رأس الثلاثين إلى آخرها والمدنى من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين والليلى خمس آيات من أولها والنهارى من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة والحضرى إلى رأس العشرين (قلت) والسفرى أولها والناسخ أذن للذين يقاتلون الآية والمنسوخ الله يحكم بينكم الآية نسختها آية السيف وقوله وما أرسلنا من قبلك الآية نسخها سنقرئك فلا تنسى وقال الكرمانى ذكر المفسرون ان قوله تعالى يا أيها الذين امنوا شهادة بينكم الآية

الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) وقوله (إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وقوله (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقوله (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وقوله (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) وقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا) وقوله تعالى (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث) وقوله (كأنهم اعجاز نخل خاوية) وقوله (مثل الذين

من اشكل آية فى القرآن حكما ومعنى واعرابا وقال غيره قوله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم) الآية جمعت أصول أحكام الشريعة كلها الأمر والنهى والإباحة والخبر وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قيل هو قصة يوسف وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس وإطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق وقال ذكر أبو عبيدة عن رؤبة ما فى القرآن أغرب من قوله (فاصدع بما تؤمر) (وقال) ابن خالويه فى كتاب ليس فى كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية الاحرف واحد فى القرآن جمع اللغات الثلاث وهو قوله ماهن أمهاتهم قرأ الجمهور بالنصب وقرأ بعضهم بالرفع وقرأ ابن مسعود ماهن بأمهاتهم بالباء قال وليس فى القرآن لفظ على افعوعل إلا فى قراءة ابن عباس ألا أنهم يثنون صدورهم وقال بعضهم أطول سورة فى القرآن البقرة وأقصرها الكوثر وأطول آية فيه آية الدين وأقصر آية فيه والضحى والفجر وأطول كلمة فيه رسما فأسقيناكموه وفى القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم ثم أنزل عليكم من بعد الغم امنة الآية محمد رسول الله الآية وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا فى موضعين عقدة النكاح حتى لا ابرح حتى ولا كافان كذلك الا مناسككم ما سلككم ولا غينان كذلك الا ومن يبتغ غير الإسلام ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافا الا آية الدين ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفا الا آيتا المواريث ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات الا والعصر إلى آخرها ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفا الا سورة الرحمن ذكرا كثر ذلك ابن خالويه وقال أبو عبد الله الخبازى المقرى اول ما وردت على السلطان محمود بن ملكشاه سألنى عن آية أولها غين فقلت ثلاثة غافر الذنب وآيتان بخلف غلبت الروم غير المغضوب عليهم ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر فى القرآن أربع شدات متوالية قوله نسيا رب السموات فى بحر لجى يغشاه موج قولا من رب رحيم ولقد زينا السماء.

*(النوع الخامس والسبعون)* فى خواص القرآن أفرده بالتأليف جماعة منهم التميمى وحجة الاسلام الغزالى ومن المتأخرين اليافعى وغالب ما يذكر فى ذلك كان مستنده تجارب الصالحين وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك فى الحديث ثم التقط عيونا مما ذكر السلف والصالحون (أخرج) ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقرآن وأخرج أيضا من حديث على خير الدواء القرآن وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة (وأخرج) البيهقى فى الشعب عن واثلة بن الأسقع أن رجلا شكى إلى النبى ﷺ وجع حلقه قال عليك بقراءة القرآن (وأخرج) ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال انى اشتكى صدرى قال اقرأ القرآن يقول الله تعالى وشفاء لما فى الصدور (وأخرج) البيهقى وغيره من حديث عبدالله بن جابر فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء (وأخرج) الخلعى فى فوائده من حديث جابر بن عبدالله فاتحة الكتاب شفاء من كل شىء إلا السام والسام الموت (وأخرج) سعيد بن منصور والبيهقى وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى فاتحة الكتاب شفاء من السم (وأخرج) البخارى من حديثه أيضا قال كنا فى مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحى سليم فهل معكم راق فقام معها رجل فرقاه بأم القرآن فبرئ فذكر للنبى ﷺ فقال وما كان يدريه أنها رقية (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط عن السائب بن يزيد قال عوذنى رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب تفلا (وأخرج) البزار من حديث أنس إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شىء إلا الموت (وأخرج) مسلم

اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وقوله (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) وقوله (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) ونحو ذلك ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وكقوله (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وكقوله (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) فالدمغ والقذف مستعار وقوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وقوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذو دعاء عريض وقوله تضع الحرب أوزارها وقوله والصبح إذا تنفس وقوله مستهم البأساء والضراء

من حديث أبى هريرة ان البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان (وأخرج) عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أبى بن كعب قال كنت عند النبى ﷺ فجاء اعرابى فقال يانبى الله إن لى أخا وبه وجع قال وماوجعه قال به لمم قال فأتنى به فوضعه بين يديه فعوذه النبى صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين (والهكم اله واحد) وآية الكرسى وثلاث آيات من آخر سورة البقرة واية من ال عمران (شهد الله انه لا إله إلا هو) واية من الاعراف ان ربكم الله واخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق واية من سورة الجن وانه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث ايات من اخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قط (وأخرج) الدارمى عن ابن مسعود موقوفا من قرأ أربع ايات من أول سورة البقرة واية الكرسى وايتين بعد اية الكرسى وثلاثا من اخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شىء يكرهه ولا يقرآن على مجنون الا أفاق (وأخرج) البخارى عن أبى هريرة فى قصة الصدقة ان الجنى قال له إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى ﷺ أما انه صدقك وهو كذوب (وأخرج) المحاملى فى فوائده عن ابن مسعود قال قال رجل يارسول الله علمنى شيئا ينفعنى الله به قال اقرأ آية الكرسى فانه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك (وأخرج) الدينورى فى المجالسة عن الحسن أن النبى ﷺ قال ان جبريل أتانى فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى وفى الفردوس من حديث أبى قتادة من قرأ آية الكرسى عند الكرب أغاثه الله (وأخرج) الدارمى عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله قال من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها (وأخرج) الديلمى من حديث ابى هريرة مرفوعا ايتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله تعالى الآيتان من آخر سورة البقرة (وأخرج) الطبرانى عن معاذ أن النبى ﷺ قال له ألا أعلمك دعاء تدعو به لوكان عليك من الدين مثل ثبير أداه الله عنك (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب) رحمن الدنيا والاخرة ورحيمها تعطى من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمنى رحمة تغننى بها عن رحمة من سواك (وأخرج) البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنيها (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه ترجعون) (وأخرج) البيهقى فى الشعب بسند فيه من لا يعرف عن على موقوفا سورة الانعام ماقرئت على عليل الاشفاه الله تعالى (وأخرج) ابن السنى عن فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى وان ربكم الله الاية ويعوذاها بالمعوذتين (وأخرج) ابن السنى أيضا من حديث الحسين بن على امان لأمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقرءوا بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وماقدروا الله حق قدره الاية (واخرج) ابن أبى حاتم عن ليث قال بلغنى أن هؤلاء الايات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الاية التى فى سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر إلى قوله المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون الخ أربع آيات وقوله إنما صنعوا كيد ساحر الاية (واخرج) الحاكم وغيره من حديث ابى هريرة ما كربنى امر الا تمثل لى جبريل فقال يامحمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا (وأخرج) الصابونى فى المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا هذه الاية أمان

وقوله (فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) وقوله حصيدا خامدين وقوله (ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون) وقوله (وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) وقوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) وقوله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) وقوله (فضربنا على آذانهم) يريد أن لا احساس بآذانهم من غير صمم وقوله (ولما سقط فى أيديهم) وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف فى التأليف وهو نقيض التنافر كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده إلا بتتعتع فيه والتلاؤم على ضربين أحدهما فى الطبقة الوسطى كقوله

رمتنى وستر الله بينى وبينها

من السرق قل ادعو الله اوادعوا الرحمن الى آخر السورة (وآخرج) البيهقى فى الدعوات من حديث أنس ما أنعم الله على عبد نعمة أهل ولا مال او ولد فيقول ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت (وأخرج) الدارمى وغيره من طريق عبدة بن أبى لبابة عن زر بن حبيش قال من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك (وأخرج الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص دعوة ذى النون اذ دعابها وهو فى بطن الحوت ان لا إله لا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط الا استجاب الله له وعند ابن السنى انى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وأخرج) البيهقى وابن السنى وأبو عبيدة عن ابن مسعود أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت فى أذنيه قال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فقال لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال (وأخرج) الديلمى وأبو الشيخ ابن حبان فى فضائله من حديث أبى ذر مامن ميت يموت فيقرأ عنده يس الا هون الله عليه (وأخرج) المحاملى فى أماليه من حديث عبد الله بن الزبير من جعل يس أمام حاجة قضيت له وله شاهد مرسل عند الدارمى وفى المستدرك عن أبى جعفر محمد بن على قال من وجد فى قلبه قسوة فليكتب يس فى جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه (وأخرج) ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرىء (وأخرج) أيضا عن يحيى بن أبى كثير قال من قرأ يس اذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى ومن قرأها اذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح أخبرنا من جرب ذلك (وأخرج) الترمذى من حديث أبى هريرة ومن قرأ الدخان كلها وأول غافر الى اليه المصير وآية الكرسى حين يمسى حفظ بها حتى يصبح ومن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ورواه الدارمى بلفظ لم يرشيئا يكرهه (وأخرج) البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيدة عن ابن مسعود مرفوعا من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا (وأخرج) البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة تعسر عليها ولادتها قال يكتب فى قرطاس ثم تسقى بسم الله الذى لا اله الا هو الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (وأخرج) أبو داود عن ابن عباس قال اذا وجدت فى نفسك شيئا يعنى الوسوسة فقل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) (وأخرج) الطبرانى عن على قال لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ قل يا ايها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى الا بالمعوذات (وأخرج) الترمذى والنسائى عن ابى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ماسواها (فهذا) ماوقفت عليه فى الخواص من الأحاديث التى لم تصل الى حد الوضع ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين واما مالم يرد به اثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا الله اعلم بصحته (ومن) اطيف ماحكاه ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقول البغدادية قالت آذانا جار لنا فصليت ركعتين وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن وقلت اللهم اكفنا أمره ثم نمت وفتحت عينى واذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه فسقط ومات *(تنبيه)* قال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى اذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس

عشية أن أم الكناس رميم
رميم التى قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم أن لا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتنى رميتها
ولكن عهدى بالنضال قديم

قالوا والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن احساسا من بعض كما أن بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض والتلاؤم حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ ووقع المعنى فى القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافى والمتنافر كالخط القبيح فاذا انضاف الى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان فى أعلى الطبقات ظهر الاعجاز لمن كان جيد الطبع وبصيرا بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر والمتنافر ذهب الخليل إلى أنه من بعد شديد أوقرب شديد فاذا بعد فهو كالظفر واذا قرب جدا

الى الطب الجسمانى ( قلت ) ويشير الى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال وقال القرطبى تجوز الرقية بكلام الله تعالى واسمائه فان كان مأثورا استحب وقال الربيع سألت الشافعى عن الرقية فقال لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى وقال ابن بطال فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يكتفى بها وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة اذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معانى الكتاب فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها واثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار الى الرب فى طلب الاعانة به والهداية منه وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم الى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته وضال بعدم معرفته له مع ما تضمنته من اثبات القدر والشرع والاسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس واصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء اه (مسئلة) قال النووى فى شرح المهذب لو كتب القرآن فى اناء ثم غسله وسقاه لمريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وابو قلابة والاوزاعى لا بأس به وكرهه الخزاعى قال ومقتضى مذهبنا انه لا بأس به فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما لو كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله اه قال الزركشى وممن صرح بالجواز فى مسئلة الاناء العماد النيهى مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية لكن افتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب ايضا لانه يلاقيه نجاسة الباطن وفيه نظر

• ( النوع السادس والسبعون ) • فى مرسوم الخط وآداب كتابته أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الدانى والف فى توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشى كتابا سماه عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل بين فيه ان هذه الاحرف انما اختلف حالها فى الخط بحسب اختلاف أحوال معانى كلماتها وسأشير هنا الى مقاصد ذلك ان شاء الله تعالى (أخرج) ابن أشتة فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار قال اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فلما أصاب الارض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه فكان اسمعيل بن ابراهيم أصاب كتاب العرب ثم (اخرج) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أول من وضع الكتاب العربى اسمعيل وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابا واحدا مثل الموصول حتى فرق بينه ولده يعنى أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا بسم الله الرحمن الرحيم ثم فرقه من بنيه هميسع وقيذر ثم أخرج من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد وقال ابن فارس الذى نقوله ان الخط توقيفى لقوله تعالى (علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال ن والقلم وما يسطرون) وان هذه الحروف داخلة فى الاسماء التى علم الله آدم وقد ورد فى أمر أبى جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها وقد بسطتها فى تأليف مفرد

• (فصل) * القاعدة العربية ان اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه وقد مهد النحاة له أصولا وقواعد وقد خالفها فى بعض الحروف خط المصحف الامام وقال

كان بمنزلة نفى المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها وأما الفواصل فهى حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفيها بلاغة والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى والفواصل تابعة للمعانى والسجع كقول مسيلمة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تحتمل القوافى ما تحتمل الفواصل لانها ليست فى الطبقة العليا فى البلاغة لان الكلام يحسن فيها مجانسة القوافى واقامة الوزن وأما التجانس فيه بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة فالمزاوجة كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقوله (ومكروا ومكر الله) وكقول عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا

أشهب سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا الا على الكتبة الاولى (رواه) الدانى فى المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الامة وقال فى موضع آخر سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والالف أترى أن يغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك قال لا قال أبو عمرو يعنى الواو والالف المزيدتين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ نحو أولوا وقال الامام أحمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك (وقال) البيهقى فى شعب الايمان من يكتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئا فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم (قلت) وينحصر أمر الرسم فى ستة قواعد الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءتان فكتب على أحدهما (القاعدة الاولى) فى الحذف تحذف الالف من ياء النداء نحو يا أيها الناس ويا آدم يارب ياعبادى وهاء التنبيه نحو هؤلاء ها أنتم ونا مع ضمير نحو أنجينا كم آتيناه (ومن ذلك) وأولئك ولكن وتبارك وفروع الاربعة والله واله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع الا قل سبحان ربى وبعد لام نحو خلائف خلاف رسول الله سلام غلام ايلاف يلاف او بين لامين نحو الكلالة الضلالة خلال الديار للذى ببكة ومن كل علم زائد على ثلاثة كابراهيم وصالح وميكال الا جالوت وهامان ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه واسرائيل لحذف يائه (واختلف) فى هاروت وماروت وقارون ومن كل مثنى اسم أو فعل إن لم يتطرف نحو رجلان يعلمان اضلانا ان هذان الا اما قدمت يداك ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو اللاعنون ملاقوا ربهم الطاغون فى الذاريات والطور وكراما كاتبين والاروضات فى شورى وآيات للسائلين ومكر فى آياتنا وآياتنا بينات فى يونس والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات أو تشديد نحو الضالين والصافات فان كان فى الكلمة الف ثانية حذفت أيضا الا سبع سموات فى فصلت ومن كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو المساجد ومساكن واليتامى والنصارى والمساكين والخبائث والملائكة والثانية من خطايا كيف وقع ومن كل عدد كثلاث وثلاث وساحر الا فى آخر الذاريات فان ثنى فالفاه والقيامة وشيطان وسلطان وتعالى واللاتى واللائى وخلاق وعالم بقادر والاصحاب والانهار والكتاب ومنكر الثلاثة الى أربعة مواضع لكل اجل كتاب كتاب معلوم كتاب ربك فى الكهف وكتاب مبين فى النمل ومن البسملة بسم الله مجراها ومن أول الامر من سأل ومن كل ما اجتمع فيه الفان أو ثلاثة نحو ادم آخر أشفقتم أأنذرتهم غثاء ومن وراء كيف وقع إلا ماراى ولقد رأى فى النجم والا رأى والآن الا فمن يستمع الآن والالفان من الايكة الا فى الحجر وق وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا او جر نحو باغ ولا عاد والمضاف لها اذا نودى الا ياعبادى الذين أسرفوا ياعبادى الذين امنوا فى العنكبوت أولم يناد الاقل لعبادى أسر بعبادى فى طه وحم فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ومع مثلها نحو ولى والحواريين ومتكئين الاعاين ويحيى وهيء ومكر السيء وسيئه والسيئة افعيينا ويحيى مع ضمير لامفردا وحيث وقع أطيعون اتقون خافون ارهبون فارسلون واعبدون الا فى يس واخشون الا فى البقرة وكيدون الا فكيدونى جميعا واتبعون الا فى ال عمران وطه ولا تنظرون ولا تستعجلون ولا تكفرون ولا تقربون ولا تخزون ولا تفضحون ويهدين وسيهدين وكذبون يقتلون أو يكذبون ووعيد والجوار وبالوادى والمهتدى الا فى الاعراف وتحذف الواو مع أخرى نحو لا يستوون فأووا واذا الموؤدة يؤوسا وتحذف اللام مدغمة فى مثلها نحو الليل والذى الا الله واللهم واللعنة وفروعه واللهو واللغو واللؤلؤ واللات واللمم واللهب واللطيف واللوامة (فرع) فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة حذف الالف من مالك الملك

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهى كقوله تعالى (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقوله (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) (وأما التصريف فهو تصريف الكلام فى المعانى كتصريفه فى الدلالات المختلفة كتصريف الملك فى معانى الصفات فصرف فى معنى مالك وملك وذى الملكوت والمليك وفى معنى التمليك والتملك والاملاك وتصريف المعنى فى الدلالات المختلفة كما كرر من قصة موسى فى مواضع وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هى عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجبه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه لا بد من عالم وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح الا به كالصفة بضارب يدل على مضروب والتضمين كله ايجاز والتضمين الذى تدل

ذرية ضعافا مراغما خادعهم أكالون للسحت بالغ ليجادلوكم. باطل ما كانوا فى الاعراف وهود الميعاد فى الانفال ترابا فى الرعد والنمل وعم جذاذا يسارعون آية المؤمنون آية الساحر آية الثقلان أم موسى فارغا وهل يجازى من هود كاذب القاسية فى الزمر أثارة عاهد عليه الله ولا كذابا وحذف الياء من إبراهيم فى البقرة والداع اذا دعان ومن اتبعن وسوف يؤت الله وقد هدان تبع المؤمنون فلا تسئلن ما يوم يأت لانكلم حتى تؤتون موثقا تفندون المتعال متاب مآب عقاب فى الرعد وغافر فيها عذاب اشركتمون من قبل وتقبل دعاء لئن أخرتن أن يهدين أن ترن إن يؤتين أن تعلمن نبغ الخمسة فى الكهف أن لا تتبعن فى طه والبادوان الله لهاد ان يحضرون رب ارجعون ولا تكلمون يسقين يشفين يحيين واد النمل اتمدونن فما آتان تشهدون بهاد العمى كالجواب أن يردن الرحمن لاينقذون واسمعون لتردين صال الجحيم التلاق التناد ترجمون فاعتزلون يناد المنادى ليعبدون يطعمون تغن الداع مرتين فى القمر يسرا أكرمن ولى دين وحذفت الواو من ويدع الانسان ويمح الله فى شورى يوم يدع الداع سندع الزبانية (قال) المراكشى والسرفى حذفها من هذه الاربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود وأما ويدع الانسان فيدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع فى الخير بل اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير وأما ويمح الله الباطل فللاشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله وأما يدع الداع فللاشارة الى سرعة الدعاء وسرعة اجابة الداعين وأما الأخيرة فللاشارة إلى سرعة الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش (القاعدة الثانية) فى الزيادة زيدت الف بعد الواو وآخر اسم مجموع نحو بنوا إسرائيل ملاقوا ربهم أولوا الالباب بخلاف المفرد لذو علم الا الربا وأن أمرؤ هلك وآخر فعل مفرد او جمع مرفوع أو منصوب الا جاءوا وباءو واحيث وقع وعتوا عتوا فان فاءوا والذين تبوءو الدار عسى الله أن يعفو عنهم فى النساء سعوا فى آياتنا فى سبأ وبعد الهمزة المرسومة واوا نحو تفتؤا وفى مائة ومائتين والظنونا والرسولا والسبيلا ولا تقولن لشىء ولأاذبحنه ولأاوضعوا ولا الى الله ولا الى الجحيم ولا تيأسوا إنه لا ييأس أفلم ييأس وبين الياء والجيم فى جاى فى الزمر والفجر وكتبا بالهمزة مطلقا وزيدت ياء فى نبأ المرسلين وملائه وملائهم ومن آناى الليل فى طه من تلقاى نفسى من وراء حجاب فى شورى (وايتاء ذى القربى) فى النحل ولقاى الاخرة فى الروم (بأييكم المفتون) بنيناها بأييد أفائن مات أفائن مت وزيدت واو فى أولوا وأولئك وأولاء سأوريكم قال المراكشى وانما زيدت هذه الاحرف فى هذه الكلمات نحو جاى وبناى ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد والوعيد كما زيدت فى بأييد تعظيما لقوة الله تعالى التى بها السماء التى لا تشابهها قوة وقال الكرمانى فى العجائب كانت سورة الفتحة فى الخط قبل الخط العربى الفا وصورة الضمة واوا وصورة الكسرة ياء فكتب لا اوضعوا ونحوه بالالف مكان الفتحة وايتاى ذى القربى بالياء مكان الكسرة واولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الاول (القاعدة الثالثة) فى الهمز يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله اولا او وسطا او اخرا نحو ايذن واؤتمن والبأساء واقرأ وجئناك وهيء والمؤتون وتسوءهم الا فادارأتم ورءيا والرءيا وشطئه فحذف فيها وكذا أول الامر بعد فاء نحو فأتوا او واو نحو واتمروا والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالالف مطلقا اى سواء كان فتحا أو ضما أو كسرا نحو أيوب اذا اولوا سأصرف فبأى سأنزل الامواضع أئنكم لتكفرون ائنا لمخرجون فى النمل أئنا لتاركوا آلهتنا أئن لنا فى الشعراء أئذا متنا ائن ذكرتم أئنا أئمة لئلا لئن يومئذ حينئذ فيكتب فيها بالياء قل أؤنبئكم وهؤلاء فيكتب بالواو وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سأل سئل تقرؤه الا جزاؤه الثلاثة فى يوسف ولأملأن وامتلأت واشمأزت واطمأنوا فحذف فيها والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله

علیه دلالات القياس أيضا ايجاز وذكر أن (بسم الله الرحمن الرحيم) من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح فى الامور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهى الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه منها مبالغة فى الصفة المبنية لذلك كقولك رحمن عدل عن ذلك للمبالغة وكقوله غفار وكذلك فعال وفعول كقولهم شكور وغفور وفعيل كقوله رحيم وقدير ومن ذلك ان يبالغ باللفظه التى هى صفة عامة كقوله (خالق كل شىء) وكقوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وكقوله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وكقوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) وقد يدخل فيه الحذف الذى تقدم ذكر للمبالغة وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام كلام وحال واشارة وعلامة

فبحرفه نحو الخاطئة فؤادك ( سنقرئك ) وان كان ماقبله ساكنا حذف هو نحو يسئل لاتجئروا إلا النشأة وموئلا فى الكهف فان كان ألفا وهومفتوح فقدسبق انهاتحذف لاجتماعهامع ألف مثلها إذا لهمزح بصورتها نحو أبناءنا (وحذف معها) أيضافى قرآنا فى يوسف والزخرف وان ضم أو كسر فلانحو آباؤكم آبائهم إلاوقال أولياؤهم إلى أوليائهم فى الانعام إن أولياؤه فى الانفال نحن أولياؤكم فى فصلت وان كان بعده حرف يجانسه فقدسبق أيضا أنه يحذف نحو شنآن خاسئين يستهزءون وان كان آخرا فبحرف حركة ماقبله نحو سبأ شاطىء لؤلؤ الامواضع تفيؤ تفتؤا أتوكؤا الاتظمؤا مايعبؤا يبدؤا ينشؤا يدرؤا انبؤا قال الملؤا الأول فى قد أفلح والثلاثة فى النمل إلافى خمسة مواضع اثنان فى المائدة وفى الزمر وشورى والحشر شركاؤا فى الانعام وشورى يأتيهم أنبؤا فى الانعام والشعراء علماؤا فيه من عباده العلماؤ او الضعفاؤا فى ابراهيم وغافر فى أموالنا مانشاؤا ومادعؤا فى غافر شفعاؤا فى الروم ان هذا لهو البلاؤا المبين فى الدخان برآؤا منكم تكتب فى الكل بالواو فان سكن ماقبله حذف هو نحو ملء الأرض دفء شيء الخبء ماء الالتنؤا وان تبوؤا السوء كذا استثناه القراء (قلت) وعندى ان هذه الثلاثة لاتستثنى لأن الالف التى بعدالواو ليست صورة الهمزة بل هى المزيدة بعدواو الفعل (القاعدة الرابعة) فى البدل تكتب بالواو للتفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا غير مضافات والغداة ومشكاة والنجاة ومناة (وبالياء) كل ألف منقلبة عنها نحو يتوفيكم فى اسم أوفعل اتصل به ضمير أم لا لاقى ساكنا أم لا ومنه ياحسرتا ياأسفا الاتترا وكلتا وهدانى ومن عصانى والاقصى وأقصا المدينة وطغا الماء وسيماهم والاما قبلها ياء كالدنيا والحوايا الايحيي اسما وفعلا ويكتب بها إلى وعلى وانى بمعنى كيف ومتى وبلى وحتى ولدى إلالدا الباب ( ويكتب ) بالالف الثلاثى الواوى اسما أوفعلا نحو الصفا وشفا وعفا الاضحى كيف وقع ومازكى منكم ودحاها وتلاها وطحاها وسجا (وتكتب) بالالف نون التوكيد الخفيفة وإذا وبالنون كائن وبالهاء هاء التأنيث الارحمت فى البقرة والاعراف وهود ومريم والروم والزخرف (ونعمت) فى البقرة وآل عمران والمائدة وابراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور (وسنت) فى الانفال وفاطر وثانى غافر (وامرأت) مع زوجها وتمت كلمة ربك الحسنى فنجعل لعنت الله والخامسة ان لعنت الله (ومعصيت) فى قدسمع ان شجرت الزقوم قرت عين وجنت نعيم بقيت الله وياأبت واللات ومرضات وهيهات وذات وأنبت وفطرت (القاعدة) الخامسة فى الوصل والفصل توصل إلا بالفتح إلاعشرة ان لاأقول ان تقولوا فى الاعراف ان لاملجأ وفى هود ان لااله ان لاتعبدوا إلا الله انى اخاف ان لاتشرك فى الحج ان لاتعبدوا فى يس أن لاتعلوا فى لدخان ان لايشركن فى الممتحنة أن لايدخلنها فى ن (وبما) الامن ماملكت فى النساء والروم ومن مارزقنا كم فى المنافقين (وبمن) مطلقا وعما الاعن مانهوا عنه واما بالكسر إلاوامانرينك فى الرعد واما بالفتح مطلقا وعمن إلاويصرفه عن من يشاء فى النور عن من تولى فى النجم (وأمن) إلاأم من يكون فى النساء أم من اسس ام من خلقنا فى الصافات أم من يأتى آمنا (والم) بالكسر إلافان لم يستجيبوا لك فى القصص وفيما إلاأحدعشر فى مافعلن الثانى فى البقرة ليبلوكم فى ما فى المائدة والانعام قل لاأجد فى مااشتهت فى الانبياء فى ماأفضتم فى ماههنا فى الشعراء فى مارزقناكم فى الروم فى ماهم فيه فى ما كانوا فيه كلاهما فى الزمر وننشئكم فى مالا تعلمون (وانما) إلا ان ماتوعدون لآت فى الانعام وانما بالفتح إلاأن مايوعدون فى الحج. لقمان (وكلما) الاكل ماردوا إلى الفتنة من كل ماسألتموه وبئسما الامع اللام ونعما ومهما وربما وكانما ويكان وتقطع حيثما وان لم بالفتح وان لن إلافى الكهف والقيامة وان ما الافأينما تولوا أينما يوجهه واختلف فى ايما تكونوا يدرككم أينما كنتم تعبدون فى الشعراء أينما ثقفوا فى الاحزاب ولكى لاالافى آل عمران والحج والحديد

ويقع التفاضل فى البيان ولذلك قال عز من قائل (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقيل أعيا من باقل سئل عن ظبية فى يده بكم اشتراها فأراد ان يقول بأحد عشر فأشار بيديه مادا اصابعه العشر ثم أدلع لسانه وافلت الظبى من يده ثم البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا ان من الناس من يريد أن يأخذ اعجاز القرآن من وجوه البلاغة التى ذكرنا أنها تسمى البديع فى أول الكتاب مما مضت أمثلته فى الشعر ومن الناس من زعم انه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التى عددناها فى هذا الفصل واعلم ان الذى بيناه قبل هذا وذهبنا اليـــه هو سديد وهو ان هذه الأمور تنقسم فمنها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعلم فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن به وأما ما لا سبيل اليه بالتعلم والتعمل من البلاغات فذلك هو الذى يدل على اعجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة لتقف على ماذهبنا اليه

والثانى فى الاحزاب ويومهم ويحو فمال ولات حين وابن أم الا فى طه فكتبت الهمزة حينئذ واوا وحذفت
همزة ابن فصارت هكذا يبنؤم (القاعدة السادسة) فيما فيه قراءتان فكتبت على احداهما ومرادنا غير
الشاذ من ذلك مالك يوم الدين يخادعون وواعدنا والصاعقة والرياح وتفادوهم وتظاهرون ولا تقاتلوهم
ونحوها ولولا دفاع فرهان طائرا فى آل عمران والمائدة مضاعفة ونحوه عاقدت ايمانكم الأولياء لامستم
قاسية قياما للناس خطيئاتكم فى الأعراف طائف حاشالله وسيعلم الكافر تزاور زاكية فلا تصاحبنى
لاتخذت مهادا وحرام على قرية ان الله يدافع سكارى وماهم بسكارى المضغة عظاما فكسونا العظام
سراجا بل ادارك ولا تصاعر ربنا باعد اساورة بلا ألف فى الكل وقد قرئت بها وبحذفها وغيابت الجب
وانزل عليه آية فى العنكبوت وثمرت من اكمامها فى فصلت وجمالات فهم على بينت وهم فى الغرفات
آمنون بالتاء وقد قرئت بالجمع والافراد وتقيه بالياء ولاهب بالألف ويقض الحق بلا ياء وآتونى زبر
الحديد بألف فقط ننجى من نشاء ننجى المؤمنين بنون واحدة والصراط كيف وقع وبصطة فى الاعراف
والمصيطرون ومصيطر بالصاد لاغير وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين نحو فكهون بلا ألف
وهى قراءة وعلى قراءتها هى محذوفة رسما لأنه جمع تصحيح (فرع) فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من
ذلك ان البقر تشابه علينا أو كلما عاهدوا ما بقى من الربو قرىء بضم الباء وسكون الواو فلقاتلوكم انما
طائركم طائره فى عنقه تساقط سامر وفصاله فى عامين عليهم ثياب سندس ختامه مسك فادخلى فى عبادى
(فرع) واما القراآت المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها نحو أوصى ووصى وتجرى تحتها
ومن تحتها وسيقولون الله ولله وما عملت أيديهم وما عملته فكتابته على نحو قراءته وكل ذلك وجد فى
مصاحف الامام (فائدة) كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق بها
اكتفاء بشهرتها وقطعت حم عسق دون المص وكهيعص وطرد اللاولى باخواتها الستة

*(فصل)* فى آداب كتابته يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وايضاحها وتحقيق الخط
دون مشقة وتعليقه فيكره وكذا كتابته فى الشىء الصغير (اخرج) أبو عبيد فى فضائله عن عمر انه وجد
مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله تعالى وكان عمر اذا رأى
مصحفا عظيما سربه (واخرج) عبد الرزاق عن على انه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغارا (واخرج)
أبو عبيد عنه انه كره ان يكتب القرآن فى الشىء الصغير (واخرج) هو والبيهقى فى الشعب عن أبى حكيم
العبدى قال مربى على وانا اكتب مصحفا فقال اجل قلمك فقضمت من قلمى ثم جعلت أكتب
فقال نعم هكذا نوره كما نوره الله (وأخرج) البيهقى عن على موقوفا قال تنوق رجل فى بسم الله الرحمن الرحيم
فغفر له (وأخرج) أبو نعيم فى تاريخ اصبهان وابن اشتة فى المصاحف من طريق ابان عن أنس مرفوعا
من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بجودة غفر الله له (وأخرج) ابن اشتة عن عمر بن عبد العزيز انه كتب
إلى عماله إذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن (واخرج) عن زيد بن ثابت انه كان
يكره ان تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ليس لها سين (واخرج) عن يزيد بن أبى حبيب ان كاتب
عمرو بن العاصى كتب إلى عمر فكتب بسم الله ولم يكتب لها سينا فضربه عمر فقيل له فيم ضربك أمير
المؤمنين قال ضربنى فى سين (واخرج) عن ابن سيرين انه كان يكره ان تمد الباء إلى الميم حتى تكتب
السين (واخرج) ابن أبى داود فى المصاحف عن ابن سيرين انه كره ان يكتب المصحف مشقا قيل لم قال
لأن فيه نقصا وتحرم كتابته بشىء نجس واما بالذهب فهو حسن كما قاله الغزالى (واخرج) أبو عبيد عن
ابن عباس وأبى ذر وأبى الدرداء انهم كرهوا ذلك ( اخرج) عن ابن مسعود أنه مر عليه بمصحف زين
بالذهب فقال ان احسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق قال اصحابنا وتكره كتابته على الحيطان والجدران

وذكرنا فى هذا الفصل
عن هذا القائل ان
التشبيه تعرف به البلاغة
وذلك مسلم ولكن ان
قلنا ما وقع من التشبيه
فى القرآن معجز عرض
علينا من التشبيهات
الجارية فى الاشعار مالا
يخفى عليك وأنت تجد
فى شعر ابن المعتز من
التشبيه البديع الذى
يشبه السحر وقد تتبع
فى هذا مالم يتتبع غيره
واتفق له مالم يتفق
لغيره من الشعراء
وكذلك كثير من وجوه
البلاغة قد بينا أن تعلمها
يمكن وليس تقع البلاغة
بوجه واحد منها دون
غيره فان كان انما يعنى
هذا القائل انه إذا أتى
فى كل معنى يتفق فى
كلامه بالطبقة العالية
ثم كان ما يصل به كلامه
بعضه ببعض وينتهى
منه إلى متصرفاته على
أتم البلاغة وابداع البراعة
فهذا مما لا نأباه بل
نقول به وانما ننكر ان
يقول قائل ان بعض
هذه الوجوه بانفرادها
قد حصل فيه الاعجاز
من غير أن يقارنه ما يتصل

وعلى السقوف أشد كراهة لانه يوطأ (وأخرج) أبو عبيدة عن عمر بن عبد العزيز قال لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ وهل تجوز كتابته بقلم غير العربى قال الزركشى لم أر فيه كلاما لاحد من العلماء قال ويحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية والاقرب المنع كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ولقولهم القلم أحد اللسانين والعرب لا تعرف قلما غير العربى وقد قال تعالى بلسان عربى مبين اه (فائدة) أخرج ابن أبى داود عن ابراهيم التيمى قال قال عبدالله لا يكتب المصاحف الا مضرى قال ابن أبى داود هذا من أجل اللغات (مسألة) اختلف فى نقط المصحف وشكله ويقال أول من فعل ذلك أبو الاسود الدؤلى بامر عبد الملك بن مروان وقيل الحسن البصرى ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثى وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام الخليل وقال قتادة بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وقال غيره أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآى ثم الفواتح والخواتم وقال يحيى بن أبى كثير ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث فى المصاحف الا النقط الثلاث على رءوس الآى أخرجه ابن أبى داود وقد أخرج أبو عبيد وغيره عن ابن مسعود قال جردوا القرآن ولا تخلطوه بشىء (وأخرج) عن النخعى أنه كره نقط المصاحف وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم وعن ابن مسعود ومجاهد أنهما كرها التعشير (وأخرج) ابن أبى داود عن النخعى انه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا (وأخرج) عنه أنه أتى بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية فقال امح هذا فان ابن مسعود كان يكرهه (وأخرج) عن أبى العالية انه كان يكره الجمل فى المصحف وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا وقال مالك لا بأس بالنقط فى المصاحف التى تتعلم فيها العلماء اما الامهات فلا وقال الحليمى تكره كتابة الاعشار والاخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله جردوا القرآن وأما النقط فيجوز لانه ليس له صورة فيتوهم لاجلها ما ليس بقرآن قرآنا وانما هى دلالات على هيئة المقروء فلا يضر اثباتها لمن يحتاج اليها وقال البيهقى ومن آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجا بأحسن خط فلا يصغر ولا يقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراآت ومعانى الآيات وقد أخرج ابن أبى داود عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا لا بأس بنقط المصاحف (وأخرج) عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه قال لا بأس بشكله (وقال النووى) نقط المصحف وشكله مستحب لانه صيانة له من اللحن والتحريف وقال ابن مجاهد ينبغى أن لا يشكل الا ما يشكل وقال الدانى لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم ولا أستجيز جمع قراآت شتى فى مصحف واحد بألوان مختلفة لانه من أعظم التخليط والتغيير للمرسوم وأرى أن يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة وقال الجرجانى من أصحابنا فى الشافى من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين اسطره . (فائدة) . كان الشكل فى الصدر الاول نقطا فالفتحة نقطة على أول الحرف والضمة على آخره والكسرة تحت اوله وعليه مشى الدانى والذى اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذى أخرجه الخليل وهو أكثر واوضح وعليه العمل فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف والكسر كذلك تحته والضم واو صغرى فوقه والتنوين زيادة مثلها فان كان مظهرا وذلك قبل حرف حلق ركبت فوقها والا جعلت بينهما وتكتب الالف المحذوفة والمبدل منها فى محلها حمراء والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضا وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الاقلاب حمراء وقبل الحلق سكون وتعرى عند الادغام والاخفاء ويسكن كل مسكن ويعرى المدغم ويشدد ما بعده الا الطاء قبل التاء فيكتب عليها السكون نحو فرطت ومطة الممدود لا تجاوزه . (فائدة) . قال الحربى فى غريب الحديث قول ابن مسعود جردوا القران يحتمل وجهين أحدهما جردوه فى التلاوة

به الكلام ويفضى اليه مثل ما يقول ان ما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز والمطابقة بنفسها معجزة فأما الآية التى فيها ذكر التشبيه فان ادعى اعجازها لالفاظها ونظمها وتأليفها فانى لا أدفع ذلك وأصححه ولكن لا أدعى اعجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة التى حكيناها أضاف ذلك الى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ومن تلك الوجوه ما قد بينا ان الاعجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص بجنس من المبين دون جنس ولذلك قال (هذا بيان للناس) وقال (تبيانا لكل شىء) وقال (بلسان عربى مبين) فكرر فى مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه فى السمع وسهولته

ولا تخلطوا به غيره (والثانى) جردوه فى الخط من النقط والتعشير وقال البيهقى الابين أنه أراد لا تخلطوا به غيره من الكتب لان ما خلا القرآن من كتب الله انما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمأمونين عليها . (فرع) . أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف عن ابن عباس أنه كره أخذ الاجرة على كتابة المصحف (وأخرج) مثله عن أيوب السختيانى (وأخرج) عن ابن عمر وابن مسعود أنهما كرها بيع المصاحف وشراءها (وأخرج) عن محمد بن سيرين أنه كره بيع المصاحف وشراءها وأن يستأجر على كتابتها (وأخرج) عن مجاهد وابن المسيب والحسن أنهم قالوا لا بأس بالثلاثة (وأخرج) عن سعيد بن جبير أنه سئل عن بيع المصاحف فقال لا بأس انما يأخذون أجور أيديهم (وأخرج) عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصحف قال لا بأس انما تبيع الورق (وأخرج) عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يشددون فى بيع المصاحف (وأخرج) عن النخعى قال المصحف لا يباع ولا يورث (وأخرج) عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف وقال أعن أخاك بالكتاب أوهب له (وأخرج) عن عطاء عن ابن عباس قال اشتر المصاحف ولا تبعها (وأخرج) عن مجاهد انه نهى عن بيع المصاحف ورخص فى شرائها وقد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ثالثها كراهة البيع دون الشراء وهو أصح الاوجه عندنا كما صححه فى شرح المهذب ونقله فى زوائد الروضة عن نص الشافعى قال الرافعى وقد قيل ان الثمن متوجه إلى الدفتين لان كلام الله لا يباع وقيل أنه بدل من اجرة النسخ اه وقد تقدم اسناد القولين الى ابن الحنفية وابن جبير وفيه قول ثالث انه بدل منهما معا (اخرج) ابن ابى داود عن الشعبى قال لا بأس ببيع المصاحف انما يبيع الورق وعمل يديه . (فرع) . قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فى القواعد القيام للمصحف بدعة لم تعهد فى الصدر الاول والصواب ما قاله النووى فى التبيان من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . (فرع) . يستحب تقبيل المصحف لان عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه كان يفعله وبالقياس على تقبيل الحجر ذكره بعضهم ولانه هدية من الله تعالى فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير وعن أحمد ثلاث روايات الجواز والاستحباب والتوقف وان كان فيه رفعة واكرام لانه لا يدخله قياس ولهذا قال عمر فى الحجر لولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك . (فرع) . يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسى ويحرم توسده لان فيه اذلالا وامتهانا قال الزركشى وكذا مد الرجلين اليه (وأخرج) ابن أبى داود فى المصاحف عن سفيان أنه كره أن تعلق المصاحف (وأخرج) عن الضحاك قال لا تتخذوا للحديث كراسى ككراسى المصاحف . (فرع) . يجوز تحليته بالفضة اكراما له على الصحيح (أخرج) البيهقى عن الوليد بن مسلم قال سألت مالكا عن تفضيض المصاحف فأخرج الينا مصحفا فقال حدثنى أبى عن جدى أنهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان وانهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه وأما بالذهب فالاصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه والاظهر التسوية . (فرع) . اذا احتيج الى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعها فى شق أو غيره لانه قد يسقط ويوطأ ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم وفى ذلك ازدراء بالمكتوب كذا قال الحليمى قال وله غسلها بالماء وان أحرقها بالنار فلا بأس أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراآت منسوخة ولم ينكر عليه وذكر غيره ان الاحراق أولى من الغسل لان الغسالة قد تقع على الأرض وجزم القاضى حسين فى تعليقه بامتناع الاحراق لانه خلاف الاحترام والنووى بالكراهة وفى بعض كتب الحنفية أن المصحف اذا بلى لا يحرق بل يحفر له فى الأرض ويدفن وفيه وقفة لتعرضه للوطء بالأقدام . (فرع) . روى ابن أبى داود عن ابن المسيب قال

على اللسان ووقوعه فى النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة واذا علا الكلام فى نفسه كان له من الوقع فى القلوب والتمكن فى النفوس ما يذهل ويبهج ويقلق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويضحك ويبكى ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويشجى ويطرب ويهز الاعطاف ويستميل نحوه الاسماع ويورث الاريحية والعزة وقد يبعث على بذل المهج والاموال شجاعة وجودا ويرمى السامع من وراء رأيه مرمى بعيد وله مسالك فى النفوس لطيفة ومداخل الى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب فى نظمه ويتنزل فى موقعه ويجرى على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه

لا يقول احدكم مصيحف ولا مسيجد ما كان لله تعالى فهو عظيم . (فرع) . مذهبنا ومذهب جمهور العلماء تحريم مس المصحف للحدث سواء كان أصغر أم أكبر لقوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون) وحديث الترمذى وغيره لا يمس القرآن الا طاهر (خاتمة) روى ماجه وغيره عن أنس مرفوعا سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا

. (النوع السابع والسبعون) . فى معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة اليه التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهى اسم لما يعرف به الطبيب المرض والتأويل أصله من الاول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعانى وقيل من الايالة وهى السياسة كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه واختلف فى التفسير والتأويل فقيل أبو عبيد وطائفة هما بمعنى وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابورى فقال قد نبغ فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا اليه وقال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله فى الالفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل وأكثر ما يستعمل فى الكتب الالهية والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الادلة وقال الماتريدى التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله انه عنى باللفظ هذا فان قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله وقال أبو طالب الثعلبى التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة الامر فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بامر الله والغفلة عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الادلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة وقال الاصبهانى فى تفسيره اعلم أن التفسير فى عرف العلماء كشف معانى القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتأويل أكثره فى الجمل والتفسير إما أن يستعمل فى غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو فى وجيز تبيين لشرح نحو أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وإما فى كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله إنما النسىء زيادة فى الكفر وقوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة فى الجحود المطلق وتارة فى جحود البارى عز وجل خاصة والايمان المستعمل له التصديق المطلق تارة وفى تصديق الحق أخرى وإما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل فى الجدة والوجد والوجود وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وقال أبو نصر القشيرى التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل وقال قوم ما وقع مبينا فى كتاب الله ومعينا فى صحيح السنة سمى تفسيرا لان معناه قد ظهر ووضح وليس لاحد ان يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعانى الخطاب الماهرون فى آلات العلوم وقال قوم منهم البغوى والكواشى التأويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط

موارده وقد ينبىء الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه وينبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله ألا ترى أن الشعر فى الغزل اذا صدر عن محب كان أرق وأحسن واذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمداجاة وأخبر عن خبيئة فى مزاياه وكذلك قد يصدر الشعر فى وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدوره ويدل على كنهه وحقيقته وقد صدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من امره خلاف ما يبديه وأنت تعرف قول المتنبى

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى
والحرب والطعن والقرطاس والقلم

من الواقع فى القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة مالا تجده للبحترى فى قوله

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفى

وقال بعضهم التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والاسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وقال أبو حيان التفسير علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال فقولنا علم جنس وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وهو علم القراءة وقولنا ومدلولاتها أى مدلولات تلك الالفاظ وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج اليه فى هذا العلم وقولنا وأحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب يشمل مادلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز فان التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك وقال الزركشى التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

• (فصل) • وأما وجه الحاجة اليه فقال بعضهم اعلم أن من المعلوم أن الله انما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابهم على لغتهم وانما احتيج الى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهى أن كل من وضع من البشر كتابا فانما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وانما احتياج الى الشروح لامور ثلاثة أحدها كمال فضيلة المصنف فانه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ومن هنا كان شرح بعض الائمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له وثانيها إغفاله بعض تتمات المسئلة أو شروط لها اعتمادا على وضوحها أو لانها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه وثالثها احتمال اللفظ لمعان كما فى المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح الى بيان غرض المصنف وترجيحه وقد يقع فى التصانيف مالا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشىء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك اذا تقرر هذا فنقول إن القرآن انما نزل بلسان عربى فى زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى ﷺ فى الاكثر كسؤالهم لما نزل قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبى ﷺ بالشرك واستدل عليه بقوله إن الشرك لظلم عظيم وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال ذلك العرض وكقصة عدى بن حاتم فى الخيط الابيض والاسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون اليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا اليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجا الى التفسير ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون من قبل الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض اه وقال الخويى علم التفسير عسر يسير اما عسره فظاهر من وجوه أظهرها انه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسماع منه ولا امكان الوصول اليه بخلاف الامثال والاشعار ونحوها فان الانسان يمكن علمه منه اذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه واما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر الا فى آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بامارات ودلائل والحكمة فيه أن الله تعالى أراد ان يتفكر عباده فى كتابه فلم يأمر

بقرقس والمشرفية مشهدى

وتجد لابن المعتز فى موقع شعره من القلب فى الفخر وغيره مالا تجده لغيره لانه اذا قال

اذا شئت او قرت البلاد حوافرا
وسارت ورائى هاشم ونزار
وعم سماء النقع حتى كأنه
دخان واطراف الرماح شرار

وقال

قد ترديت بالمكارم حولى
وكفتنى نفسى من الافتخار
أنا جيش اذا غزوت وحيد
ووحيد فى الجحفل الجرار

وقال ايها السائلى عن الحسب الاطيب مافوقه لخلق مزيد
نحن آل الرسول والعترة الحق . واهل القرى فما ذا تريد
ولنا ماضاء صبح عليه
واتته رايات ليل سود

وكما انشدنا الحسن بن عبد الله قال انشدنا محمد ابن يحيى لابن المعتز قصيدته التى يقول فيها

انا ابن الذى سادهم فى الحياة وسادهم بى تحت الثرى

بالتنصيص على المراد فى جميع آياته

*(فصل) وأما شرفه فلا يخفى قال تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (أخرج) ابن أبى حاتم من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله يؤتى الحكمة قال المعرفة بالقران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله (وأخرج) ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا يؤتى الحكمة قال القران قال ابن عباس يعنى تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر (وأخرج) ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء يؤتى الحكمة قال قراءة القرآن والفكرة فيه (وأخرج) ابن جرير مثله عن مجاهد وأبى العالية وقتادة وقال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (وأخرج) ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال ما مررت بآية فى كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتنى لأنى سمعت الله يقول وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (وأخرج) أبو عبيد عن الحسن قال ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما اراد بها (وأخرج) أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الذى يقرأ القران ولا يحسن تفسيره كالاعرابى يهذا الشعر هذا (وأخرج) البيهقى وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعا أعربوا القران والتمسوا غرائبه (وأخرج) ابن الانبارى عن أبى بكر الصديق قال لأن أعرب اية من القران أحب إلى من أن أحفظ اية (وأخرج) أيضا عن عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال لو أنى أعلم إذا سافرت أربعين ليلة اعربت اية من كتاب الله لفعلت (وأخرج) أيضا من طريق الشعبى قال قال عمر من قرأ القران فاعربه كان له عند الله أجر شهيد قلت معنى هذه الاثار عندى إرادة البيان والتفسير لأن اطلاق الاعراب على الحكم النحوى اصطلاح حادث ولأنه كان فى سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمهم ثم رأيت ابن النقيب جنح إلى ماذكرته وقال ويجوز أن يكون المراد الاعراب الصناعى وفيه بعد وقد يستدل له بما أخرجه السلفى فى الطيوريات من حديث ابن عمر مرفوعا أعربوا القران يدلكم على تأويله وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية وقال الاصبهانى أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القران بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذى هو جلد الميتة وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطبيب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح وإما بشدة الحاجة اليها كالفقه فان الحاجة اليه أشد من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق الا وهى مفتقرة إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس فى بعض الأوقات إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث أما من جهة الموضوع فلان موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وأما من جهة الغرض فلان الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا تفنى وأما من جهة شدة الحاجة فلان كل كمال دينى أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى

*(النوع الثامن والسبعون)* فى معرفة شروط المفسر وادابه قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القران فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع اخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه وقد الف ابن الجوزى كتابا فيما أجمل فى القران فى موضع وفسر فى موضع اخر

وما لى فى أحد مرغب
بلى فى يرغب كل الورى
وأسهر للمجد والمكرمات إذا اكتحلت أعين بالكرى
فانظر فى القصيدة كلها ثم فى جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر وأنه يليق به من الفخر خاصة ثم مما يتبعه مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواه ولم أحب أن أكثر عليك فاطول الكتاب بما يخرج عن غرضه وكما ترى من قول أبى فراس الحمدانى فى نفسك إذا قال
ولا أصبح الحى الخلوف بغارة
ولا الجيش مالم يأته قبلى النذر
ويارب دار لم تخفنى منيعة
طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وساحبة الاذيال نحوى لقيتها
فلم يلقها جافى اللقاء ولا وعر
وهبت لها ما حازه الجيش كله
وأبت ولم يكشف لأبياتها ستر
وماراح يطغينى بأثوابه الغنى

منه واشرت إلى أمثله منه فى نوع المجمل فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الشافعى رضى الله عنه كل ماحكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) فى آيات أخر وقال ﷺ ألا إنى أوتيت القران ومثله معه يعنى السنة فان لم يجده من السنة رجع إلى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد روى الحاكم فى المستدرك أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع وقال الامام أبو طالب الطبرى فى أوائل تفسيره القول فى اداب المفسر اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فان من كان مغموصا عليه فى دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن فى الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن فى الأخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن أن كان متهما بالالحاد أن يبغى الفتنة ويغر الناس بلينه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وان كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه كلما يوافق بدعته كدأب القدرية فان أحدهم يصنف الكتاب فى التفسير ومقصوده منه الايضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى ﷺ وعن اصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم وأقوالهم فيه ترجع إلى شىء واحد فيدخل منها مايدخل فى الجمع فلا تنافى بين القران وطريق الأنبياء فطريق السنة وطريق النبى ﷺ وطريق أبى بكر وعمر فأى هذه الأقوال أفرده كان محسنا وإن تعارضت رد الأمر إلى ماثبت فيه السمع فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ماقوى الاستدلال فيه كاختلافهم فى معنى حروف الهجاء يرجح قوله من قال انها قسم وإن تعارضت الأدلة فى المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله منها ولا يتهجم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تعيينه ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وإنما يخلص له القصد إذا زهد فى الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدة الاعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام فانه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم أنه ملازمة قول الله ولم يدر الغبى أن هذه جملة حذف منها الخبر والتقدير الله أنزله كلام أبو طالب وقال ابن تيمية فى كتاب الفه فى هذا النوع يجب أن يعلم أن النبى ﷺ بين لأصحابه معانى القران كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القران والعلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة وقال أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وال عمران جد فى أعيننا (رواه) أحمد فى مسنده وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين (أخرجه) فى الموطأ وذلك أن الله قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وقال (أفلا يتدبرون القران) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعاداتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القران قليلا جدا وهو

وان

---

ولا بات يثنينى عن الكرم الفقر
وما حاجتى فى المال ابغى وفوره
إذا لم أفر وفرى فلا وفر الوفر

والشىء إذا صدر من أهله وبدا من أصله وانتسب إلى ذويه سلم فى نفسه وبانت فخامته وشواهد أثر الاستحقاق فيه وإذا صدر من متكلف وبدا من متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت مخايل الاستيحاش فيه وعرف شمائل التخير منه أنا نعرف فى شعر ابى نواس اثر الشطارة وتمكن البطالة وموقع كلامه فى وصف ماهو بسبيله من امر العبارة ووصف الخمر والخمار كما نعرف موقع كلام ذى الرمة فى وصف المهامه والبوادى والجمال والانساع والأزمة وعيب ابى نواس التصرف فى وصف الطلول والرباع والوحش ففكر فى قوله

دع الاطلال تسفيها الجنوب
وتبلى عهد جدتها الخطوب

وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان احدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن أى اتباعه وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وامثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها (الثانى) ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه مثاله ما نقل فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) الآية فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى أول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى اثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر إلى الاصفرار ويقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة والمقتصد الذى يؤدى الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هو الغالب فى تفسير سلف الأمة الذى يظن أنه مختلف ومن التنازع الموجود منهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للامرين إما لكونه مشتركا فى اللغة كلفظ القسورة الذى يراد به الرامى ويراد به الاسد ولفظ عسعس الذى يراد به اقبال الليل وادباره واما لكونه متواطئا فى الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر فى قوله ثم دنى فتدلى الآية وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر وأشباه ذلك فمثل ذلك قد يجوز أن يراد به كل المعانى التى قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالأول اما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة واما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما إذا لم يكن لتخصيصه موجب فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثانى ومن الأقوال الموجود عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا أن يعبروا عن المعانى بألفاظ متقاربة كما إذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن لأن كلا منهما قريب من الآخر ثم قال فصل والاختلاف فى التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وفى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وفى قدر سفينة نوح وخشبها وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولا نقلا صحيحا عن النبى ﷺ قبل وما لا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله ﷺ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه أخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض وما نقل فى ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس

وخل لراكب الوجناة أرضا
تخب به النجيبة والنجيب
بلاد نبتها عشر وطلح
وأكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال
رقيق العيش عندهم غريب
إذا رب الحليب فبل عليه
ولا تحرج فما فى ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول
يطوف بكأسها ساق أديب
كأن هديرها فى الدن يحكى
قراة القس قابلة الصليب
أعاذل أقصرى عن طول لومى
فراجى توبتى عندى يخيب
تعيبين الذنوب وأى حر
من الفتيان ليس له ذنوب
وقوله صفة الطلول بلاعة العدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لأن احتمال ان يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحابى بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم وأما القسم الذى يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام أحمد ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازى وذلك لأن الغالب عليها المراسيل واما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التى يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شىء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابى ووكيع وعبد واسحق وأمثالهم (احدها) قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها (والثانى) قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به فالأولون راعوا المعنى الذى رأوه من غير نظر إلى ما يستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يراد به العربى من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون فى احتمال اللفظ لذلك المعنى فى اللغة كما يغلط فى ذلك الذين قبلهم كما ان الأولين كثيرا ما يغلطون فى صحة المعنى الذى فسروا به القرآن كما يغلط فى ذلك الآخرون وان كان نظر الاولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق والاولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به وفى كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم فى الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم فى الدليل لا فى المدلول فالذين أخطئوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم والجبائى وعبد الجبار والرمانى والزمخشرى وأمثالهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة واسلم من البدعة ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن فانه كثيرا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبرى وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا ثم انه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وانما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وان كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغى أن يعطى كل ذى حق حقه فان الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم فى الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع فى مثل هذا وفى الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا فى ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله واما الذين اخطئوا فى الدليل لا فى المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة فى نفسها لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمى فى الحقائق فان كان فيما ذكروه معان باطلة دخل فى القسم الأول اه كلام ابن تيمية ملخصا وهو نفيس جدا وقال الزركشى فى البرهان للناظر فى القرآن لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة الأول النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف

منه

وسمعت الصاحب اسماعيل ابن عباد يقول سمعت برلكويه الزنجانى يقول أنشد بعض الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وكان وصف فيها الطلل قال برلكويه فقال لى هلال فقلت بديها

إذا سمعت فتى يبكى على طلل
من أهل زنجان فاعلم أنه طلل

وانما ذكرت لك هذه الأمور لتعلم أن الشىء فى معدنه أعز وفى مظانه احسن وإلى أصله أنزع وبأسبابه أليق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما أنتج عنه ويكون قراره على موجب صورته وأنواره على حسب محله ولكل شىء حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى كلام مسيلمة ما أخبرتك به فقال ان هذا كلام

منه والموضوع فانه كثير ولهذا قال أحمد ثلاث كتب لا أصل لها المغازى والملاحم والتفسير قال المحققون من أصحابه مراده أن الغالب انه ليس لها أسانيد صحاح متصلة والا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك فى آية الانعام والحساب اليسير بالعرض والقوة بالرمى فى قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) قلت الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع منه فى غاية القلة وسأسردها كلها آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (الثانى) الاخذ بقول الصحابى فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبى ﷺ كما قاله الحاكم فى مستدركه وقال أبو الخطاب من الحنابلة يحتمل أن لا يرجع اليه اذا قلنا ان قوله ليس بحجة والصواب الاول لانه من باب الرواية لا الرأى (قلت) ماقاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا دخل للرأى فيه ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به فى علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة وأما من يقول ان تفسير الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم فى المستدرك فاعتمد الاول والله أعلم ثم قال الزركشى وفى الرجوع الى قول التابعى روايتان عن أحمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم لان غالبها تلقوها من الصحابة وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لا فهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه أقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشىء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يئول الى معنى واحد غالبا فان لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا فى الصحة عنه والا فالصحيح المقدم (الثالث) الاخذ بمطلق اللغة فان القرآن نزل بلسان عربى وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد فى مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال ما يعجبنى فقيل ظاهره المنع ولهذا قال بعضهم فى جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية عن ظاهرها الى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا الا فى الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها (وروى) البيهقى فى الشعب عن مالك قال لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا (الرابع) التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل والذى عناه على بقوله الا فهما يؤتاه الرجل فى القرآن ومن هنا اختلف الصحابة فى معنى الآية فاخذ كل برأيه على منتهى نظره ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل قال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم وقال وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (وقال) (لتبين للناس ما نزل اليهم) أضاف البيان اليه وقال ﷺ من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقال من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار (أخرجه) أبو داود قال البيهقى فى الحديث الأول ان صح أراد والله أعلم الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه وأما الذى يشده برهان فالقول به جائز وقال فى المدخل فى هذا الحديث نظر وان صح فانما أراد به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع فى تفسير ألفاظه الى أهل اللغة وفى معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه الى بيانه الى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا الينا من السنن ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من

لم يخرج من آل فدل على أن الكلام الصادر عن عزة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما لم يكن كذلك ثم رجع الكلام بنا الى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولو لم يكن فيه الا ما من به الله على خلقه بقوله (خلق الانسان علمه البيان) (١) فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه وأكمله وأعلاه وأبلغه وأسناه تأمل قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) فى شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكر والتحذير وقوله (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) وهذا بليغ فى التحسير وقوله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين لمخالفة النهى والامر وقوله (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) هو فى نهاية الوضع من الخلة الا على التقوى

(١) هكذا بالاصل وأنت تراه ناقصا جواب لو ويظهر لى أن تمامه هكذا لكفى فى شان تفخيم البيان اه مصححه عبد الوصيف محمد

بعده ومالم يردعنه وبيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على مالم يرد وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه باصول العلم وفروعه فيكون موافقته للصواب ان وافقه من حيث لايعرفه غير محمودة وقال الماوردى قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معانى القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر فى القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو صح ماذهب اليه لم يعلم شئ بالاستنباط ولمافهم الاكثر من كتاب الله شيئا وان صح الحديث فتأويله أن من تكلم فى القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق واصابته اتفاق اذا الغرض انه مجرد رأى لاشاهد له وفى الحديث القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه (أخرجه) أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس فقوله ذلول يحتمل معنيين أحدهما أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم والثانى أنه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه افهام المجتهدين وقوله ذو وجوه يحتمل معنيين أحدهما أن من الفاظه مايحتمل وجوها من التأويل والثانى قد جمع وجوها من الأوامر والنواهى والترغيب والترهيب والتحريم وقوله فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين أحدهما الحمل على أحسن معانيه والثانى أحسن مافيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد فى كتاب الله تعالى اهـ وقال أبو الليث النهى انما انصرف الى المتشابه منه لاالى جميعه كما قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه لان القرآن انما نزل حجة على الخلق فلولم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة فاذا كان كذلك لجاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأمامن لم يعرف وجوه اللغة فلايجوز أن يفسره الا بمقدار ماسمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لاعلى وجه التفسير ولو أنه يعلم التفسير وأراد أن يستخرج من الآية حكما أودليل الحكم فلا بأس به ولوقال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئا فلايحل وهو الذى نهى عنه وقال ابن الأنبارى فى الحديث الأول حمله بعض أهل العلم على أن الرأى معنى به الهوى فمن قال فى القرآن قولا يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ الحكمة على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه وقال فى الحديث الثانى له معنيان أحدهما من قال فى مشكل القرآن بما لايعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله تعالى والآخر وهو الاصح من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار وقال البغوى والكواشى وغيرهما التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لماقبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا قيل شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل عزابا ومتأهلين وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل أصحاء ومرضى وكل ذلك سائغ والآية تحتمله وأما التأويل المخالف للاية والشرع فمحظور لانه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان انهما على وفاطمة يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يعنى الحسن والحسين وقال بعضهم اختلف الناس فى تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه فقال قوم لايجوز لاحد أن يتعاطى تفسير شئ من القرآن وان كان عالما أديبا متسعا فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له الأأن ينتهى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها وهى خمسة عشر علما (أحدها) اللغة لان بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها

وقوله (أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) وهذا نهاية فى التحذير من التفريط وقوله (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير) هو النهاية فى الوعيد والتهديد وقوله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) نهاية فى الوعيد وقوله (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون) نهاية فى الترغيب وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وكذلك قوله (لو كان فيهما آلهة الاالله لفسدتا) نهاية فى الحجاج وقوله (وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) نهاية فى الدلالة فى علمه بالخفيات ولاوجه للتطويل فان

بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب وتقدم قول الإمام مالك فى ذلك ولا يكفى فى حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر (الثانى) النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره (أخرج) أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها (الثالث) التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم لأن وجد مثلا كلمة مبهمة فاذا صرفناها اتضحت بمصادرها وقال الزمخشرى من بدع التفاسير قول من قال أن الإمام فى قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فان أما لا تجمع على إمام (الرابع) الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح (الخامس والسادس والسابع) المعانى والبيان والبديع لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وبالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة وهى من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم وقال السكاكى اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة الا التمرن على علمى المعانى والبيان وقال ابن الحديد اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة عليه وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فالى أولئك ينبغى أن يرجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض وقال الزمخشرى من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح وقال غيره معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هى عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة (الثامن) علم القراآت لأن يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراآت يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض (التاسع) أصول الدين بما فى القرآن من الايات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز (العاشر) أصول الفقه اذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط (الحادى عشر) أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الاية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه (الثانى عشر) الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره (الثالث عشر) الفقه (الرابع عشر) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم (الخامس عشر) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم قال ابن أبى الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم

---

بيان الجميع فى الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز وهو معجز من القرآن وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغة فى اللفظ فليس ذلك بطريق الإعجاز لأن الوجوه التى ذكرها قد تتفق فى كلام غيره وليس ذلك بمعجز بل قد يصح أن يقع فى المبالغة فى المعنى والصفة وجوه من اللفظ يثمر الإعجاز وتضمين المعانى أيضا قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة فى أعلى درجتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز وكذلك قد بينا فى المقاطع والمطالع نحو هذا وبينا فى تلاؤم الكلام ما سبق من صحة تعلق الإعجاز به والتصرف فى الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز كما يصح مثل ذلك فى حقائق الكلام لأن البلاغة فى كل واحد من البابين تجرى مجرى واحدا وتأخذ مأخذا

التي هي كالآلة المفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه قال والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ (قلت) ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة الانسان وليس كما ظننت من الأشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد قال في البرهان اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالايمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض (قلت) وفي هذا المعنى قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال سفيان بن عيينة يقول أنزع عنهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس قال التفسير أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ثم رواه مرفوعا بسند ضعيف بلفظ أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب قال الزركشي في البرهان في قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك اللغة والاعراب فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارئ ثم إن كان ما يتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشعر وأما الاعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه ليوصل المفسر إلى معرفة الحكم ويسلم القارئ من اللحن وإن لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن ولا يجب على المفسر لوصوله الى المقصود بدونه وأما ما لا يعذر أحد بجهله فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله وأنه لا شريك له في الالهية وإن لم يعلم أن لا موضوعة في اللغة للنفي ولا للإثبات وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة افعل للوجوب فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة لقيامة الساعة وتفسير الروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو اجماع الأمة على تأويله وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي فان كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي وان استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على ارادة اللغوية كما في وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ولو كان في أحدهما عرفية والاخرة لغوية فالحمل على العرفية أولى وان اتفقا في ذلك أيضا فان تنافى اجتماعهما ولم يمكن ارادتهما

باللفظ

مفردا وأما الايجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة والبيان في كل واحد منهما ما لا ينضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق إلى غوره بالتسبب وكل ما يمكن تعلمه ويتهيأ تلقنه ويمكن تحصيله ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا إن السجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز لأن ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الانسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى أخذ أحدهما وطلب وجههما استوفى ما شاء ولم يتعذر عليه أن يملأ خطابه منه كما أولع بذلك أبو تمام والبحتري وإن كان البحتري أشغف بالمطابق وأقل طلبا للمجانس فان قال قائل هلا قلت إن هذين

بالفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد فى المراد منهما بالامارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى فى حقه وان لم يظهر له شىء فهل يتخير فى الحمل على أيهما شاء أو يأخذ بالاغلظ حكما أو بالاخف أقوال وان لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ فى الاعجاز والفصاحة الا أن دل دليل على ارادة أحدهما إذا عرف ذلك فينزل حديث من تكلم فى القرآن برأيه على قسمين من هذه الاربعة أحدهما تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر فى معرفة لسان العرب والثانى حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم التبحر فى العربية واللغة ومن الاصول ما يدرك به حدود الاشياء وصيغ الامر والنهى والخبر والمجمل والمبين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه والظاهر والمؤول والحقيقة والمجاز والصريح والكناية ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط هذا أقل ما يحتاج اليه ومع ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا يجزم الا فى حكم اضطر إلى الفتوى به فأدى اجتهاده اليه فيجزم مع تجويز خلافه اه وقال ابن النقيب جملة ما تحصل فى معنى حديث التفسير بالرأى خمسة أقوال (احدها) التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير (الثانى) تفسير المتشابه الذى لا يعلمه الا الله (الثالث) التفسير المقرر للمذهب الفاسد بان يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا فيرد اليه بأى طريق أمكن وان كان ضعيفا (الرابع) التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل (الخامس) التفسير بالاستحسان والهوى ثم قال واعلم أن علوم القرآن ثلاثة اقسام الاول علم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التى لا يعلمها الا هو وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه بوجه من الوجوه اجماعا الثانى ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم أو لمن أذن له قال وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الاول (الثالث) علوم علمها الله نبيه مما اودع كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها وهذا ينقسم إلى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقرا آت واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات فى الصفات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لان مبناها على الاقيسة وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية انتهى ملخصا * (وقال أبو حيان) * ذهب بعض من عاصرناه الى ان علم التفسير مضطر إلى النقل فى فهم معانى تركيبه بالاسناد الى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم وان فهم الآيات يتوقف على ذلك قال وليس كذلك وقال الزركشى بعد حكاية ذلك الحق ان علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف ويكفى فى تحصيله الثقة على الوجه المعتبر وقال كان السبب فى اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد فى المنقول وعلى النظر فى المستنبط قال واعلم أن القرآن قسمان قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد والاول اما ان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو رؤس التابعين فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثانى ينظر فى تفسير الصحابى فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك فى اعتماده أو بما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فان أمكن الجمع فذاك وان تعذر قدم ابن عباس لان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعى

البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا تملك بالتعمل كما ذكرتم فى البيان وغير ذلك قلنا لو عمد إلى كتاب الاجناس ونظر فى كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير فأما الاطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التى رأينا الاعجاز فيها الا انها لا تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم قيل ان الذى يمكن أن يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وتتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى فى حمل الثقيل وان الناس يتقاربون فى ذلك فيرمون فيه إلى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطى ولم يقدروا على التعدى الا أن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط فى ذلك والقدر الذى يفوت الحد فى البيان ويتجاوز الوهم ويشذ عن الصنعة ويقذفه الطبع فى النادر

قول زيد فى الفرائض لحديث أفرضكم زيد (وأما ماورد عن التابعين) فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك والاوجب الاجتهاد (وأما مالم يرد فيه نقل) فهو قليل وطريق التوصل الى فهمه النظر إلى مفردات الالفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتنى به الراغب كثيرا فى كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لانه اقتضاه السياق اه (قلت) وقد جمعت كتابا مسندا فيه تفاسير النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة فيه بضعة عشر الف حديث مابين مرفوع وموقوف وقد تم ولله الحمد فى أربع مجلدات وسميته ترجمان القرآن ورأيت وأنا فى اثناء تصنيفه النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى قصة طويلة تحتوى على بشارة حسنة. (تنبيه). من المهم معرفة التفاسير الوارة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة وذلك يرد عنهم تفسيران فى الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافا وليس باختلاف وإنما كل تفسير على قراءة وقد تعرض السلف لذلك (فاخرج) ابن جرير فى قوله تعالى لقالوا انما سكرت أبصارنا من طرق عن ابن عباس وغيره ان سكرت بمعنى سدت ومن طرق انها بمعنى اخذت ثم أخرج عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة فانما يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعنى سحرت وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع ومثله قوله تعالى سرابيلهم من قطران (اخرج) ابن جرير عن الحسن أنه الذى تهنأ به الابل (وأخرج) من طرق عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب وليسا بقولين وانما الثانى تفسير لقراءة من قطرآن بتنوين قطر وهو النحاس وآن شديد الحر كما أخرجه ابن أبى حاتم هكذا عن سعيد بن جبير وأمثلة هذا النوع كثيرة والكافل ببيانها كتابنا أسرار التنزيل وقد خرجت على هذا قديما الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره فى تفسير آية أولامستم هل هو الجماع أو الجس باليد (فالاول) تفسير لقراءة لامستم (والثانى) لقراءة لمستم ولا اختلاف (فائدة) قال الشافعى رضى الله عنه فى مختصر البويطى لايحل تفسير المتشابه الابسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او خبر عن أحد من أصحابه أو اجماع العلماء هذا نصه

.(فصل). وأما كلام الصوفية فى القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح فى فتاويه وجدت عن الامام ابى الحسن الواحدى المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئا من ذلك انه لم يذكره تفسيرا ولاذهب به مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وانما ذلك منهم لنظير ماورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الابهام والالباس (وقال) النسفى فى عقائده النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن الحاد قال التفتازانى فى شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لايعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها اشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان وسئل شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى عن رجل قال فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ان معناه من ذل أى من الذل ذى اشارة إلى النفس يشف من الشفا جواب من ع أمر من الوعى فافتى بانه ملحد وقد قال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا) قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه (أخرجه) ابن أبى حاتم (فان قلت) فقد قال الفريابى حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع (وأخرج) الديلمى من حديث

القليل كالبيت البديع والقطعة الشريفة التى تتفق فى ديوان شاعر الفقرة تتفق فى لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت وبيتين اوقطعة او قطعتين والاديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك امر قليل ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج أمكن ان يدعى فيه الاعجاز ولكنك ان كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الأبيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من ابياتها مرضية لم تجد ذلك فى الدواوين ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بديعة وانما انكرنا أن يقدرو على مثل نظم سورة أو نحوها وأحلنا أن يتمكنوا من حد فى البلاغة ومقدار فى الخطابة وهذا كما قلناه من ان صورة الشعر قد تتفق

عبد الرحمن بن عوف مرفوعا القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد (واخرج) الطبرانى وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفا ان هذا القرآن ليس منه حرف الا له حد ولكل حد مطلع (قلت) اما الظهر والبطن ففى معناه أوجه احدها انك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها (والثانى) أن ما من آية الا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها كما قاله ابن مسعود فيما اخرجه ابن أبى حاتم (الثالث) ان ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها (الرابع) قال أبو عبيد وهو اشبهها بالصواب ان القصص التى قصها الله تعالى عن الامم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الاخبار بهلاك الاولين اخبار وحديث حدث به عن قوم وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم ان يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم وحكى ابن النقيب قولا خامسا ان ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها ارباب الحقائق ومعنى قوله ولكل حرف حد اى منتهى فيما أراد الله من معناه وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ومعنى قوله ولكل حد مطلع لكل غامض من المعانى والاحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به وقيل كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة عند المجازاة وقال بعضهم الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد احكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد (قلت) يؤيد هذا ما اخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى اخبار وامثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء (وقال ابن سبع) فى شفاء الصدور ورد عن أبى الدرداء انه قال لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن قال وهذا الذى قالاه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم فهذا يدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الادراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ولا يجوز التهاون فى حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولا إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب اه (وقال الشيخ) تاج الدين ابن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن (اعلم) أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة ليس احالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء فى الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا احالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قالوا لا معنى للآية الا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم

﴿اصل﴾ قال العلماء يجب على المفسر أن يتحرى فى التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز فى ذلك من نقص لما يحتاج اليه فى ايضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه وعليه بمراعاة المعنى الحقيقى والمجازى ومراعاة التأليف والغرض الذى سيق له الكلام وأن يؤاخى بين المفردات ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الالفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب

فى القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فأما قدر المعجز فقد بينا أنها السورة طالت او قصرت وبعد ذلك خلاف من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز وعندنا كل واحد من الأمرين معجز والدلالة عليه لما تقدم والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم باعجازه وما صح أن تتبين فيه البلاغة ومحصولها إلا بأنه فى الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ وبلوغ الغاية فى المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته فى هذا المعنى كان بالغا وبليغا فاذا تجاوز حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه اهل الصناعة وانتهى إلى أمر يعجز عنه الكامل فى البراعة صح ان يكون له حكم المعجزات وجاز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه بجنسه وأسلوبه مباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه فى البلاغة الحد الذى يقدر عليه البشر فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق فى شعر الشاعر قطعة عجيبة

التركيب فيبدأ بالاعراب ثم بما يتعلق بالمعانى ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الاشارة وقال الزركشى فى أوائل البرهان قد جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ووقع البحث فى أنه أيما أولى البداءة به لتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لانها المصححة لنظم الكلام وهى سابقة على النزول قال والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى اهلها فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب لانه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد وان لم يتوقف على ذلك فالاولى تقديم وجه المناسبة وقال فى موضع آخر جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها فى أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشرى فانه يذكرها فى أواخرها (قال) مجد الائمة عبد الرحيم بن عمر الكرسانى سألت الزمخشرى عن العلة فى ذلك فقال لانها صفات لها والصفة تستدعى تقديم الموصوف وكثيرا ما يقع فى كتب التفسير حكى الله كذا فينبغى تجنبه (قال الامام أبو نصر القشيرى) فى المرشد قال معظم أئمتنا لا يقال كلام الله محكى ولا يقال حكى الله لان الحكاية الاتيان بمثل الشىء وليس لكلامه مثل وتساهل قوم فاطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الاخبار وكثيرا ما يقع فى كلامهم اطلاق الزائد على بعض الحروف وقدمر فى نوع الاعراب وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه قال بعضهم مما يدفع توهم التكرار فى عطف المترادفين نحو لا تبقى ولا تذر صلوات من ربهم ورحمة وأشباه ذلك أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فان التركيب يحدث معنى زائدا وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ اه وقال الزركشى فى البرهان ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له وان خالف أصل الوضع اللغوى لثبوت التجوز وقال فى موضع آخر على المفسر مراعاة مجازى الاستعمالات فى الالفاظ التى يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف ما أمكن فان للتركيب معنى غير معنى الافراد ولهذا منع كثير من الاصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب وان اتفقوا على جوازه فى الافراد اه وقال أبو حيان كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الاعراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر فى تآليف هذه العلوم وانما يؤخذ ذلك مسلما فى علم التفسير دون استدلال عليه وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث فى الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ اسرائيلية ولا ينبغى ذكر هذا فى علم التفسير ﴿فائدة﴾ قال ابن أبى جمرة عن على رضى الله عنه انه قال لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت وبيان ذلك أنه إذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبيين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذى هو الله وما يليق به من التنزيه ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهى ألف عالم أربعمائة فى البر وستمائة فى البحر فيحتاج إلى بيان ذلك كله فاذا قال الرحمن الرحيم يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما ثم يحتاج إلى بيان جميع الاسماء والصفات ثم يحتاج إلى بيان الحكمة فى اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما فاذا قال ملك يوم الدين يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والاهوال وكيفية مستقرة فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها والعابد فى صفته والاستعانة وأدائها وكيفيتها فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ماهى والصراط المستقيم واضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وتبيين المرضى عنهم وصفاتهم وطريقتهم فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله على من هذا القبيل

(النوع

شاردة تباين جميع ديوانه فى البلاغة ويقع فى ديوانه بيت واحد يخالف مألوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة فى التفصيل لو أرادان يأتى بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد إلى ذلك سبيلا وله سبب فى الجملة وهو التقدم فى الصنعة لأنه يتفق من المتأخر فيها هلا قلتم انه إذا بلغ فى العلم بالصناعة مبالغة قصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب انا لم نجد أحدا بلغ الحد الذى وصفتم فى العادة وهذا الناس وأهل البلاغة اشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة وبلاغاتهم مروية وحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسحبان وائل ومثل شق وسطيح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا فى الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر

*(النوع التاسع والسبعون) . في غرائب التفسير الف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتابا في مجلدين سماه العجائب والغرائب ضمنه أقوالا ذكرت في معاني آيات بفكرة لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها الا للتحذير منها من ذلك قول من قال في حمعسق ان الحاء حرب علي ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدوة مهدي حكاه أبو مسلم ثم قال أردت بذلك أن يعلم ان فيمن يدعي العلم حمقى ومن ذلك قول من قال في الم معنى الف الف الله محمد فبعثه نبيا ومعنى لام لامه الجاحدين وأنكروه ومعنى ميم ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام ومن ذلك قول من قال في (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب) انه قصص القرآن واستدل بقراءة أبي الجوزاء ولكم في القصص وهو بعيد بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة وذلك من وجوه اعجاز القرآن كما بينته في أسرار التنزيل ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله ولكن ليطمئن قلبي ان ابراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق الى هذه المشاهدة اذا رآها عيانا قال الكرماني وهذا بعيد جدا ومن ذلك قول من قال في ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به انه الحب والعشق وقد حكاه الكواشي في تفسيره (ومن ذلك) قول من قال في ومن شر غاسق اذا وقب أنه الذكر اذا انتصب (ومن ذلك) قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر يعني ابراهيم نارا أي نورا وهو محمد ﷺ فاذا أنتم منه توقدون تقتبسون الدين

. (النوع الثمانون) . في طبقات المفسرين اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير الا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة (وأما) علي فروي عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء الا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل (وأخرج) أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف الا له ظهر وبطن وان علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن (وأخرج) أيضا من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الاحمسي عن أبيه عن علي قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا (وأما ابن مسعود) فروي عنه أكثر مما روي عن علي وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه انه قال والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته (وأخرج) أبو نعيم عن أبي البختري قال قالوا لعلي أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علما (وأما ابن عباس) فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال له أيضا اللهم آته الحكمة وفي رواية اللهم علمه الحكمة (وأخرج) أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس فقال اللهم بارك فيه وانشر منه (وأخرج) من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل انه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا (وأخرج) من طريق عبد الله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال قال ابن عباس قال لي رسول الله ﷺ نعم ترجمان القرآن أنت

مفاتق ولا كتابة كاتب مدقق فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة أو يشاكله في الاعجاز مع ما وقع من التحدي اليه المدة الطويلة وتقدم من التقريع والمجازاة الامد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر وعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون عجزهم وان جهل قوم سببه ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجهه رأينا انه ناقض للعادة ورأينا أنه خارق للمعروف في الجبلة وخرق العادة انما تقع بالمعجزات على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحق في قوله ومصيب في هديه قد سادت له له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

*(فصل في حقيقة المعجز)* معنى قولنا ان القرآن معجز على أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله

(وأخرج) البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس (وأخرج) أبو نعيم عن مجاهد قال كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه (وأخرج) عن ابن الحنفية قال كان ابن عباس حبر هذه الامة (وأخرج) عن الحسن قال ان ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول ذاكم فتى الكهول ان له لسانا سئولا وقلبا عقولا (وأخرج) من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الى ابن عباس فاسأله ثم تعال فاخبرني فذهب فسأله فقال كانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الى ابن عمر فأخبره فقال قد كنت أقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه أوتي علما (وأخرج) البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا وان لنا ابناء مثله فقال عمر انه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر لا أعلم منها الا ما تقول (وأخرج) أيضا من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لاصحاب النبي ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء فقال يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل فقال عمر أي عمل قال ابن عباس لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (وأخرج) أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة فذكروا ليلة القدر فتكلم كل بما عنده فقال عمر مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم تكلم ولا تمنعك الحداثة قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين ان الله وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع وخلق الانسان من سبع وخلق ارزاقنا من سبع وخلق فوقنا سموات سبعا وخلق تحتنا أرضين سبعا وأعطى من المثاني سبعا ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع وقسم الميراث في كتابه على سبع ونقع في السجود من أجسادنا على سبع وطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعا وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمار بسبع فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان فتعجب عمر فقال ما وافقني فيها أحد الا هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه ثم قال يا هؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس (قد) ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه قال أحمد بن حنبل بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه قال ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس (وأخرج) منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيرا وسائط بينهم وبين أبي صالح وقال قوم لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير وانما أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير قال ابن حجر بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك وقال الخليلي في الارشاد تفسير معاوية بن صالح قاضي الاندلس عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث عن معاوية واجمع الحفاظ على ان ابن

عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الاجسام فنحن لا نقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بانا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الانبياء على هذا فلما لم يقدر على أحد شبه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على العباد الاتيان بمثله لانه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن يتعذر فعل ذلك منه وان لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله وعرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك علم انهم فطنوا خروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كنا بينا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة في الأوزان المطربة للسمع ولا يحتاج في مثله الى توقيف وأنه يتبين ان مثل ذلك يجري في الخطاب فلما جرى

ابى طلحة لم يسمعه من ابن عباس قال وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعن ابن جريج فى التفسير جماعة رووا عنه وأطولها ما يرويه بكر بن سهل الدمياطى عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج وفيه نظر (وروى) محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار وذلك صحيح وروى الحجاج ابن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه وتفسير شبل بن عباد المكى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قريب إلى الصحة وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به وتفسير أبى روق نحو جزء صححوه وتفسير اسماعيل السدى يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس (وروى) عن السدى الأئمة مثل الثورى وشعبة لكن التفسير الذى جمعه رواه اسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى (وأما) ابن جريج فانه لم يقصد الصحة وإنما روى ما ذكر فى كل آية من الصحيح والسقيم وتفسير مقاتل بن سليمان فمقاتل فى نفسه ضعفوه وقد ادرك الكبار من التابعين والشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح انتهى كلام الارشاد وتفسير السدى أشار اليه يورد منه ابن جرير كثيرا من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد منه ابن أبى حاتم شيئا لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد والحاكم يخرج منه فى مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الأول وقد قال ابن كثير أن هذا الاسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين وكثيرا ما يخرج منها الفريابى والحاكم فى مستدركه (ومن ذلك) طريق ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهى طريق جيدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرا وفى معجم الطبرانى الكبير منها أشياء وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فان انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب وكثيرا ما يخرج منها الثعلبى والواحدى لكن قال ابن عدى فى الكامل للكلبى أحاديث صالحة وخاصة عن أبى صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع وبعده مقاتل بن سليمان إلا أن الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب الردية وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه فان انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبى روق عنه فضعيفة لضعف بشر وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبى حاتم وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا لأن جويبر اشديد الضعف متروك ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبى حاتم من هذا الطريق شيئا إنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وطريق العوفى عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرا والعوفى ضعيف ليس بواه وربما حسن له الترمذى ورأيت عن فضائل الامام الشافعى لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطان أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال سمعت الشافعى يقول لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث (وأما) أبى بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عنه وهذا اسناد صحيح وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم منها كثيرا وكذا الحاكم فى مستدركه وأحمد فى مسنده وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس وأبى هريرة وابن عمر وجابر وأبو موسى الأشعرى وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاصى أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون ما تحمله عن أهل

فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا أنواع الأوزان والقوافى ثم وقعوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز وجل وهو الذى جمع خواطرهم عليه وهداهم وسدد دواعيهم اليه ولكنه أقدرهم على حد محدود وغاية فى العرف مضروبة لعلمه بأنه سيجعل القرآن معجزا ودل على عظم شأنه بأنهم قدروا على ما بينا من التأليف وعلى ما وصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء أثر ولا تحدى اليه ولا تقريع فلو كان هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذى عرفوه وألفوه لم تزل أطماعهم عنه ولم يدهشوا عند وروده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم فى الوقت وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدى بأن أنه خارج عن عاداتهم وأنهم لا يقدرون عليه وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا إلى

الكتاب كالذي ورد عنه في قوله تعالى في ظلل من الغمام وكتابنا الذي أشرنا اليه جامع لجميع ماورد عن الصحابة من ذلك (طبقة التابعين) قال ابن تيمية أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس اه فمن المبرزين منهم مجاهد قال الفضل ابن ميمون سمعت مجاهدا يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وعنه أيضا قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت وقال خصيف كان أعلمهم بالتفسير مجاهد (وقال) النووي إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به قال ابن تيمية ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم ه قلت وغالب ماأورده الفريابي في تفسيره عنه وماأورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جدا ومنهم سعيد بن جبير قال سفيان الثوري خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقال قتادة كان أعلم التابعين أربعة كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير وكان عكرمة أعلمهم بالسير وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام ومنهم عكرمة مولى ابن عباس قال الشعبي مابقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة وقال سماك بن حرب سمعت عكرمة يقول لقد فسرت مابين اللوحين وقال عكرمة كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن (وأخرج) ابن أبي حاتم عن سماك قال قال عكرمة كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس ومنهم الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحاك بن مزاحم وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمداني وأبو مالك ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في آخرين فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وإسحق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد وسعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين (وبعدهم) ابن جرير الطبري وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فانه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ماورد عن السلف الصالح ومن يرجع اليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه فالنحوي تراه ليس له هم إلا الاعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر والاخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها

تجربة عند سماع القرآن وهذا في البلغاء منهم دون المتأخرين في الصنعة والذي ذكرناه بذلك على أنه لا كلام ازيد في قدر البلاغة من القرآن وكل من جوز يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولولم يكن جرى في المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزا لكان يجوز أن تجرى عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الأخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الثاني فلا يخرج من أن يكون منا ولا على مايقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه مايبطله من شبهة سابقة تقدح في معجزته أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته وإعجازه وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) أخبر أنه لوكان أعجميا لكانوا يحتجون في رده إما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتذرون بذهابهم عن

والاحبار عمن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة كالثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الاولاد وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصا الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية قال أبو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير والمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع اليه قال البلقيني استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وأي فوز أعظم من دخول الجنة أشار به الى عدم الرؤية (والملحد) فلا تسأل عن كفره والحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم في أن هي الا فتنتك ما على العباد أضر من ربهم وكقوله في سحرة موسى ما قال وقول الرافضة يأمركم أن تذبحوا بقرة ما قالوا وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في متى قوما يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله (فان قلت) فأي التفاسير ترشد اليه وتأمر الناظر ان يعول عليه (قلت) تفسير الامام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله قال النووي في تهذيبه كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج اليه من التفاسير المنقولة والاقوال المقولة والاستنباطات والاشارات والاعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك بحيث لا يحتاج معه الى غيره أصلا وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له والله أسأل ان يعين على اكماله بمحمد وآله واذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفاسير المصرح برفعها اليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فانها من المهمات (الفاتحة) اخرج احمد والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى (واخرج) ابن مردويه عن أبي ذر سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى (البقرة) اخرج ابن مردويه في مستدركه وصححه من طريق أبي نضرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ولهم فيها ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والنخامة والبزاق قال ابن كثير في تفسيره في اسناده الربعي قال فيه ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به قال في تصحيح الحاكم له نظر ثم رأيته في تاريخه قال انه حديث حسن (واخرج) ابن جرير بسند رجاله ثقات عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني امية من اهل الشام احسن عليه الثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل قال العدل الفدية مرسل جيد عضده اسناد متصل عن ابن عباس موقوفا (واخرج) الشيخان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة فيه تفسير قوله قولا غير الذي قيل لهم (واخرج) الترمذي وغيره بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره (وأخرج) احمد بهذا السند عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة (وأخرج) الخطيب في الرواية بسند فيه مجاهيل عن مالك عن نافع عن ابن

معرفة معناه وبأنهم لا يتبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وأنه اذا تحداهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما نبينه في وجه هذا الفصل إلى أن قال (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد) والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكرهنا سرد القول فيها فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من اعلامه وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقوله (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل

ويحق الحق بكلماته) فدل على أنه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستقر لا لكتابه أنه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالته على تحقيق الحق وابطال والباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التى وصفناها فبان بهذا وبنظائره ماقلنا من أن نبأ نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته وصار له من الحكم فى دلالته على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم انه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على انفسها الا بامر زائد ووصف منضاف اليها لان نظمها ليس معجز وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن الغائبات والغيوب معجز اوليس كذلك القرآن لانه يشاركها فى هذه الدلالة ويزيد عليها فى أن نظمه معجز فيمكن ان يستدل به عليه وحل فى هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه فى الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام

عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله (يتلونه حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه (واخرج) ابن مردويه بسند ضعيف عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (لا ينال عهدى الظالمين) قال لا طاعة الا فى المعروف له شاهد أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس موقوفا بلفظ ليس لظالم عليك عهد ان تطيعه فى معصية الله (وأخرج) احمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته قال فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال والوسط العدل فيدعون فتشهدون له بالبلاغ ويشهد عليكم قوله والوسط العدل مرفوع غير مدرج نبه عليه ابن حجر فى شرح البخارى (وأخرج) ابو الشيخ والديلمى فى مسند الفردوس من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فاذكرونى أذكركم يقول اذكرونى يا معشر العباد بطاعتى أذكركم بمغفرتى (وأخرج) الطبرانى عن أبى امامة قال انقطع قبال النبى صلى الله عليه وسلم فاسترجع فقالوا مصيبة يا رسول الله فقال ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة له شواهد كثيرة (وأخرج) ابن ماجه وابن أبى حاتم عن البراء بن عازب قال كنا فى جنازة مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله ويلعنهم اللاعنون يعنى دواب الارض (وأخرج) الطبرانى عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج أشهر معلومات قال شوال وذو القعدة وذو الحجة (وأخرج) الطبرانى بسند لا بأس به عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج قال الرفث التعرض للنساء بالجماع والفسوق المعاصى والجدال جدال الرجل صاحبه (أخرج) أبو داود عن عطاء أنه سئل عن اللغو فى اليمين فقال قالت عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو كلام الرجل فى بيته كلا والله وبلى والله أخرجه البخارى موقوفا عليها (وأخرج) أحمد وغيره عن أبى رزين الاسدى قال قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال التسريح باحسان الثالثة وأخرج ابن مردويه عن أنس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان (وأخرج) الطبرانى بسند لا بأس به من طريق أبى لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الذى بيده عقدة النكاح الزوج (وأخرج) الترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الوسطى صلاة العصر (وأخرج) احمد والترمذى وصححه عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الوسطى صلاة العصر (واخرج) ابن جرير عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر (وأخرج) ايضا عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر وله طرق أخرى وشواهد (وأخرج) الطبرانى عن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السكينة ريح خجوج (وأخرج) ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا فى قوله (يؤتى الحكمة من يشاء) قال القرآن قال ابن عباس يعنى تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر (آل عمران) أخرج احمد وغيره عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) قال هم الخوارج وفى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال هم الخوارج (وأخرج) الطبرانى

وغيره عن ابى الدرداء ان رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين فى العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين فى العلم (واخرج) الحاكم وصححه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن قول الله والقناطير المقنطرة قال القنطار الف أوقية (واخرج) أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ القنطار اثنا عشر ألف أوقية (وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبى ﷺ فى قوله وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها قال أما من فى السموات فالملائكة واما من فى الأرض فمن ولد على الاسلام واما كرها فمن أتى به من سبايا الامم فى السلاسل والاغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون (واخرج) الحاكم وصححه عن أنس ان رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى من استطاع اليه سبيلا ما السبيل قال الزاد والراحلة (واخرج) الترمذى مثله من حديث ابن عمر وحسنه (وأخرج) عبد بن حميد فى تفسيره عن نفيع قال قال رسول الله ﷺ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يارسول الله من تركه فقد كفر قال من تركه لايخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه نفيع تابعى والاسناد مرسل وله شاهد موقوف على ابن عباس (وأخرج) الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى (وأخرج) ابن مردويه عن أبى جعفر الباقر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ثم قال الخير اتباع القرآن وسنتى معضل (وأخرج) الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع (وأخرج) الطبرانى وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سودا ويوم أحد عمائم حمرا (وأخرج) البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية (النساء) (أخرج) ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ذلك ادنى أن لا تعولوا) قال أن لاتجوروا قال بن أبى حاتم قال أبى هذا حديث خطأ والصحيح عن عائشة موقوف (وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر قال قرىء عند عمر (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) قال ان جازاه (وأخرج) الطبرانى وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف فى الدنيا (وأخرج) أبو داود فى المراسيل عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله فسأله عن الكلالة فقال أما سمعت الآية التى أنزلت فى الصيف (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) فمن لايترك ولدا ولا والدا فورثته كلالة مرسل (وأخرج) أبو الشيخ فى كتاب الفرائض عن البراء سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة فقال ماخلا الولد والوالد (المائدة) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل إذا كان لاحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا له شاهد من مرسل

---

الله وان اختلف الحال فى ذلك البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة وأمر بفوق ماعرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه ان الله تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبة التى لامزيد عليها فقد قال مخالفونا ان هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للمعانى البديعة وانضاف إلى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية لأنه عندهم وان زاد على مافى العادة فان الزائد عليها وان تفاوت فلا بد من ان ينتهى إلى حد لا مزيد عليه والذى نقول انه لا يمتنع ان يقال انه يقدر الله تعالى على ان يأتى بنظم ابلغ وابدع من القرآن كله واما قدرة العباد فهى متناهية فى كل ما يقدرون عليه ما نصح قدرتهم عليه

*( فصل فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وأمور تتصل بالاعجاز)*

ان قال قائل إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم افصح العرب وقد قال هذا فى حديث مشهور وهو صادق فى قوله فهلا قلتم ان القرآن من نظمه لقدرته فى الفصاحة على

زيد بن أسلم عند ابن جرير (وأخرج) الحاكم وصححه عن عياض الاشعرى قال لما نزلت فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله ﷺ لابى موسى هم قوم هذا (وأخرج) الطبرانى عن عائشة عن رسول الله ﷺ فى قوله أو كسوتهم قال عباءة لكل مسكين (وأخرج) الترمذى وصححه عن أبى أمية الشعبانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية قال أية آية قلت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام (وأخرج) أحمد والطبرانى وغيرهما عن أبى عامر الأشعرى قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال لا يضركم من ضل من الكفار إذا اهتديتم (الانعام) أخرج ابن مردويه وابو الشيخ من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ مع كل انسان ملك إذا نام يأخذ نفسه فان أذن الله فى قبض روحه قبضه والا رده اليه فذلك قوله يتوفاكم بالليل نهشل كذاب (وأخرج) أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يارسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك (وأخرج) ابن أبى حاتم وغيره بسند ضعيف عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى لا تدركه الأبصار) قال لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا (وأخرج) الفريابى وغيره من طريق عمرو بن مرة عن أبى جعفر قال سئل النبى ﷺ عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا كيف يشرح صدره قال نور يقذف به فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقى بها إلى درجة الصحة أو الحسن (وأخرج) ابن مردويه والنحاس فى ناسخه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ما سقط من السنبل (وأخرج) ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها فقال من أوفى على يده فى الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها (وأخرج) أحمد والترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) قال يوم طلوع الشمس من مغربها له طرق كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وغيره (وأخرج) الطبرانى وغيره بسند جيد عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) هم أصحاب البدع وأصحاب الاهواء (وأخرج) الطبرانى بسند صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل البدع والاهواء فى هذه الأمة (الاعراف) أخرج ابن مردويه وغيره بسند ضعيف عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال صلوا فى نعالكم له شاهد من حديث أبى هريرة عند أبى الشيخ (وأخرج) أحمد وابو داود والحاكم وغيرهم عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العبد الكافر إذا قبضت روحه قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى



---

مقدار لا يبلغه غيره قيل قد علمنا أنه لم يتحدهم إلى مثل قوله وفصاحته والقدر الذى بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الشاعرين وكلام الخطيبين فى الفصاحة وذلك مما لا يقع به الاعجاز وقد بينا قبل هذا أنا إذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنثور وبين نظم القرآن تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس ولا معنى لقول من ادعى ان كلام النبى صلى الله عليه وسلم معجز وان كان دون القرآن فى الاعجاز فان قيل لولا ان كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت فى أنه هل هو من القرآن أم لا ولا يجوز ان يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز ان يكون شذ عن مصحفه لا لانه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على ان الذى يرونه خبر واحد لا يسكن اليه فى مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء

الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله ﷺ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوى به الريح فى مكان سحيق) (واخرج) ابن مردويه عن جابر بن عبدالله قال سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته فقال أولئك أصحاب الاعراف له شواهد (وأخرج) الطبرانى والبيهقى وسعيد بن منصور وغيرهم عن عبد الرحمن المزنى قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الاعراف فقال هم أناس قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم فى سبيل الله له شاهد من حديث أبى هريرة عند البيهقى ومن حديث أبى سعيد عند الطبرانى (وأخرج) البيهقى بسند ضعيف عن أنس مرفوعا انهم مؤمنو الجن (وأخرج) ابن جرير عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الطوفان الموت (وأخرج) أحمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أنس أن النبى ﷺ قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا وأشار بطرف ابهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا وأخرجه أبو الشيخ بلفظ وأشار بالخنصر فمن نوره جعله دكا (وأخرج) أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال الألواح التى أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثنا عشر ذراعا (واخرج) أحمد والنسائى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم فقال ألست بربكم قالوا بلى (وأخرج) ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا (وأخرج) أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن سمرة عن النبى (صلعم) قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك وحى الشيطان وأمره (وأخرج) ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الشعبى قال لما انزل الله خذ العفو الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا ياجبريل قال لاأدرى حتى أسأل العالم فذهب ثم رجع فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك مرسل (الانفال) أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس) قيل يارسول الله ومن الناس قال أهل فارس (وأخرج) الترمذى وضعفه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على أمانين لامتى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة (وأخرج) مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الا ان القوة الرمى فمعناه والله أعلم ان معظم القوة وانكاها للعدو الرمى (وأخرج) أبو الشيخ من طريق أبى المهدى عن أبيه عمن حدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وآخرين من دونهم لاتعلمونهم قال هم الجن (وأخرج) الطبرانى مثله من حديث يزيد بن عبدالله بن غريب عن أبيه عن جده مرفوعا (براءة) أخرج الترمذى عن على قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر وله شاهد عن ابن عمر عند ابن جرير أخرج ابن أبى حاتم عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر (وأخرج) أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) (وأخرج) ابن المبارك فى الزهد والطبرانى والبيهقى

القنوت لئلا ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما ونحن لا ننكر أن يغلط فى حروف معدودة كما يغلط الحافظ فى حروف وينسى ومالا نجيزه على الحفاظ مما لم نجزه عليه ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا فى أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه وقد علمنا اجماعهم على ماجمعوه فى المصحف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون الناقل اشتبه عليه لأنه خالف فى النظم والترتيب فلم يثبتهما فى آخر القرآن والاختلاف بينهم فى موضع الاثبات غير الكلام فى الاصل الاترى أنهم قد اختلفوا فى أول ما نزل من القرآن فمنهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال ياأيها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب

في البعث عن عمران بن الحصين وأبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع (وأخرج) مسلم وغيره عن أبي سعيد قال اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر وهو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو مسجدي (وأخرج) أحمد مثله من حديث سهل بن سعد وأبي بن كعب (وأخرج) أحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الانصاري أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور قالوا ما نعلم شيئا الا انا نستنجي بالماء قال هو ذاك فعليكموه (وأخرج) ابن جرير عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون (يونس) أخرج مسلم عن صهيب ان النبي ﷺ قال في قوله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة والزيادة النظر الى ربهم وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي موسى الاشعري وكعب بن عجرة وأنس وأبي هريرة (وأخرج) ابن مردويه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا قال شهادة أن لا إله الا الله الحسنى الجنة وزيادة النظر الى الله تعالى (وأخرج) أبو الشيخ وغيره عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله قل بفضل الله) قال القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله (وأخرج) ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم اني أشتكي قال اقرأ القرآن يقول الله تعالى (وشفاء لما في الصدور) له شاهد من حديث واثلة بن الأسقع أخرجه البيهقي في شعب الايمان (وأخرج) أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله ناسا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله قال قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب لا يفزعون اذا فزع الناس ولا يحزنون اذا حزنوا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (وأخرج) ابن مردويه عن أبي هريرة قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يتحابون في الله تعالى (وورد) مثله من حديث جابر بن عبد الله أخرجه ابن مردويه (وأخرج) أحمد وسعيد بن منصور والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء أنه سئل عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألني عنها أحد منذ سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له فهي بشراه في الحياة الدنيا وبشراه في الآخرة والجنة له طرق كثيرة (وأخرج) ابن مردويه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (الا قوم يونس لما آمنوا) قال دعوا (هود) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ليبلوكم أحسن عملا) فقلت ما معنى ذلك يا رسول الله قال أيكم أحسن عقلا وأحسنكم عقلا وأورعكم عن محارم الله تعالى وأعملكم بطاعة الله تعالى (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لم أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع ادراكا من حسنة حديثة لسيئة قديمة (ان الحسنات يذهبن السيئات) (وأخرج) أحمد عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أوصني قال اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله الا الله قال هي أفضل الحسنات (واخرج الطبراني وأبو الشيخ عن

واختلفوا أيضا في آخر ما أنزل فقال ابن عباس (اذا جاء نصر الله) وقالت عائشة سورة المائدة وقال البراء ابن عازب آخر ما نزل سورة براءة قال سعيد بن جبير آخر ما أنزل قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وقال السدي آخر ما أنزل (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت) ويجوز أن يكون في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي ﷺ لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان غير ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان الى نظر وتأمل وفكر وروية واكتساب

جرير بن عبدالله قال لما نزلت (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأهلها ينصف بعضهم بعضا (يوسف) اخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والحاكم وصححه
والبيهقى فى الدلائل عن جابر بن عبد الله قال جاء يهودى إلى النبى ﷺ فقال يامحمد أخبرنى
عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فلم يجبه بشىء حتى أتاه جبريل فأخبره فأرسل إلى
اليهودى فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك بها قال نعم فقال خرثان وطارق والذيال وذو الكتفان وذو
الفرع ووثاب وعمودان وقابس والصروح والمصبح والفليق والضياء والنور فقال ليهودى أى والله
انها لأسماؤها والشمس والقمر يعنى أباه وأمه رآها فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال
أرى أمر امتشتتا يجمعه الله (وأخرج) ابن مردويه عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قال
يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل يايوسف اذكر همك قال وما أبرىء نفسى (الرعد)
أخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (ونفضل
بعضها على بعض فى الأكل قال الدقل والفارسى والحلو والحامض (وأخرج) أحمد والترمذى وصححه
والنسائى عن ابن عباس قال أقبلت اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ماهو قال
ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله قالوا فما
هذا الصوت الذى نسمع قال صوته (وأخرج) ابن مردويه عن عمرو بن نجاد الأشعرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك يقال له روفيل (وأخرج) ابن مردويه
عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم
الرابية فى يده مخراق فاذا رفع برقت وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت (وأخرج) أحمد وابن حبان
عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام
(وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يمحو الله مايشاء
ويثبت) الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت (وأخرج) ابن مردويه عن جابر بن عبدالله بن وثاب
عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يمحو الله مايشاء ويثبت قال يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من
الأجل ويزيد فيه (وأخرج) ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله يمحو
الله مايشاء ويثبت قال ذلك كل ليلة القدر يرفع ويجبر ويرزق غير الحياة والموت والشقاء والسعادة
فان ذلك لايبدل (وأخرج) ابن مردويه عن على أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال
لأقرن عينك بتفسيرها ولأقرن عين أمتى من بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين
واصطناع المعروف تحول الشقاء سعادة وتزيد فى العمر (إبراهيم) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول (لئن شكرتم
لأزيدنكم) (وأخرج) أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم عن أبى امامة عن النبى صلى
الله عليه وسلم فى قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه
ووقع فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميما فقطع
أمعاءهم وقال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) (وأخرج) ابن أبى حاتم والطبرانى
وابن مردويه عن كعب بن مالك رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيما أحسب فى قوله تعالى (سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) قال يقول أهل النار هلموا فلنصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما
رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا هلموا فلنجزع فيبكون خمسمائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (وأخرج) الترمذى والنسائى والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أنس

وإن كان النظم المختلف
الشديد التباين إذا وجد
أدرك اختلافه بالحاسة
إلا الكل وزنا وقيل إذا
أردنا تميزه من غيره احتجنا
فيه إلى الفكرة والتأمل
فان قيل لوكان معجزا لم
يختلف أهل الملة فى وجه
إعجازه قيل قد يثبت
الشىء دليلا وإن اختلفوا
فى وجه دلالة البرهان كما
قد يختلفون فى الاستدلال
على حدوث العالم من الحركة
والسكون والاجتماع
والافتراق فأما المخالفون
فانه يتعــذر عليهم أن
يعرفوا أن القرآن كلام
الله لأن مذهبهم أنه لافرق
بين أن يكون القرآن من
قبل الرسول أو من قبل
الله عز وجل فى كونه
معجزا لأنه إن خصه بقدر
من العلم لم تجر العادة بمثله
أمكنه أن يأتى بماله هذه
الرتبة وكان متعذرا على
غيره لفقد علمه بكيفية النظم
وليس القوم بعاجزين عن
الكلام ولا عن النظم
والتأليف والمعنى المؤثر
عندهم فى تعذر مثل نظم
القرآن علينا فقد العلم
بكيفية النظم وقد بينا قبل
هذا أن المانع هو أنهم
لايقدرون عليه والمفحم
قد يعلم كيفية الأوزان

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هى الحنظل (وأخرج) أحمد وابن مردويه بسند جيد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كشجرة طيبة قال هى التى لا ينقص ورقها هى النخلة (وأخرج) الأئمة الستة عن البراء ابن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (وأخرج) مسلم عن ثوبان قال جاء حبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر (وأخرج) مسلم والترمذى وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قلت أين الناس يومئذ قال على الصراط (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط والبزار وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة (الحجر) أخرج الطبرانى وابن مردويه وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى أنه سئل هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون تدعون بأنكم أولياء الله فى الدنيا فما بالكم معنا فى النار فاذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا باذن الله تعالى فاذا رأى المشركون ذلك قالوا ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم فذلك قول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وله شاهد من حديث أبى موسى الأشعرى وجابر بن عبد الله وعلى (وأخرج) ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال جزء أشركوا وجزء شكوا فى الله تعالى وجزء غفلوا عن الله تعالى (وأخرج) البخارى والترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيت قول الله (كما أنزلنا على المقتسمين قال اليهود والنصارى قال الذين جعلوا القرآن عضين ما عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وأخرج) الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن قول لا إله إلا الله (النحل) أخرج ابن مردويه عن البراء أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب أمثال النخل الطوال ينهشونهم فى جهنم (الإسراء) أخرج البيهقى فى الدلائل عن سعيد المقبرى أن عبد الله بن سلام سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن السواد الذى فى القمر فقال كانا شمسين فقال الله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) فالسواد الذى رأيت هو المحو (وأخرج) الحاكم فى التاريخ والديلمى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كرمنا بنى آدم فقال الكرامة الأكل بالأصابع (وأخرج) ابن مردويه عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله (يوم ندعو كل أناس بامامهم) قال يدعو كل قوم بامام لهم وكتاب ربهم (وأخرج) ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوك الشمس قال لزوال الشمس (وأخرج) البزار وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلوك الشمس زوالها (وأخرج) الترمذى وصححه النسائى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (إن قرآن الفجر كان مشهودا) قال

واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة وإذا قال الشعر شعر أحدهما فى الطبقة العالية وشعر الآخر فى الطبقة الوضيعة وقد يطرد فى شعر المبتدى والمتأخر فى الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر ومالا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن فى التفصيل لا يغنى ويحتاج معه إلى مادة من الطبع وتوفيق من الأصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لأحدهما من اللطف فى الصنعة مالا يتفق فى الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمى يتفاضلون فى الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة وإذا وجدت للشاعر بيتا أو قطعة أحسن من شعر امرىء القيس يدل ذلك على أنه أعلم بالنظم منه لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد ويحسب ذلك البيت فى الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها وإن كان كذلك علم أن

تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ( واخرج ) احمد وغيره عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وفى لفظ هى الشفاعة وله طرق كثيرة مطولة ومختصرة فى الصحاح وغيرهما ( وأخرج) الشيخان وغيرهما عن أنس قال قيل يارسول الله كيف تحشر الناس على وجوههم قال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم (الكهف ) أخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار أربعة اجدر كثافة كل جدار ومثل مسافة أربعين سنة وأخرجا عنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه ( وأخرج ) احمد عنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الباقيات الصالحات التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة الا بالله ( وأخرج) احمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هن الباقيات الصالحات ( وأخرج ) الطبرانى مثله من حديث سعد بن جنادة (وأخرج) ابن جرير عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هن الباقيات الصالحات ( وأخرج ) احمد عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينصب الكافر مقدار خمسين الف سنة كما لم يعمل فى الدنيا وأن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة ( وأخرج ) البزار بسند ضعيف عن أبى ذر رفعه قال إن الكنز الذى ذكر الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار كيف ضحك وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله (وأخرج) الشيخان عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة (مريم ) أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن السرى الذى قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهر أخرجه الله لتشرب منه ( وأخرج) مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا اخبرتهم أنهم كانو يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم (وأخرج ) احمد والشيخان عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يااهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرفون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ويقال يااهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة) وأشار بيده وقال أهل الدنيا فى غفلة ( وأخرج ) ابن جرير عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غى واثام بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار قال ابن كثير حديث منكر واخرج احمد بن ابى سمية قال اختلفنا فى الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا (واخرج ) مسلم والترمذى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل انى قد احببت فلانا فاحبه فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى الارض فذلك قوله (سيجعل لهم الرحمن ودا) ( طه ) اخرج ابن ابى حاتم والترمذى عن جندب بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجدتم الساحر فاقتلوه ثم قرا (ولا يفلح الساحر حيث

هذا لا يرجع الى ما ندروه من العلم أو لسنا نقول إنه يستغنى عن العلم فى النظم بل يكفى علم به فى الجملة ثم يقف الامر على القدرة وهذا يبين لك بانه قد يعلم الخط فيكتب سطرا فلو أراد أن يأتى بمثله بحيث لا يغادر منه شيئا لتعذر والعلم حاصل وكذلك قد يحسن كيفية الخط والجيد منه من الردىء ولا يمكنه أن يأتى بارفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية ادارة الاقلام وكيفة تصور الخط ثم يتفاوتون فى التفصيل ويختلفون فى التصوير والزمهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الاجسام وانما يتعذر وقوع ذلك منا لانا لا نعلم الاسباب التى اذا عرفنا ايقاعها على وجوه انفق لنا فعل الاجسام وقد ذهب بعض المخالفين الى أن العادة انتقضت بان أنزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن معجزا وهذا قول أبى هاشم وهو ظاهر الخطا لانه يلزم أن يكونوا قادرين على مثل القرآن وإن لم يتعذر عليهم فعل مثله وانما تعذر بازاله ولو

أتى )قال لا يؤمن حيث وجد ( وأخرج ) البزار بسند جيد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ
فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر ( الانبياء ) أخرج أحمد عن أبى هريرة قال قلت يا رسول الله أنبئنى
عن كل شىء خلق من الماء ( الحج ) أخرج ابن أبى حاتم عن يعلى بن أمية أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال احتكار الطعام بمكة الحاد ( وأخرج ) الترمذى وحسنه عن ابن الزبير قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار ( وأخرج ) أحمد عن
خريم بن فاتك الاسدى عن النبى ﷺ قال عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله ثم تلا
(فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) ( المؤمنون ) أخرج ابن أبى حاتم عن مرة البهزى قال
سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل انك تموت بالربوة فمات بالربوة قال ابن كثير غريب جدا
( وأخرج ) أحمد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) هو الذى يسرق
ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه الذى يصوم ويصلى ويتصدق
ويخاف الله ( وأخرج ) أحمد والترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون
قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته
( النور ) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى سورة ابن أخى أبى أيوب عن أبى أيوب قال قلت يا رسول الله هدانا
الله السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت
( الفرقان ) أخرج ابن أبى حاتم عن يحيى بن أبى أسيد يرفع الحديث الى رسول الله ﷺ سئل
عن قوله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذى نفسى بيده انهم ليستكرهون فى النار كما
يستكره الوتد فى الحائط ( القصص ) أخرج البزار عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الاجلين
قضى موسى قال أوفاهما وابرهما قال وان سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما اسناده ضعيف
ولكن له شواهد موصولة ومرسلة ( العنكبوت ) أخرج أحمد والترمذى وحسنه وغيرهما عن أم هانىء
قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (وتأتون فى ناديكم المنكر) قال كانوا يحذفون أهل
الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذى كانوا يأتون ( لقمان ) أخرج الترمذى وغيره عن أبى امامة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى التجارة
فيهن وثمنهن حرام فى مثل هذا أنزلت (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية
إسناده ضعيف ( السجدة ) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله
أحسن كل شىء خلقه قال اما ان است القردة ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها ( وأخرج ) ابن جرير
عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)
قال قيام العبد من الليل ( وأخرج ) الطبرانى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى
هدى لبنى اسرائيل قال جعل موسى هدى لبنى اسرائيل وفى قوله (فلا تكن فى مرية من لقائه) قال من
لقاء موسى ربه ( الاحزاب ) أخرج الترمذى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
طلحة ممن قضى نحبه ( وأخرج ) الترمذى وغيره عن عمرو بن أبى سلمة وابن جرير وغيره عن أم سلمة أن
النبى صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وعليا وحسنا وحسينا لما نزلت ( انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا ) فظللهم بكساء وقال والله هؤلاء أهل بيتى فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا
( سبأ ) أخرج احمد وغيره عن ابن عباس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ أرجل هو ام
امرأة ام ارض فقال بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة ( وأخرج )
البخارى عن ابى هريرة مرفوعا قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله

كانوا قادرين على مثل
ذلك كان قد اتفق من
بعضهم مثله وان كانوا
فى الحقيقة غير قادرين
قبل نزوله ولا بعده على
مثله فهو قولنا وأما قول
كثير من المخالفين فهو
على ما بينا لان معنى
المعجز عندهم تعذر فعل
مثله وكان ذلك متعذرا
قبل نزوله وبعده فأما
الكلام فى ان التأليف
هل له نهاية فقد اختلف
المخالفون من المتكلمين
فيه فمنهم من قال ليس
لذلك نهاية كالعدد
فلا يمكن ان يقال انه لا يتأتى
قول قصيدة الا وقد قيلت
من قبل ومنهم من قال
ان ما جرت به العادة فله
نهاية وما لم تجر به العادة
فلا يمكن ان نعلم نهاية
الرتبة فيه وقد بينا ان
على أصولنا قد تقدر
لكلامنا حد فى العادة
ولا سبيل الى تجاوزه
ولا يقدر فان القرآن
خرق العادة فزاد عليها
( فصل ) . ان قيل هل
من شرط المعجز ان يعلم
انه اتى به من ظهر عليه
قيل لا بد من ذلك لانا لو
نعلم ان النبى صلى الله
عليه وسلم هو الذى اتى
بالقرآن وظهر ذلك من

كانه سلسلة على صفوان فاذا (فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير) (فاطر) اخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة (واخرج) أحمد وغيره عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال (الله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) الآية (واخرج) الطبرانى وابن جرير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة قيل اين ابناء الستين وهو العمر الذى قال الله (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) (يس) اخرج الشيخان عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش واخرجا عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال ياأباذر أتدرى اين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجرى لمستقرلها (الصافات) أخرج ابن جرير عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء مثل جناح النسر قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التى فى داخل البيضة التى تلى القشر قوله شفرهو بالفاء مضاف إلى الحوراء وهو هدب العين وانما ضبطته وان كان واضحا لانى رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحفه بالقاف وقال الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر يعنى فى الخفة والسرعة وهذا كذب وجهل محض والحادفى الدين وجراءة على الله وعلى رسوله (وأخرج) الترمذى وغيره عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال حام وسام ويافث (وأخرج) من وجه آخر قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث ابو الروم (وأخرج) عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا (وأخرج) ابن عساكر عن العلاء بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم الا عليه ملك راكع أوساجد ثم قرأ (وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون) (الزمر) أخرج أبو يعلى وابن أبى حاتم عن عثمان بن عفان انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير له مقاليد السموات والأرض) فقال ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لااله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول الآخر الظاهر الباطن بيده الخير يحيى ويميت والحديث غريب وفيه نكارة شديدة (وأخرج) ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله) من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا قال هم الشهداء (غافر) أخرج أحمد واصحاب السنن والحاكم وابن حبان عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ (ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) (فصلت) أخرج النسائى والبزار وأبو يعلى وغيرهم عن أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها

جهته لم يمكن ان يستدل به على نبوته وعلى هذا لو تلقى رجل منه سورة فأتى بها بلدا وادعى ظهورها عليه وانها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا أو يتبينوا انها ظهرت عليه وقد حققت ان القرآن اتى به النبى صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا

*( فصل )* قد ذكرنا فى الابانة عن معجز القرآن وجيزا من القول رجونا ان يكفى واملنا ان يقنع والكلام فى أوصافه ان استقصى بعيد الاطراف واسع الاكناف لعلو شأنه وشريف مكانه والذى سطرناه فى الكتاب وان كان موجزا وامليناه فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدى إلى الحجة ومتى عظم محل الشىء فقد يكون الاسهاب فيه عيا والاكثار فى وصفه تقصير وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون عييا فقال متى وصف هوى أو حبيبا وضل اعرابى فى سفر له ليلا وطلع القمر فاهتدى به فقال ما أقول لك أقول رفعك الله وقد

(حمعسق) أخرج أحمد وغيره عن علي قال الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه (الزخرف) أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون (وأخرج) ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فيكون له شكر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) (الدخان) أخرج الطبراني وابن جرير بسند جيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال له شواهد (وأخرج) أبو يعلى وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والأرض وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملا صالحا تبكي عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم (وأخرج) ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والأرض ثم قال انهما لا يبكيان على كافر (الاحقاف) أخرج أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أو اثارة من علم قال الخط (الفتح) أخرج الترمذي وابن جرير عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله (الحجرات) أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته (ق) أخرج البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط (الذاريات) أخرج البزار عن عمر بن الخطاب قال الذاريات ذروا هي الرياح فالجاريات يسرا هي السفن فالمقسمات أمرا هي الملائكة ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته (الطور) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الآية (النجم) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وابراهيم الذي وفى ثم قال أتدرون ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار وأخرج عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفى أنه كان يقول كلما اصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية (وأخرج) البغوي من طريق أبي العالية

رفعك أم أقول نورك الله وقد نورك أم أقول اجملك الله وقد جملك ولو أن العقول تختلف والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لاتصاله بأسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الاصحاب وبحسب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصور عنه أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال انشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القرائح والعلوم

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال أنشدنا بعض مشايخنا للبحتري

اهز بالشعر اقواما ذوي سنة
لو أنهم ضربوا بالسيف ما شعروا
على نحت القوافي من مقاطعها
وما علي لهم ان تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعبا وتمييزه شديدا

أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وان الى ربك المنتهى قال لافكرة فى الرب قال البغوى وهو مثل حديث تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله (الرحمن) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين (وأخرج) ابن جرير مثله من حديث عبدالله بن منيب والبزار مثله من حديث ابن عمر (وأخرج) الشيخان عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله (صلعم) قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما (وأخرج) البغوى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله (صلعم) هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة (الواقعة) أخرج أبو بكر النجاد عن مسلم بن عامر قال أقبل اعرابى فقال يارسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها قال وماهى قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله (صلعم) أليس يقول الله فى سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وله شاهد من حديث ابن عبد السلمى أخرجه ابن أبى داود فى البعث (وأخرج) الشيخان عن أبى هريرة عن النبى (صلعم) قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا ان شئتم وظل ممدود (واخرج) الترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (صلعم) فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام (واخرج) الترمذى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا (واخرج) فى الشمائل عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فولت تبكى قال أخبروها أنها لاتدخلها وهى عجوز ان الله يقول (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) (واخرج) ابن أبى حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا كلامهن عربى (واخرج) الطبرانى عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر (قلت) أخبرنى عن قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن كصفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى (قلت) أخبرنى عن قوله فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (قلت) أخبرنى عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر (قلت) أخبرنى عن قوله عربا أترابا قال هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد (واخرج) ابن جرير عن ابن عباس فى قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتى (وأخرج) أحمد والترمذى عن على قال قال رسول الله (صلعم) وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون يقول مطرنا بنوء كذا وكذا (الممتحنة) أخرج الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن جرير عن أم سلمة عن رسول الله (صلعم) فى قوله ولا يعصينك فى معروف قال النوح (الطلاق) أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله ان يطلق النساء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن (ن) أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ماخلق الله القلم والحوت قال اكتب قال ما أكتب قال كل

والوقوع على اختلاف فنونه متعذرا وهذا فى كلام الآدمى فما ظنك بكلام رب العالمين فقد أبنا لك ان من قدر على ان البلاغة فى عشرة أوجه من الكلام لايعرف من البلاغة الا القليل ولا يفطن منها الا اليسير ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم فى الشعر فهو متطرف بلى ان كانوا يقولون ان هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف وان ما يجرى مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالاصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا فى نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفواتح والخواتم والمبادى والمثانى والطوالع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام فى نظم السور والآيات فى تفاصيل التفاضيل ثم فى الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والمجنس والموشى والمحلى والمكلل والمطوق والمتول والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل فى النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى

شيء كائن الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم والنون الحوت والقلم القلم (وأخرج) ابن جرير عن معاوية بن قرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجرى بما هو كائن الى يوم القيامة قال ابن كثير مرسل غريب (وأخرج) ايضا عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم مرسل له شواهد (واخرج) أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون سجدا لله (سأل) أخرج أحمد عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كان مقداره خمسين الف سنة ما أطول هذا اليوم فقال والذى نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا (المزمل) أخرج الطبرانى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فاقرءوا ما تيسر منه قال مائة آية قال ابن كثير غريب جدا (المدثر) اخرج أحمد والترمذى عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك (وأخرج) أحمد والترمذى وحسنه والنسائى عن أنس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل التقوى وأهل المغفرة فقال قال ربكم انا أهل أن اتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقى ان يجعل معى الها كان اهلا ان اغفر له (النبأ) أخرج البزار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها احقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون (التكوير) اخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريد بن أبي مريم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى (اذا الشمس كورت) قال كورت فى جهنم (واذا النجوم انكدرت) قال فى جهنم (واخرج) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم (واذا النفوس زوجت) قال القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله (الانفطار) اخرج ابن جرير والطبرانى بسند ضعيف طريق موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما ولد لك قال ما عسى أن يولد لى اما غلام أو جارية فقال فمن يشبه قال من عسى أن يشبه إما أباه واما أمه فقال النبى ﷺ مه لا تقولن هذا ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت فى أى صورة ما شاء ركبك قال سلكك (وأخرج) ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال انما سماهم الله الأبرار لانهم بروا الآباء والأبناء (المطففين) أخرج الشيخان عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه (وأخرج) أحمد والترمذى والحاكم وصححه والنسائى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله فى القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (الانشقاق) أخرج أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب وفى لفظ عند ابن جرير ليس يحاسب أحد الا عذب قلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذاك العرض (واخرج) أحمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب يومئذ هلك (البروج) أخرج ابن جرير عن أبي مالك الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة له شواهد (وأخرج) الطبرانى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء

فصل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى فى معنى والجمع بين المؤتلف والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة القول فى ذلك كله من التعسف وخروجه عن التعمق والتشدق وبعده عن التعمل والتكلف والالفاظ المفردة والابداع فى الحروف والادوات كالابداع فى المعانى والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه والوصف وتميز الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وأنت تتبينه فى كل ما تصرف فيه من الانواع أنه على سمت شريف ومرقب منيف يبهر اذا أخذ فى النوع الربى والامر الشرعى والكلام الالهى الدال على أنه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة وأحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقريع واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة وتعلم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر صادعة

قلمه نور وكتابه نور لله تعالى فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويفعل مايشاء (الأعلى) اخرج البزار عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها (وأخرج) البزار عن ابن عباس قال لما نزلت إن هذا لفى الصحف الأولى قال النبى صلى الله عليه وسلم كان هذا أو كل هذا فى صحف إبراهيم وموسى (الفجر) أخرج أحمد والنسائى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر قال ابن كثير رجاله لا بأس بهم وفى رفعه نكارة (وأخرج) ابن جرير عن جابر مرفوعا الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث (وأخرج) أحمد والترمذى عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر (البلد) أخرج أحمد عن البراء قال جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى عملا يدخلنى الجنة قال أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا واحدة قال أن أعتق النسمة أن تفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى عتقها (والشمس) أخرج ابن أبى حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله قد أفلح من زكاها أفلحت نفس زكاها الله تعالى (ألم نشرح) أخرج أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال إن ربك يقول أتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معى (الزلزلة) أخرج أحمد عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا (العاديات) اخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الإنسان لربه لكنود) قال الكنود الذى يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده (الهاكم) أخرج ابن أبى حاتم عن زيد ابن أسلم مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت (وأخرج) أحمد عن جابر بن عبد الله قال أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه (وأخرج) ابن أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة (الهمزة) أخرج ابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (إنها عليهم مؤصدة) قال مطبقة (أرأيت) أخرج ابن جرير وأبو يعلى عن سعد بن أبى وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (الكوثر) أخرج أحمد ومسلم عن أنس قال قال رسول الله صى الله عليه وسلم الكوثر نهر أعطانيه ربى فى الجنة له طرق لا تحصى (النصر) أخرج أحمد عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت إلى نفسى (الأخلاص) أخرج ابن جرير عن بريدة لا أعلمه الأرفعة قال الصمد الذى لا جوف له (الفلق) أخرج ابن جرير عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب فى جهنم مغطى قال ابن كثير غريب لا يصح رفعه (وأخرج) أحمد والترمذى وصححه والنسائى عن عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فارانى القمر حين طلع وقال تعوذى بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب (واخرج) ابن جرير عن هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا وقب

وقصص مفيدة وثناء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستحقه وتحميد كما يستوجبه وأخبار عن كائنات فى الآتى صدقت وأحاديث عن المؤتنف تحققت ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش وإباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل والاحسان تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى منظر بهيج ونظم أنيق ومعرض رشيق غير متعاص على الاسماع ولا ملتو على الافهام ولا مستكره فى اللفظ ولا متوحش فى المنظر غريب فى الجنس غير غريب فى القبيل ممتلىء ماء ونضارة ولطفا وغضارة يسرى فى القلب كما يسرى السرور ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم ويضيء كما يضيء الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموح على المتناول المنتاب كالروح فى البدن والنور المستطير فى الأفق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله وصح جهله إذ الشعر سمت قد تناولته الألسن وتداولته القلوب وانثالت عليه الهواجس وضرب الشيطان

قال النجم الغاسق قال ابن كثير لا يصح رفعه (الناس) أخرج أبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس أى سكن وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس (فهذا) ماحضرنى من التفاسير المرفوعة المصرح برفعها صحيحها وحسنها وضعيفها ومرسلها ومعضلها ولم أعول على الموضوعات والأباطيل وقد ورد من المرفوع فى التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها (أحدها) الحديث فى قصة موسى مع الخضر وفيه تفسير آيات من الكهف وهو فى صحيح البخارى وغيره (الثانى) حديث الفتون طويل جدا فى نصف كراس يتضمن شرح قصة موسى وتفسير آيات كثيرة تتعلق به وقد أخرجه النسائى وغيره لكن نبه الحفاظ منهم المزى وابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس وأن المرفوع منه قليل صرح بعزوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير وكان ابن عباس تلقاه من الاسرائيليات ( الثالث ) حديث الصور وهو أطول من حديث الفتون يتضمن شرح حال القيامة وتفسير آيات كثيرة من سور شتى فى ذلك وقد أخرجه ابن جرير والبيهقى فى البعث وأبو يعلى ومداره على إسمعيل بن رافع قاضى المدينة ( وقد ) تكلم فيه بسببه وفى بعض سياقه نكارة وقيل إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقا واحدا وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبى صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه ويؤيد هذا أما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها دل فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه (وأما) ما أخرجه البزار عن عائشة قالت ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد علمه إياهن جبريل فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير وأوله ابن جرير وغيره على أنها إشارت إلى آيات مشكلات أشكلن عليه فسأل الله علمهن فأنزله اليه على لسان جبريل (وقد من الله تعالى) باتمام هذا الكتاب البديع المثال المنيع المنال الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع فى كتاب قبله فى العصر الخوال أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل وبينت فيه مصاعد يرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل وأذكرت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل فيه لباب المعقول وعباب المنقول وصواب كل قول مقبول محضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها واقتطفت ثمرها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها فلهذا تحصل فيه من البدائع ماتبت عنده الأعناق بتا وتجمع فى كل نوع منه ماتفرق فى مؤلفات شتى على أنى لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ولا أدعى أنه جمع سلامة كيف والبشر محل النقص بلاريب هذا وإنى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد

وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمعهم وأعماهم حب الرياسة وأصمهم قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه يريد الانسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيرا ويبغى العز ولا علم عنده فلم يجد له وليا ولا نصيرا

فيه بسهمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو ادنى محلا وأقرب مأخذا وأسهل مطلبا ولذلك قالوا فلان مفحم فأخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عي فأورد ومورد النقص والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها وبرهان شهد له براهين الأولياء المتقدمين وبينة على طريقة ماسلف الأولون حيرهم به إذ كان من جنس القول الذى زعموا أنهم ادركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم فما قدروا من بلوغ أقصى الممكن فى العلاج والوصول إلى أعلى مراتب الطب لجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وكما أتى موسى بالعصا التى تلقفت ما دفقوا فيه من سحرهم وأتت على ما أجمعوا عليه من أمرهم وكما سخر لسليمان من الرياح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الأول والآخر وقوفا واحدا ويبقى حكمها إلى يوم القيامة انظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر فى الذى دللناك

أتمسى القوافل تحت غير لوائنا . ونحن على أقوالها أمراء

ومع ذلك فلا نرى الا أنوفا مشمخرة وقلوبا عن الحق مستكبرة وأقوالا تصدر عنهم مفتراة مزورة كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم فالعالم بينهم مرجوم تتلاعب به الجهال والصبيان والكامل عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان وأيم الله إن هذا لهو الزمان الذى يلزم السكوت والمصير حلسا من احلاس البيوت ورد العلم إلى العمل لولا ماورد فى صحيح الاخبار من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار ولله در القائل

إدأب على جمع الفضائل جاهدا . وأدم لها تعب القريحة والجسد

واقصد بها وجه الاله ونفع من . بلغته ممن جد فيها واجتهد

واترك كلام الحاسدين وبغيهم . هملا فبعد الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع الى الله جل جلاله وعز سلطانه كما من باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وأن يجعلنا من السابقين الاولين من أتباع رسوله وان لايخيب أملنا فهو الجواد الذى لايخيب من أمله ولايخذل من انقطع عمن سواه وأمله وصلى الله على من لانبي بعده سيدنا وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذكرون وغفل عن ذكره الغافلون

عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان راجح والجهل لايزيد الاعمى ولايورث الاندما قال الله عز وجل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الالباب) وقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) على حسب ما آتى من الفضل وأعطى من الكمال والعقل تقع الهداية والتبيين فان الامور تتم باسبابها وتحصل بآلتها ومن سلبه التوفيق وحرمه الارشاد والتسديد فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاحمد الله على مارزقك من الفهم إن فهمت وقل رب زدنى علما وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيناه فازدد فى تعلم الصنعة وتقدم فى المعرفة فسيقع بك على الطريق الارشد ويقف بك على الوجه الاحمد فانك اذا فعلت ذلك أحطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك الشيطان

بانه قد كان من هو اعلم منك بالعربية وأرجح منك فى الفصاحة أقوام وأقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا الان القوم لم يذهبوا عن الاعجاز ولكن اختلفت أحوالهم فكانوا بين جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحاسد وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات وحائد عن النظر فى الدلالات وناقص فى باب البحث ومختل الآلة فى وجه الفحص ومستهين بأمر الاديان وغاو تحت حبالة الشيطان ومقذوف بخذلان الرحمن وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بازاء الكفرة مثل لبيد بن ربيعة العامرى فى حسن اسلامه وكعب بن زهير فى صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الاول مافيهم الانجم زاهر أو بحر زاخر وقد بينا أن لا اعتصام الا بهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فتأمل ما عرفناك فى كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له لبك ثم اعتصم بالله يهدك وتوكل عليه يغنك ويجرك واسترشده يرشدك وهو حسبى وحسبك ونعم الوكيل

. ( يقول راجى عفو القريب المجيب الصمد عبد الوصيف محمد ) .

نحمدك يامنزل الكتاب هدى وموعظة لاولى الالباب ونشكرك على ما أودعت فيه من الاسرار والحكم البالغة البازغة الانوار ونصلى ونسلم على سيدنا محمد معدن الفضائل والعرفان ومهبط الاسرار الالهية والعلم والاتقان وعلى آله نجوم الاسلام وأصحابه هداة الانام *(وبعد)* فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب الاتقان فى علوم القرآن وهو كتاب حوى من علوم القرآن ما تشتت فى جملة فنون ونهج منهجا لم يتيسر لاحد أن يشق غبار علمه المكنون فكم رصع صفحات درره بيواقيت انوار وكم سطعت فى سماء تحقيقاته شموس اسرار جمع فيه من انواع علوم القرآن ثمانين كل نوع ضمنه مافى جملة مؤلفات المتقدمين فجاء بحرا زاخر الموارد ينهل من عذبه كل وارد وكيف لا وهو للامام الشهير وامام المحدثين فى الزمن الاخير العلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى رحمه الله واثابه فى دار رضاه وقد حليت طرره ووشيت غرره بكتاب اعجاز القرآن لامام المحققين وقدوة العلماء والمتكلمين القاضى الباقلانى رضى الله وارضاه وجل الجنة مثواه وذلك الطبع الزاهى والوضع الباهى بالمطبعة الحجازية المصرية الكائنة بحى الجمالية بجوار الساحة الحسينية ادارة الراجى من الله الغفران . ( حضرة السيد محمد عبد اللطيف حجازى ) . وفاح مسك الختام وتم سلك النظام اول الحجة بركة الاسلام سنة ١٣٦٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى السلام

